رشاد محمود أحمد

من وحى السماء

من الإسراء إلى الشعراء

وكيف تحفظها فى
١٠٠ يوم

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٣٩٠٣٧٤٦

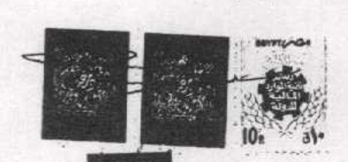
بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

الأزهــر
مجمـع البحـوث الاســلامية
الادارة العـــامة
للبحــوث والتــأليف والترجمـة

٩٧



السيد / رشاد محمود أحمد ....

السـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ـ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : معجزة الإسراء ومعجزة الإسراء إلى الثلاثاء تأليفكم وعدد صفحاته ١٩٨ صفحة

نفيد بأن الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مـانع من طبعـه على نفقتـكم الخـاصة .

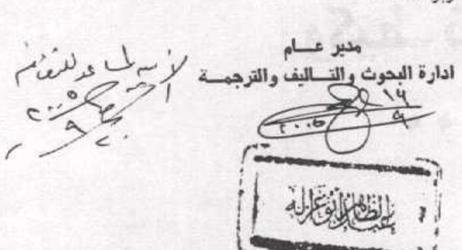
مع التـأكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والأحاديث النبـوية الشريفـة .

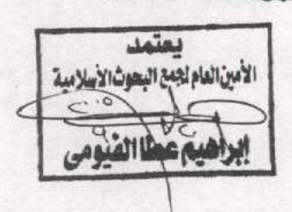
واللـــه المـــوفق ،،،

والســلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ،،،

مدير عـام
ادارة البحوث والتـأليف والترجمـة

تحريرا في / / ١٤ هـ
الموافق ١٩ / ٩ / ٢٠٠٥ م







من وحى السماء

من الإسراء إلى الشعراء

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع ٢٠٠٥/١٠٥٤٧
I. S. B. N. 977-225-206-6

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى له الحمد كله ، وله الفضل كله ، وله الخلق والأمر كله ، الحمد لله الذى أنزل كتابه المبين ، هداية للعالمين ، ونوراً للمؤمنين ، ومحجّة للسالكين ، وحجّة على خلق الله أجمعين ، والحمد لله الذى جعلنا بكتابه مؤمنين ، وله تابعين ، بصّرنا به من العمى ، وعلّمنا به من الجهالة ، وهدانا به من الضلالة ، وجعله لنا ذكراً وعزة وشرفًا فى الدنيا والآخرة فالسعيد من خلق الله من تعلّمه وعمل به ، واتخذه قائداً ، فائتمر بأمره ، ووقف عند نهيه ، وأسلم إليه قياده ، فأوصله إلى جنة الرضوان ، والشقى من أعرض عنه ، وجعله وراءه ظهريًا ، وخالفه فى أمره ونهيه ، فكبّه على وجهه فى دار الخسران .

وبعد فإنى رأيت تقديم هذا الجهد إلى إخوانى فى الله ليعينهم على فهم وتدبر القرآن الكريم ، ويعينهم على حفظ آياته .

وللوصول إلى هذا الهدف الشريف أضع بين يدى الراغبين فى حفظ القرآن أسلوبًا سهلاً وطريقة جديدة أسأل الله أن يتقبلها منى خالصة لوجهه الكريم ، وليعلم المحب فى الله أن الأمر يسير بعونه تعالى على من التزم بهذه الخطوات الموضحة فيما بعد ، وليسر فيها خطوة خطوة لا يتعدى إحداهما الأخرى وبنفس الترتيب .

وإلى البيان الموضح لهذا البرنامج . . . إلى التجارة التى لن تبور ، إلى حفظ وفهم كتاب الله ليشفع لنا يوم لا ظل إلا ظله .

أولاً : فكرة الكتاب :

قبل البدء تذكر : أن العلم نور ، ونور الله لا يُهدى لعاص ، واستعن بالله ليشرح صدرك ، وقل : اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً .

١ - هذا الكتاب بُدئ بمقدمة عامة للتعرف على موضوعات السورة وخطوطها العريضة فى رحلة تشملها من أول آية إلى آخر آية .

٢ - تُقسم السورة إلى عدة موضوعات تطول أو تقصر حسب الموضوع .

٣ ـ لكل درس : عنوان ، وعدد آيات ، وبرنامج للحفظ تحديداً بعدد الأيام .

٤ ـ والخطوة الأخيرة هى : شرح الآيات كل على حدة ، آية . . آية .

٥ ـ فى أسفل الصفحة معانى الكلمات .

ثانيًا: طريقة التطبيق:

١ ـ اقرأ : (هذه السورة) وفيها ستتعرف على موضوعاتها وشخصياتها لتعيش فى جوها .

٢ ـ اقرأ : الدرس الذى ستبدأ فى حفظه ولتتعرف على آياته وموضوعه .

٣ ـ انتقل بعد ذلك إلى المصحف فى الداخل لتقرأ شرح آيات الدرس فقط .

ثالثًا: كيف تحفظ:

١ ـ حاول أن تقرأ على شيخ أو معلم أو أخ لك يجيد أحكام التلاوة لتطمئن على الحفظ بطريقة صحيحة (ومن الممكن سماع شريط تسجيل لآيات الدرس من مقرئ) .

٢ ـ احضر كشكولاً وقسم الصفحة بداية ونهاية حسب صفحة المصحف الذى معك لتكتب الآية التى حفظتها ، فهذا الأسلوب يفيدك فى رسم الآية فى ذاكرتك .

٣ ـ احفظ من مصحف واحد (أى طبعة معينة) لأن صفحته سترتسم أمام عينيك .

٤ ـ ردد ما حفظته دومًا ـ فى صلاتك (الفرائض والنوافل) .

٥ ـ عند البدء فى درس جديد تأكد من مراجعة الدرس السابق .

وفى الختام نورد حديثًا عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ يوصى به على بن أبى طالب رضى الله عنه عندما شكا له تفلت القرآن من صدره ، وهذا نصه :

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء علىّ بن أبى طالب فقال : بأبى أنت وأمى تَفَلَّتَ هذا القرآن من صدرى ، فما أجدنى أقدر عليه ، فقال له رسول الله ﷺ : «يا أبا الحسن : أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ، وينفع بهنّ من علمته ، ويُثبت ما تعلمت فى صدرك؟» قال : أجل يا رسول الله فعلمنى ، قال : «إذا كان ليلة الجمعة ، فإن استطعت أن تقوم ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة ، والدعاء فيها مستجاب ، وقد قال أخى يعقوب لبنيه : ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ ـ يقول : حتى تأتى ليلة الجمعة ، فإن لم تستطع فقم فى وسطها ، فإن لم تستطع فقم فى أولها ، فصلّ أربع ركعات تقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس ، وفى الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم (الدخان) ، وفى الركعة

الثالثة بفاتحة الكتاب وألم تنزيل (السجدة)، وفى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله، وصلِّ علىَّ وأحسن، وعلى سائر النبيين، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل فى آخر ذلك: اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدًا ما أبقيتنى، وارحمنى أن أتكلفَ ما لا يعنينى وارزقنى حسن النظر فيما يُرضيك عنى، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام، والعزة التى لا تُرام أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تُلزم قلبى حفظَ كتابك كما علمتنى، وارزقنى أن أتلوه على النحو الذى يُرضيك عنى، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام، والعزة التى لا تُرام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تُنوِّر بكتابك بصرى، وأن تُطلق به لسانى، وأن تُفَرِّجَ به عن قلبى، وأن تشرح به صدرى، وأن تغسل به بدنى، فإنه لا يُعيننى على الحق غيرك، ولا يؤتيه إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جُمع، أو خمسًا، أو سبعًا، تُجَب بإذن الله، والذى بعثنى بالحق ما أخطأ مؤمنًا قط».

قال ابن عباس: فوالله ما لبث علىٌّ إلا خمسًا، أو سبعًا حتى جاء رسول الله ﷺ فى مثل ذلك المجلس، فقال: يا رسول الله، إنى كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن، فإذا قرأتهن على نفسى تفلّتن، وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها، فإذا قرأتها على نفسى فكأنما كتاب الله بين عينى، ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلت، وأنا اليوم أسمع الأحاديث؛ فإذا تحدثت بها لم أُخرِم منها حرفًا، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن»[1].

وفى الختام نسأل الله لنا ولكم التوفيق... فنعم المولى الذى يتولانا جميعًا بحسن ثوابه، وأن يجعل هذا العمل منى فيما يتقبله من صالح أعمال عباده وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب. وصلى الله وسلم وبارك على عبده المجتبى ورسوله المصطفى نبينا سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

رشاد محمود أحمد

ت: ٠١٠/٥٠٥٦٣١٤

القاهرة فى ١٥ شعبان ١٤٢٦ هـ

١٩ سبتمبر ٢٠٠٥ م

---

(١) رواه الترمذى.

فضل تلاوة القرآن الكريم وحفظه وتعليمه

❖ فضل تلاوة القرآن:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ (فاطر: ٢٩، ٣٠).

قال رسول الله ﷺ: «الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن يتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»[١]. وقال ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»[٢]. وقال ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله، فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[٣]. وقال ﷺ: «يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»[٤]. وقال ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى رب: منعته الطعام والشهوة، فشفعنى فيه، ويقول القرآن: منعته النوم فى الليل فشفعنى فيه، قال: فيشفعان»[٥]. وقال ﷺ: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان، فعملت مثل ما يعمل: ورجل آتاه الله مالاً، فهو يهلكه فى الحق، فقال رجل: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل»[٦]. وقال أبو هريرة: «إن البيت الذى يتلى فيه القرآن، اتسع بأهله، وكثر خيره، وحضرته الملائكة، وخرجت منه الشياطين، وإن البيت الذى لا يتلى فيه القرآن، ضاق بأهله، وقل خيره، وخرجت منه الملائكة، وحضرته الشياطين»[٧].

❖ فضل حفظ القرآن:

روى ابن عباس مرفوعًا: «إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب»[٨].

---

(١) متفق عليه: البخارى (٤٦٥٣)، مسلم (٧٩٨).

(٢) مسلم (٨٠٤) من حديث أبى أمامة.

(٣) أحمد (١٩٤٧)، الترمذى (٢٩١٤) من حديث ابن مسعود.

(٤) الترمذى (٢٩٢٦) من حديث أبى سعيد الخدرى.

(٥) أحمد (٦٦٢٦)، الحاكم (٢٠٣٦)، مجمع الزوائد ٨/ ١٨١و١٠/ ٣٨١ من حديث عبد الله بن عمرو وقال الهيثمى: وإسناده حسن.

(٦) البخارى (٤٦٣٨) من حديث أبى هريرة.

(٧) البخارى (٤٧٣٨) من حديث أبى هريرة.

(٨) الترمذى (٢٩١٣) وقال: حسن صحيح.

وكان رسـول الله ﷺ يكرم أصحاب القرآن وحملته ويعرف لهم منازلهم، ويقـدمهم على غيرهـم. فعن أبى هريرة قـال: بعث رسول الله ﷺ بعثًا وهم ذوو عدد فـاستقرأهم: كل رجل منهم - يعنى ما معه من القرآن - فأتى على رجل من أحدثهم سنًا، فقال: «ما معك يا فلان؟» قال معـى كذا وكذا وسورة البقـرة، فقال: «أمعك سورة البقـرة؟» قال: نعـم. قال: «اذهب فأنت أميرهم»، فقال رجل من أشرافهم: والله ما منعنى أن أتعلم البقرة إلا خشية ألا أقوم بها، فقال رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن واقـرأوه، فإن مثل القرآن لمن تعـلمه فقرأه، كمثل جراب محشو مسكًا، يفـوح ريحه فى كل مكـان، ومن تعـلمه فيرقـد - وهو فـى جوفه - فمثله كمثل جراب أوكى على مسك»[1].

وعنه ﷺ قال: «يجىء صاحب القرآن يوم القيامة فيقـول القرآن: يا رب حَلِّه فيلبس تاج الكـرامة، ثم يقـول: يا رب زده، فيلبس حُلة الكرامـة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فـيقال له: اقرأ وارْقَ، ويزداد بكل آية حسنة، وليست مثوبة الله فى الآخرة مقصورة على صاحب القرآن وحده، بل إن نورها ليشمل أبويه، وينالهما قبس منه ببركة القرآن»[2].

فعن بـريدة قال: قال رسـول الله ﷺ: «من قرأ القـرآن وتعلمه وعمل به، أُلبس يوم القيامة تاجًا من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويُكسى والداه حُلَّتين لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولـدكما القرآن»[3]، وقـال ابن مسعود: «إن أصفـر البيوت: بيت ليس فيه شىء من كتاب الله»[4]. ومعنى أصفرها - بالفاء - أى أخلاها من الخير والبركة.

❖ تعليم القرآن:

روى البخارى فى صحيحه عن عثمان رضى الله عنه أن النبى ﷺ قـال: «خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه»[5] فالقرآن أفضل ما يتعلم، وأفضل ما يعلم.

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «ما اجتمع قـوم فى بيت من بيوت الله تعالى، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[6].

---

(١) الترمذى (٢٨٧٦) وقال: حسن.

(٢) الترمذى (٢٩١٥)، والحاكم فى المستدرك (٢٠٢٩)، والبيهقى فى شعب الإيمان (١٩٩٦) من حديث أبى هريرة، قال الترمذى: حسن صحيح.

(٣) ابن أبى شيبة فى مصنفه ٦/ ١٢٩، والهيثمى فى مجمع الزوائد ٧/ ١٥٩، والضعفاء للعقيلى ١/ ١٤٣ مقتصراً على آخره.

(٤) ابن أبى شيبة (٦/ ١٢٧).

(٥) البخارى (٤٧٣٨)، وأبو داود (١٤٥٢)، وغيرهما.

(٦) مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (١٤٥٥)، وابن ماجة (٢٢٥).

سورة الإسراء

(مكية)

وآياتها ١١١ آية

مدة الحفظ: ١٢ يوم

هذه السورة: من السور المكية التى تهتم بشئون العقيدة، شأنها شأن سائر السور المكية من العناية بأصول الدين (الوحدانية، والرسالة، والبعث) ولكن العنصر البارز فى هذه السورة الكريمة هو (شخصية الرسول ﷺ، وما أيده الله به من المعجزات الباهرة، والحجج القاطعة، الدالة على صدقه عليه الصلاة والسلام.

* تعرضت السورة الكريمة لمعجزة الإسراء، التى كانت مظهراً من مظاهر التكريم الإلهى، لخاتم الأنبياء والمرسلين.

* وتحدثت عن بنى إسرائيل، وما كتب الله عليهم من التشرد فى الأرض مرتين، بسبب طغيانهم وفسادهم وعصيانهم لأوامر الله: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾.

* وتحدثت عن بعض الآيات الكونية التى تدل على العظمة والوحدانية وعن النظام الدقيق الذى يحكم الليل والنهار، ويسير وفق ناموس ثابت لا يتبدل: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾..

* وتعرضت السورة إلى بعض الآداب الاجتماعية، والأخلاق الفاضلة الكريمة فحثت عليها ودعت إلى التحلى بها ليكون هناك المجتمع المثالى الفاضل بدءاً من قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾..

* وتحدثت عن ضلالات المشركين حيث نسبوا إلى الله تعالى الصاحبة والولد، والعجيب فى أمرهم أنهم يكرهون البنات، ثم ينسبونها إلى العلى الكبير، المنزه عن الشبيه والنظير: ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾..

* وتحدثت عن البعث والنشور، والمعاد والجزاء، الذى كثر حوله الجدل، وأقامت الأدلة

والبراهين على إمكانه، ثم تحدثت عن القرآن العظيم، معـجزة محمد ﷺ الخالدة، وذكرت تعنت المشركين فى اقتراحهم، حيث طلبوا معجزة أخرى غير القرآن، أن يفجر لهم الأنهار، ويجعل مكة حدائق وبساتين: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴾ .

* ثم ختمت السورة بتنزيه الله عن الشريك والولد، عن صفات النقص: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ .

التسمية: سميت السورة الكريمة (سورة الإسراء) لتلك المعجزة الباهرة معجزة الإسراء التى خص الله تعالى بها نبيه الكريم.

ويمضى سياق السورة فى أشواط خمسة متتابعة:

الشوط الأول: من الآية رقم (١) إلى الآية رقم (٢١) وفيه يذكر السياق الإسراء وحكمته.

الشوط الثانى: من الآية رقم (٢٢) إلى الآية رقم (٣٩) يبدأ بالتوحيد ليقيم عليها البناء الاجتماعى كله.

الشوط الثالث: من الآية رقم (٤٠) إلى الآية رقم (٥٧) يتحدث عن أوهام الوثنية الجاهلية.

الشوط الرابع: من الآية رقم (٥٨) إلى الآية رقم (٧٢) يوضح فيه لماذا لم يرسل الله محمد ﷺ بالمعجزات.

الشوط الخامس: من الآية رقم (٧٣) إلى الآية رقم (٨٨) ويستعرض فيه كيد المشركين لرسول الله ﷺ.

الشوط السادس: من الآية رقم (٨٩) إلى الآية رقم (١١١) وهو ختام السورة ويتحدث عن القرآن وإعجازه.

الشوط الأول

(الناموس الكونى)

وقواعد العمل والجزاء، والهدى والضلال، والكسب والحساب

من الآية رقم (١) قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ... ﴾

إلى الآية رقم (٢١) قوله تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ... ﴾

مدة الحفظ: يومان

تبدأ السورة بتسبيح الله: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾ وتذكر صفة العبودية ﴿ بِعَبْدِهِ ﴾ لتقريرها وتوكيدها فى مقام الإسراء والعروج إلى الدرجات التى لم يبلغها بشر. وهذه الرحلة هى رحلة مختارة من اللطيف الخبير.

والإسراء آية صاحبتها آيات: ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ ثم تجئ حلقة من سيرة بنى إسرائيل تتضمن نهايتهم التى صاروا إليها ودالت دولتهم بها. وتكشف عن العلاقة بين مصارع الأمم وفشوه الفساد فيها.

ويبدأ الحديث فى هذه الحلقة بذكر كتاب موسى -التوراة- وما اشتمل عليه: ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

ويختم السياق الآية بمصير الكافرين فى الآخرة لما بينه وبين مصير المفسدين من مشاكلة ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ تحصرهم فلا يفلت منهم أحد ثم ينتقل السياق إلى القرآن الذى يهدى للتى هى أقوم فى عالم الضمير، والتى هى أقوم فى التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، والتى هى أقوم فى علاقات الناس بعضهم ببعض، والتى هى أقوم فى تبنى الديانات السماوية جميعها.

ثم ينتقل السياق إلى آيات الله الكونية فى هذا الوجود، يربط بها نشاط البشر وأعمالهم وجهدهم وجزاءهم، وكسبهم وحسابهم فإذا هى جميعا مرتبطة ارتباطًا بالنواميس الكونية الكبرى ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾

فالناموس الكونى الذى يحكم الليل والنهار، يرتبط به سعى الناس للكسب. وعلم السنين والحساب. ويرتبط به كسب الإنسان من خير وشر وجزاؤه على الخير والشر. وترتبط به عواقب الهدى والضلال.

وبعد فإن من أراد أن يعيش لهذه الدنيا وحدها، فلا يتطلع إلى أعلى من الأرض التى يعيش فيها، فإن الله يجعل له حظه فى الدنيا حين يشاء ثم تنتظره فى الآخرة جهنم عن استحقاق. ﴿من كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾

على أن هؤلاء وهؤلاء إنما ينالون من عطاء الله: ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَٰؤُلاءِ وَهَٰؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾.

فمن شاء التفاوت الحق، ومن شاء التفاضل الضخم، فهو هناك فى الآخرة، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون لا فى متاع الدنيا القليل الهزيل...

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٠٤) إلى صفحة رقم (١٠٦)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	١	١١
	إلى	١٠	٢١

الشوط الثانى

(الوحدانية)

(وارتباطها بقواعد السلوك والآداب والتكاليف)

من الآية رقم (٢٢) قوله تعالى: ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...﴾

إلى الآية رقم (٣٩) قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ...﴾

مدة الحفظ: يومان

هذا الدرس يعرض شيئًا من أوامر هذا القرآن ونواهيه، مما يهدى للتى هى أقوم، ويفصل شيئا مما اشتمل عليه من قواعد السلوك فى واقع الحياة.

يبدأ الدرس بالنهى عن الشرك، وبإعلان قضاء الله بعبادته وحده: ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً﴾. إنه النهى عن الشرك والتحذير من عاقبته ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ فهو أمر بتوحيد المعبود بعد النهى عن الشرك والرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة، هى رابطة الأسرة: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾..

ثم يأخذ السياق فى تظليل الجو كله بأرق الظلال وفى استجاشة الوجدان بذكريات الطفولة ومشاعر الحب والحنان ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾

ثم يمضى السياق بعد الوالدين إلى ذوى القربى أجمعين ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾.

وبمناسبة التبذير والنهى عنه يأمر بالتوسط فى الإنفاق كافة: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾..

وكان بعض أهل الجاهلية يقتلون البنات خشية الفقر مع أن الرزق بيد الله: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾

ومن النهى عن قتل الأولاد إلى النهى عن الزنا، وحكمة تحريم الزنا أن فيه قتلا من

نواحى شتى، ففى النهاية تضيع الأنساب وتـختلط الدماء وتذهب الثقة فى العرض والولد. وما من أمة صارت فيها الفاحشة إلا صارت إلى انحلال.

ثم يختـتم بالنهى عن قتل الـنفس إلا بالحق. وكل نفس هى حرم لا يمس، وحـرام إلا بالحق وهذا الحق الذى يبيح قتل النفس مـحدد لا غموض فيه (إما القـصاص العادل، وإما دفع الفساد القـاتل فى انتشار الفاحـشة، وإما دفع الفساد الروحى الذى يـشيع الفوضى فى الجماعة) فهذه الأسباب الثلاثة هى المبيحة للقتل.

بعض أن ينتهى السياق من حرمة العرض وحرمة النفس، يتحدث عن حرمة مال اليتيم، وحرمة العهد. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾..

ومن الوفاء بالعهد إلى إيفاء الكيل والميزان. والطمع فى الكيل والوزن قذارة وصغار فى النفس، وغش وخيانة فى التعامل تتزعزع بهما الثقة.

وتختم هذه الأوامر والنواهى المرتبطة بعـقيدة التوحيد بالنهى عن الكبـر الفارغ والخيلاء الكاذبة: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾..

ويجئ فى النهـاية ختام يشـبه الابتداء فـيربط الأوامـر والنواهى بالله وعقيـدة التوحـيد والتحذير من الشرك: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾..

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٠٦) إلى صفحة رقم (١٠٨)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٢٢	٢٩
	إلى	٢٨	٣٩

الشوط الثالث

(أوهام الوثنية الجاهلية)

من الآية رقم (٤٠) قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ...﴾

إلى الآية رقم (٥٧) قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ...﴾

مدة الحفظ: يومان

يبدأ هذا الدرس وينتهي باستنكار فكرة الولد والشريك وبيان ما فيه من اضطراب وتهافت.

فيبدأ الدرس باستفهام للإستنكار والتهكم. استنكار لما يقولون من أن الملائكة بنات الله تعالى سبحانه عن الولد والصاحبة كما تعالى عن الشبيه والشريك ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾..

ثم يرسم السياق للكون كله -بما فيه ومن فيه- مشهداً فريداً، تحت عرش الله يتوجه كله إلى الله، يسبح له ويجد الوسيلة إليه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾..

ولقد كان كبراء قريش يستمعون إلى القرآن، ولكنهم يجاهدون قلوبهم ألا ترق له، فجعل الله بينهم وبين الرسول حجابًا خفيا، وجعل على قلوبهم كالأغلفة فلا تفقه القرآن: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾..

لقد كانت الفطر تدفعهم إلى التسمع والتأثر، والكبرياء تدفعهم عن التسليم والإذعان فيطلقون التهم على الرسول ﷺ يعتذرون بها عن المكابرة والعناد.

أيضا كذبوا بالبعث وكفروا بالآخرة ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾

ثم يلتفت السياق إلى عباد الله المؤمنين ليوجههم الرسول ﷺ أن يقولوا الكلمة الطيبة وينطقوا دائما بالحسنى ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾

وبعد هذه اللفته يعـود السياق إلى مصائر القوم وفى تفـضيل بعض النبيين على بعض وهو تفضيل يعلم الله أسبابه ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً (٥٤) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾

وينتهى هذا الدرس بتحدى الذين يزعمون الشـركاء، أن يدعوا الآلهة المدعاة إلى كشف الضر عنهم لو شاء الله أن يعذبهم، أو تحويل العذاب إلى سواهم: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً ﴾.

وهكذا يبدأ الدرس ويختم ببيان تفاهة عقائد الشرك فى كل صورها. وتفرد الله سبحانه بالألوهية والعبادة والاتجاه.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٠٨) إلى صفحة رقم (١٠٩)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٤٠	٤٩
	إلى	٤٨	٥٧

الشوط الرابع

(المصير النهائى للبشر جميعا)

من الآية رقم (٥٨) قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا...﴾

إلى الآية رقم (٧٢) قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى...﴾

مدة الحفظ: يومان

الآن يستطرد السياق إلى بيان المصير النهائى للبشر جميعا -كما قدره الله فى علمه وقضائه- وهو انتهاء القرى جميعها إلى الموت والهلاك يوم القيامة، أو وقوع العذاب ببعضها إن ارتكبت ما يستحق العذاب. فلا يبقى حى إلا ويلاقى نهايته على أى الوجهين: الهلاك حتف أنفه أو الهلاك بالعذاب.

وبمناسبة ذكر العذاب الذى يحل ببعض القرى يشير السياق إلى ما كان يسبقه من الخوارق على أيدى الرسل -قبل رسالة محمد ﷺ- هذه الخوارق التى امتنعت فى هذه الرسالة، لأن الأولين الذى جاءتهم كذبوا بها ولم يهتدوا فحق عليهم الهلاك والهلاك لم يقدر على أمة محمد ﷺ لذلك لم يرسله بالخوارق الماديه ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾.

أما الخوارق التى وقعت للرسول ﷺ وأولها خارقة الإسراء والمعراج فلم تتخذ معجزة مصدقة للرسالة. إنما جعلت فتنة للناس وابتلاء: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾.

ثم يجئ مشهد إبليس الملعون، يهدد ويتوعد بإغواء الضالين: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾.

ذلك ما يبيته الشيطان للناس من شر وأذى، ثم يوجد فى الناس من يتبعون هذا الشيطان، ويستمعون إليه، ويعرضون عن نداء الله لهم وهدايته. ثم يجئ السياق يعرض

نموذجًا للحظات الشدة والحرج: ﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا ﴾

ولكن الإنسان هو الإنسان ينسى لحظة الشدة، فينسى الله وتجرفه الشهوات ألا إنها الغفلة أن يعرض الناس عن ربهم ويكفروا. ثم يأمنوا أخذه وكيـده. وهم يتوجهون إليه وحده فى الشدة ثم ينسونه بعد النجاة. كأنها آخر شدة يمكن أن يأخذهم بها الله.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٠٩) إلى صفحة رقم (١١١)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٥٨	٦٦
	إلى	٦٥	٧٢

الشوط الخامس

(كيد المشركين لرسو ل الله ﷺ)

من الآية رقم (٧٣) قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ...﴾

إلى الآية رقم (٨٨) قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ...﴾

مدة الحفظ: يومان

هذا الدرس يقوم على المحور الرئيسى للسورة. شخص الرسول ﷺ وموقف القوم منه. والقرآن الذى جاء به وخصائص هذا القرآن.

فهو يبدأ بالإشارة إلى محاولات المشركين مع الرسول ليفتنوه عن بعض ما أنزل الله إليه ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾

ومن ثم يؤمر الرسـول ﷺ أن يمضى فى طريقه: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾

ثم يجئ بيان لوظيفـة القرآن فهو شفـاء ورحمة لمن يؤمنون به ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾

وبمناسبـة الرحمـة والعذاب يذكر الـسياق شـيئًا من صـفة الإنسـان فى حالتى الرحـمة والعذاب فـهو فى النعمـة متبطر مـعرض، وهو فى النقـمة يؤوس قنوط ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (٨٣) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾.

ثم يذكر أن هذا القرآن المعجز الذى لا يستطيع الإنسان والجن أن يأتوا بمثله ولو اجتمعوا وتظاهروا: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

فهذا القرآن ليس ألـفاظًا وعبارات يحاول الإنس والجن أن يحاكوهـا، إنما هو كسائر ما يبدعه الله يعجز المخلوقون أن يصنعوه.

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٧٣	٨١
	إلى	٨٠	٨٨

تفسير آيات هذا الدرس

من صفحة رقم (١١١) إلى صفحة رقم (١١٣)

الشوط السادس

(القرآن واعجازه)

من الآية رقم (٨٩) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ...﴾

إلى الآية رقم (١١١) قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا...﴾

مدة الحفظ: يومان

أن القرآن منهج حياة كامل. منهج ملحوظ فيه نواميس الفطرة التى تصرف النفس البشرية فى كل أطوارها وأحوالها، والتى تصرف الجماعات الإنسانية فى كل ظروفها وأطوارها. من ثم فهو يعالج النفس المفردة، ويعالج الجماعة المتشابكة، بالقوانين الملائمة للفطرة المتغلغلة فى وشائجها ودروبها ومنحنياتها الكثيرة. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩) وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾.

وهى كلها مقترحات ساذجة فتبدو فيها طفولة الإدراك والتصور، كما يبدو التعنت فى هذه المقترحات. والخارقة ليست من صنع الرسول، ولا هى من شأنه، إنما هى من أمر الله سبحانه وفق تقديره وحكمته. وليس من شأن الرسول أن يطلبها إذا لم يعطه الله إياها.

لقد استبعدوا أن يكون الرسول بشرًا، ولا يكون ملكًا: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ وقد نشأ هذا الوهم من عدم إدراك الناس لقيمة بشريتهم وكرامتها على الله.

ولقد أمر الله الرسول ﷺ أن ينهى معهم الجدل وأن يكل أمره، وأمرهم إلى الله يشهده عليهم: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٦) وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾.

وهذه هى النهاية المفزعة والجزاء المخيف لهؤلاء الذين يستحقونه وهم الذين كفروا بآيات الله.

على أن أولئك الذين يقترحون على الرسول ﷺ تلك المقترحات المتعنتة من بيوت

الزخرف، وجنات النخيل والأعناب، والينابيع المتفجرة... بخلاء أشحاء حتى لو أن رحمة الله قد وكلت إليهم خزائنها لأمسكوا وبخلوا خوفًا من نفادها: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا﴾

وعلى أية حال فإن كثرة الخوارق لا تنشئ الإيمان فى القلوب الجاحدة. وها هو ذا موسى قد أوتى تسع آيات بينات ثم كذب بها فرعون وملؤه، فحل بهم الهلاك جميعا: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا (١٠٣) وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾.

والآيات التسع المشار إليها هنا هى اليد البيضاء والعصا وما أخذ الله فرعون وقومه من السنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم.

﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾ فهم شهداء على ما كان بين موسى وفرعون.

أما هذا القرآن فقد جاء بالحق ليكون آية دائمة، ونزل مفرقًا ليقرأ علي مهل فى الزمن الطويل: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾.

وتختم السورة كما بدأت بحمد الله وتقرير وحدانيته بلا ولد ولا شريك ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١١٣) إلى صفحة رقم (١١٥)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٨٩	٩٩
	إلى	٩٨	١١١

سورة الكهف

(مكية) وآياتها: ١١٠ آية

مدة الحفظ: ١٢ يوم

هذه السورة: من السور المكيـة، وهى إحدى سور خمس بدئت بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وهذه السور هى (الفـاتحة، الأنعام، الكهف، سبـأ، فاطر) وكلها تبتـدئ بتمجيـد الله جل وعلا وتقديسه والاعتراف له بالعظمة والكبرياء، والجلال والكمال.

* تعرضت السـورة الكريمة لثلاث قـصص من روائع قصص القـرآن، فى سبـيل تقرير أهدافها الأساسية لتثبيت العقيدة، والإيمان بعظمة ذى الجلال...

أما الأولى: قصـة (أصحاب الكهف) وهى قصة التضـحية بالنفس فى سبيل العـقيدة، وهم الفتية المؤمنون الذين خرجـوا من بلادهم فراراً بدينهم، ولجأوا إلى غارٍ فى الجبل، ثم مكثوا فيه نيامًا ثلاثمائة وتسع سنين، ثم بعثهم الله بعد تلك المدة الطويلة.

والقصة الثانية: قصة موسى مع الخضر، وهى قصة التواضع فى سبيل طلب العلم، وما جري من الأخـبار الغيبـية التى أطلع الله عليهـا ذلك العبد الصـالح (الخضر) ولم يعرفـها موسى عليه السلام حتى أعلمه الخضر كقصة السفينة، وحادثة قتل الغلام، وبناء الجدار.

والقصـة الثالثة: قـصة (ذى القرنين) وهو ملك مـكن الله تعالى له بالتقـوى والعدل أن يبسط سلطانه على المعمورة، وأن يملك مشارق الأرض ومغاربها، وما كان من أمره فى بناء السد العظيم.

التسمية: سميت (سورة الكهف) لما فـيها من المعجزة الربانية، فى تلك القصـة العجيبة (قصة أصحاب الكهف)

ويسير سياق السورة حول هذه الموضوعات الرئيسية فى أشواط متتابعة:

الشوط الأول: من الآية رقم (١) إلى الآية رقم (٢٧) وفيه يذكر قصة أصحاب الكهف.

الشوط الثانى: من الآية رقم (٢٨) إلى الآية رقم (٤٦) وفيه يذكر قصة الجنتين.

الشوط الثالث: من الآية رقم (٤٧) إلى الآية رقم (٥٩) وفيه قصة آدم وإبليس.

الشوط الرابع: من الآية رقم (٦٠) إلى الآية رقم (٨٢) وفيه قصة موسى مع العبد الصالح.

الشوط الخامس: من الآية رقم (٨٣) إلى الآية رقم (١١٠) وفيه قصة ذى القرنين.

الشوط الأول

(قصة أصحاب الكهف)

من الآية رقم (١) قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ..﴾

إلى الآية رقم (٢٧) قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ..﴾

مدة الحفظ: ثلاثة أيام

تبدأ السورة بالحمد لله الذى أنزل على عباده الكتاب للإنذار والتبيشير. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾

بدء فيه استقامة، وفيه صرامة. وفيه حمد لله على إنزاله الكتاب ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ بهذه الاستقامة، لا عوج فيه ولا التواء، ولا مداراة ولا مداورة ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ وهذا هو الغرض من إنزاله الكتاب.

وفيما يشبه الإنكار يخاطب الرسول ﷺ الذى كان يحزنه أن يكذب قومه بالقرآن ويعرضوا عن الهدى. ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾

وما يستحق هؤلاء أن تحزن عليهم وتأسف. فدعهم فقد جعلنا ما على الأرض من زخرف ومتاع، وأموال وأولاد... جعلناه اختبارًا وامتحانًا لأهلها. ونهاية هذه الزينة محتومة فستعود الأرض مجردة منها، وسيهلك كل ما عليها، فتصبح يوم القيامة سطحًا أجرد خشنا جدبًا: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾

ثم تجئ قصة أصحاب الكهف، فتعرض نموذجًا للإيمان فى النفوس المؤمنة. كيف تطمئن به، وتؤثره على زينة الأرض ومتاعها، وتلجأ به إلى الكهف حين يعز عليها أن تعيش به مع الناس. وكيف يرعى الله هذه النفوس المؤمنة، ويقيها الفتنة، ويشملها الرحمة.

وقد ورد فى سبب نزول هذه القصة ونزول قصة ذى القرنين أن اليهود أغروا أهل مكة بسؤاله ﷺ عنهما وعن الروح. أو أن أهل مكة طلبوا إلى اليهود أن يصوغوا لهم أسئلة يختبرون بها الرسول ﷺ...

إن الطريقة التى اتبعت فى عرض القصة هى طريقة التخليص الإجمالى أولاً، ثم العرض التفصيلى أخيرًا. وهى تبدأ هكذا: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا

﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾

وهو تلخيص يجمل القصـة، ويرسم خطوطها الرئيسية العريضـة. فنعرف أن أصحاب الكهف فتية -لا نعلم عددهم- آووا إلى الكهف وهم مؤمنون. وأنه ضرب على آذانهم فى الكهف -أى ناموا- سنين معدودة- لا نعلم عددها- وأنهم بعثوا من رقدتهم الطويلة. وأنه كان هناك فريقـان يتجادلان فى شأنهم ثم لبثـوا فى الكهف فبعثوا ليـتبين أى الفريقين أدق إحصاء. وأن قصـتهم على غرابتها ليست بأعجب آيـات الله وفى صفحات هذا الكون من العجائب وفى ثناياه من الغرائب ما يفوق قصة أصحاب الكهف والرقيم.

وبعد هذا التلخيص المشوق للقصة يأخذ السيـاق فى التفصيل. ويبدأ هذا التفصيل بأن ما سيقصه الله منها هو فصل الخطاب فى الروايات المتضاربة.

وهو الحق اليقين: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾.

* ثم يعقب على القصة بإعلان الوحدانيـة الظاهرة الأثر فى سير القصة وأحداثها: ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾.

* وبتوجيه الرسول ﷺ إلى تلاوة ما أوحاه ربه إليه، وفيه فصل الخطاب -وهو الحق الذى لا يأتيه الباطل- والاتجاه إلى الله وحده، فليس من حمى إلا حـماه. وقد فر إليه أصحاب الكهف فشملهم برحـمته وهداه: ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ وهكذا تنتهى القصة.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١١٥) إلى صفحة رقم (١١٨)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١	٩	١٨
	إلى	٨	١٧	٢٧

الشوط الثانى
(قصة الجنتين)

من الآية رقم (٢٨) قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم...﴾

إلى الآية رقم (٤٦) قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾

مدة الحفظ: ثلاثة أيام

هذا الدرس كله تقرير للقيم فى ميزان العقيدة. إن القيم الحقيقية ليست هى المال، وليست هى الجاه، وليست هى السلطان. كذلك ليست هى اللذائذ والمتاع فى هذه الحياة... إن هذه كلها قيم زائفة وقيم زائلة. والإسلام لا يحرم الطيب منها، ولكنه لا يجعل منها غاية لحياة الإنسان. فمن شاء أن يتمتع بها فليتمتع، ولكن ليذكر الله الذى أنعم بها. وليشكره على النعمة بالعمل الصالح، فالباقيات الصالحات خير وأبقى.

وهو يبدأ بتوجيه الرسول ﷺ أن يصبر نفسه مع الذين يتجهون إلى الله، وأن يغفل ويهمل الذين يغفلون عن ذكر الله. ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.

ثم يضرب للفريقين مثلاً رجلين: أحدهما يعتز بما أوتى من مال وعزة ومتاع. والآخر يعز بالإيمان الخاص، ويرجو عند ربه ما هو خير. ثم يعقب بمثل يضرب للحياة الدنيا كلها، فإذا هى قصيرة زائلة كالهشيم تذروه الرياح. وينتهى من ذلك كله بتقرير الحقيقة الباقية: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾.

إنها زينة ولكنهما ليسا قيمة. فما يجوز أن يوزن بهما الناس ولا أن يقدَّروا على أساسهما فى الحياة. إنما القيمة الحقة للباقيات الصالحات من الأعمال والأقوال والعبادات.

وإذا كان أمل الناس عادة يتعلق بالأموال والبنين فإن الباقيات الصالحات خير ثوابًا وخير أملاً. عندما تتعلق بها القلوب، ويناط بها الرجاء، ويرتقب المؤمنون نتاجها وثمارها يوم الجزاء.

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٢٨	٣٥	٤٢
	إلى	٣٤	٤١	٤٦

تفسير آيات هذا الشوط

من صفحة رقم (١١٩) إلى صفحة رقم (١٢١)

الشوط الثالث
(مشاهد القيامة)

من الآية رقم (٤٧) قوله تعالى: ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة...﴾

إلى الآية رقم (٥٩) قوله تعالى: ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا...﴾

مدة الحفظ: يومان

انتهى الدرس السابق بالحديث عن الباقيات الصالحات، فهنا يصله بوصف اليوم الذى يكون للباقيات الصالحات وزن فيها وحساب، يعرضه فى مشهد من مشاهد القيامة ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا﴾ ويتبعه فى السياق بإشارة إلى ما كان من إبليس يوم أمر بالسجود ففسق عن أمر ربه للتعجيب من أبناء آدم الذين يتخذون الشياطين أولياء، وقد علموا أنهم لهم أعداء، وبذلك ينتهون إلى العذاب فى يوم الحساب ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾ ويعرج على الشركاء الذين لا يستجيبون لعبادهم فى ذلك اليوم الموعود: ﴿ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا﴾

هذا وقد صرف الله فى القرآن الأمثال للناس ليقوا أنفسهم شر ذلك اليوم، ولكنهم لم يؤمنوا، وطلبوا أن يحل بهم العذاب أو أن يأتيهم الهلاك الذى نزل بالأمم قبلهم: ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ﴿٥٤﴾ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا﴾

وجادلوا بالباطل ليغلبوا الحق، واستهزؤا بآيات الله ورسله. ولولا رحمة الله لعجل لهم العذاب: ﴿وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا﴾

فهذا الشوط من مشاهد القيامة، ومن مصارع المكذبين يرتبط بمحور السورة الأصيل فى تصحيح العقيدة، وبيان ما ينتظر المكذبين، لعلهم يهتدون ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا﴾. لا يغرنهم إمهال الله لهم، فإن موعدهم بعد ذلك آت. وسنة الله لا تتخلف. والله لا يخلف الميعاد.

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٤٧	٥٤
	إلى	٥٣	٥٩

تفسير آيات هذا الشوط

من صفحة رقم (١٢١) إلى صفحة رقم (١٢٢)

الشوط الرابع

(موسى مع العبد الصالح)

من الآية رقم (٦٠) قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسىٰ لفتاه...﴾

إلى الآية رقم (٨٢) قوله تعالى: ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين...﴾

مدة الحفظ: يومان.

هذه الحلقة من سيرة موسى -عليه السلام- لا تذكر فى القرآن كله إلا فى هذا الموضع من هذه السورة. والقرآن لا يحدد المكان الذى وقعت فيه إلا بأنه (مجمع البحرين) ولا يحدد التاريخ الذى وقعت فيه من حياة موسى.

كذلك لا يذكر القرآن شيئا عن العبد الصالح الذى لقيه موسى. من هو؟ ما اسمه؟ هل هو نبى أو رسول؟ أم عالم؟ أم ولى؟

ونفهم من سياق القصة فيما بعد أنه كان لموسى -عليه السلام- هدف من رحلته هذه التى اعتز بها، وأنه كان يقصد من ورائها أمرًا، فهو يعلن تصميمه على بلوغ مجمع البحرين مهما تكن المشقة، ومهما يكن الزمن الذى ينفقه فى الوصول. وهو يعبر عن هذا التصميم، لا عن المدة على وجه التحديد: ﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا ﴿٦١﴾ فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴿٦٢﴾ قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا﴾

والأرجح والله أعلم- أن مجمع البحرين: بحر الروم وبحر القلزوم أى البحر الأبيض والبحر الأحمر ومجمعهما مكان التقائهما فى منطقة البحيرات المرة وبحيرة التمساح. أو أنه مجمع خليجى العقبة والسويس فى البحر الأحمر. فهذه المنطقة كانت مسرح تاريخ بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر. وعلى أى فقد تركها القرآن مجملة.

والأرجح كذلك أن هذا الحوت كان مشويًا، وأن إحياءه واتخاذ سبيله فى البحر سربًا كان آية من آيات الله لموسى.

وأدرك موسى أنه جاوز الموعد الذى حدده ربه للقاء عبده الصالح. وأنه هنالك عند الصخرة ثم عاد على أثره هو وفتاه فوجداه. ﴿قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا ﴿٦٤﴾ فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾

ويبدو أن هذا اللقاء كان سر موسى وحده مع ربه، فلم يطلع عليه فتاه حتى لقياه، ومن ثم ينفرد موسى والعبد الصالح فى المشاهد التالية للقصة التى تتضح معالمها بالتفصيل فى تفسير الآيات ونراها رأى العين.

المشهد الأول: هو مشهد السفينة التى تحملهما وتحمل معهما ركابًا، وهم فى وسط اللجة، ثم يجئ هذا العبد الصالح فيخرق السفينة!

والمشهد الثانى: هو قتل نفس. قتل عمد لا مجرد احتمال (فلقد قتل غلامًا)!!!

والمشهد الثالث: إنهما جائعان، وهما فى قرية أهلها بخلاء، لا يطعمون جائعًا، ولا يستضيفون ضيفًا. ثم يجد أن جداراً مائلاً بهم أوشك أن ينقض فإذا الرجل الغريب يشغل نفسه بإقامة الجدار دون مقابل!!!

وإلى التفسير...

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٢٢) إلى صفحة رقم (١٢٤)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٦٠	٧٤
	إلى	٧٣	٨٢

الشوط الخامس

(قصة ذى القرنين)

من الآية رقم (٨٣) قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ...﴾

إلى الآية رقم (١١٠) قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ...﴾

مدة الحفظ: يومان.

هذا الدرس الأخير فى سورة الكهف قوامه قصة ذى القرنين، ورحلاته الثلاث إلى الشرق وإلى الغرب وإلى الوسط، وبناؤه للسد فى وجه يأجوج ومأجوج.

والسياق يحكى عن ذى القرنين قوله بعد بناء السد: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾. ثم يعقب الوعد الحق، بالنفخ فى الصور ومشهد من مشاهد القيامة... ويقول صاحب الظلال يرحمه الله: (والنص لا يذكر شيئًا عن شخصيته ذى القرنين ولا عن زمانه أو مكانه.

لقد سأل سائلون عن ذى القرنين. سألوا الرسول ﷺ فأوحى إليه الله بما هو وارد هنا من سيرته. وليس أمامنا مصدر آخر غير القرآن فى هذه السيرة. فنحن لا نملك التوسع فيها بغير علم. وقد وردت فى التفاسير أقوال كثيرة ولكنها لا تعتمد على يقين. وينبغى أن تؤخذ بحذر، لما فيها من إسرائيليات وأساطير.

وقد سجل السياق القرآنى ذى القرنين ثلاث رحلات: واحدة إلى المغرب: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾

وواحدة إلى المشرق: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾

وواحدة إلى مكان بين السدين: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ

وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾

فلنتابع السياق عند تفسير الآيات فى هذه الرحلات الثلاث. . . ثم تختم السورة بالإيقاعات الأخيرة، تلخص خطوطها الكثيرة، وتجمع إيقاعاتها المتفرقة:

فأما الإيقاع الأول: فهو الإيقاع حول القيم والموازين كما هى فى عرف الضالين، وكما هى على وجه اليقين. . ثم الأعمال وقيم الأشخاص. ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾

وأما الإيقاع الثانى: فيصور العلم البشرى المحدود بالقياس إلى العلم الإلهى الذى ليست له حدود، ويقربه إلى تصور البشر القاصر بمثال محسوس على طريقة القرآن فى التعبير بالتصوير. ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾.

والإيقاع الثالث: يرسم أعلى أفق للبشرية -وهو أفق الرسالة الكاملة الشاملة فإذا هو قريب محدود بالقياس إلى الأفق الأعلى الذى تتقاصر دونه الأبصار، وتنحسر دونه الأنظار: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

وهكذا تختم السورة -التى بدأت بذكر الوحى والتوحيد -بتلك الإيقاعات المتدرجة فى العمق والشمول، حتى تصل إلى نهايتها فيكون هذا الإيقاع الشامل العميق.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٢٤) إلى صفحة رقم (١٢٦)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٨٣	٩٨
	إلى	٩٧	١١٠

سورة مريم

«مكية» وآياتها ٩٨ آية

مدة الحفظ: ٧ أيام

هذه السورة

* روى أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قرأ صدرها على النجاشى وأصحابه.

وهى تدور على محور التوحيد، ونفى الولد والشريك، ويلم بقضية البعث القائمة على قضية التوحيد... هذا هو الموضوع الأساسى الذى تعالجه السورة، كالشأن فى السور المكية غالبًا. والقصص هو مادة هذه السورة:

* عرضت السورة الكريمة لقصص بعض الأنبياء مبتدئة بقصة نبى الله (زكريا) وولده (يحيى) الذى وهبه على الكبر من امرأة عاقر لا تلد، ولكنَّ الله قادر على كل شئ يسمع دعاء المكروب، ويستجيب لنداء الملهوف، ولذلك استجاب الله دعاءه ورزقه الغلام النبيه. ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾

* وعرضت السورة لقصة أعجب وأغرب، تلك هى قصة (مريم العذراء) وإنجابها لطفل من غير أب، وقد شاءت الحكمة الإلهية أن تبرز تلك المعجزة الخارقة بميلاد عيسى من أم بلا أب، لتظل آثار القدرة الربانية ماثلة أمام الأبصار، بعظمة الواحد القهار. ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾

* وتحدثت كذلك عن قصة إبراهيم مع أبيه، ثم ذكر بالثناء والتبجيل رسل الله الكرام: (إسحاق، يعقوب، موسى، هارون، إسماعيل، إدريس، نوحا) وقد استغرق الحديث عن هؤلاء الرسل الكرام ثلثى السورة، والهدف من ذلك إثبات (وحدة الرسالة) وأن الرسل جميعا جاءوا لدعوة الناس إلى توحيد الله، ونبذ الشرك والأوثان.

* وتحدثت السورة عن بعض مشاهد القيامة، وعن أهوال ذلك اليوم الرهيب، حيث يجثو فيه الكفرة المجرمون حول جهنم ليقذفوا فيها، ويكونوا وقودًا لها.

* وختمت السورة الكريمة بتنزيه الله عن الولد، والشريك، والنظير، وردت على ضلالات المشركين بأنصع بيان، وأقوى برهان ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾

التسمية: سميت: (سورة مريم) تخليدًا لتلك المعجزة الباهرة، فى خلق إنسان بلا أب، ثم إنطاق الله للوليد وهو طفل فى المهد، مـا جرى من أحداث غريبة رافقت ميلاد عيسى عليه السلام. ويسير السياق مع موضوعات السورة فى أشواط ثلاثة:

الشوط الأول: من الآية رقم (١) إلى الآية رقم (٤٠) ويتضمن ذكر قصة زكريا ويحيى.

الشوط الثانى: من الآية رقم (٤١) إلى الآية (٦٥) ويتضمن حلقة من قصة إبراهيم مع أبيه وقومه.

الشوط الثالث: من الآية رقم (٦٦) إلى الآية رقم (٩٨) ويستعرض فيه الجدل حول قضية البعث وبعض من مشاهد القيامة...

ونختتم التعريف بهذ السورة الكريمة بما كتبه الشيخ محمد الغزالى يرحمه الله: (الذى يجب أن يعرفه الكل أن ما عدا الله من إنس وجن وملك: عبد له لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا أمامه، فكيف يجدى مع غيره؟ واسمع الآيات تقصف كالرعد ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا (٩٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ والله سبحانه يبغض من أشرك به، ولا يغفر له جريمته، ويقبل الموحدين، ويقبل عليهم بالود والرحمة، وما جعل إنسان التوحيد قاعدته ثم انطلق فى دروب الحياة مرتبطًا به إلا أحبه الله، وجعل أهل السماء والأرض يحبونه ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ وفى الحديث: قال رسول الله ﷺ [ان الله سبحانه إذان أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إنى أحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض] اللؤلؤ والمرجان ص ٧١٣ رقم ١٦٩٢ قال أحد الصالحين: ما أقبل عبد على الله بقلبه إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾

الشوط الأول
(قصة زكريا ويحيى)

من الآية رقم (١) قوله تعالى: ﴿كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا...﴾

إلى الآية رقم (٤٠) قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا...﴾

مدة الحفظ: ثلاثة أيام

. تبدأ القصة بمشهد الدعاء. دعاء زكريا لربه فى ضراعة وفى خفية: ﴿كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾

إنه يناجى ربه بعيداً عن عيون قومه، بعيداً عن أسماعهم. فى عزلة يخلص فيها لربه.. ثم ترتسم لحظة الاستجابة فى رعاية وعطف ورضا.. فالرب ينادى عبده من الملأ الأعلى ﴿يَا زَكَرِيَّا﴾ ويعجل له البشرى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ ويغمره بالعطف فيختار له اسم الغلام الذى بشره به: ﴿اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ وهو اسم فذ غير مسبوق: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

ويترك السياق زكريا بعد أن أفاق من غمرة الفرح. فإذا هو يواجه الواقع. كيف؟ ويجيئه الجواب على سؤاله: أن هذا هين على الله سهل ويذكره بمثل قريب فى نفسه: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾

ومع ذلك يطلب آية وعلامة على تحقيق البشرى فعلاً. فأعطاه الله آية تناسب الجو النفسى الذى كان فيه الدعاء وكانت فيه الاستجابة: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ وكان ذلك: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾

ويترك السياق زكريا فى صمته وتسبيحه ليفتح الصفحة الجديدة على يحيى، يناديه ربه من الملأ الأعلى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ وبعد النداء يكشف السياق عما زود به يحيى لينهض بالتبعة الكبرى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ فهذه هى المؤهلات التى زوده الله بها وأعده وأعانه على احتمال ما كلفه إياه عندما ناداه. ويسدل الستار على يحيى كما أسدل على زكريا من قبل والآن فإلى قصة أعجب من قصة ميلاد يحيى. إنها قصة ميلاد عيسى. وقد تدرج السياق من القصة الأولى ووجه العجب فيها هو ولادة العاقر من بعلها الشيخ، إلى الثانية ووجه العجب فيها وولادة العذراء من غير زوج!

وهى أعجب وأغرب.

ونظرًا لغرابة الحادث وضخامته فقد عز على فرق من الناس أن تتصوره على طبيعته وأن تدرك الحكمة فى إبرازه، فجعلت تضفى على عيسى ابن مريم -عليه السلام- صفات ألوهية، وتصوغ حول مولده الخرافات والأساطير، وتعكس الحكمة من خلقه على هذا النحو العجيب، -وهى إثبات القدرة الإلهية التى لا تتقيد- تعكسها فتشوه عقيدة التوحيد.

والقرآن فى هذه السورة يقص كيف وقعت هذه العجيبه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾

ويبرز دلالتها الحقيقية، وينفى تلك الخرافات والأساطير.

والسياق يخرج القصة فى مشاهد مثيرة، حافلة بالعواطف والانفعالات، التى تهز من يقرؤها هزًا كأنما هو يشهدها.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٢٧) إلى صفحة رقم (١٣٠)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١	١٥	٣٤
	إلى	١٤	٣٣	٤٠

الشوط الثانى

(قصة إبراهيم)

من الآية رقم (٤١) قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ...﴾

إلى الآية رقم (٦٥) قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ...﴾

مدة الحفظ: يومان

انتهت قصة ميلاد عيسى بكشف ما فى أسطورة الولد من نكارة وكذب وضلال، وهى التى يستند إليها بعض أهل الكتاب فى عقائدهم الفاسدة وتليها فى السورة حلقة من قصة إبراهيم تكشف عما في عقيدة الشرك من نكارة وكذب وضلال كذلك. وإبراهيم هو الذي ينتسب إليه العرب. ويقول المشركون: إنهم سدنة البيت بناه هو وإسماعيل.

وتبدو فى هذه الحلقة شخصية إبراهيم الرضى الحليم... ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ تبدو وداعته وحلمه فى ألفاظه وتعبيراته التى يحكى القرآن الكريم ترجمتها بالعربية، وفى تصرفاته ومواجهته للجهالة من أبيه. كما تتجلى رحمة الله به وتعويضه عن أبيه وأهله المشركين ذرية صالحة تنسل أمة كبيرة، فيها الأنبياء والصالحون وقد خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ينحرفون عن الصراط الذى سنه لهم أبوهم إبراهيم. هم هؤلاء المشركون.

ثم يمضى السياق مع ذرية إبراهيم: مستطرداً مع فرع إسحق فيذكر موسى وهارون: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥١) وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾

ثم يعود السياق إلى الفرع الآخر من ذرية إبراهيم. فيذكر إسماعيل أبا العرب: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾

وأخيراً يختم السياق فى هذه الإشارات بذكر إدريس: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾

يستعرض السياق أولئك الأنبياء، ليوازن بين هذا الرعيل من المؤمنين الأتقياء وبين الذين خلفوهم سواء من مشركى العرب أو مشركى بنى إسرائيل.. فإذا المفارقة صارخة والمسافة

شاسعة والهوة عميقة والفارق بعيد بين السلف والخلف: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨) فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾

ويختم هذا الدرس بإعلان الربوبية المطلقة لله، والتوجيه إلى عبادته والصبر على تكاليفها. ونفى الشبيه والنظير: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾

﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾... والعبادة فى الإسلام ليست مجرد الشعائر. إنما هى كل نشاط: كل حركة. كل خلجة. كل نية. كل اتجاه.

إنه منهج حياة كامل، يعيش الإنسان وفقه، وهو يستشعر فى كل صغيرة وكبيرة طوال الحياة أنه يتعبد الله، فيرتفع فى نشاطه كله إلى أفق العبادة الطاهر الوضئ وإنه لمنهج يحتاج إلى الجهد والمعاناة.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٣٠) إلى صفحة رقم (١٣٢)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٤١	٥٦
	إلى	٥٥	٦٥

الشوط الثالث

(البعث ومشاهد القيامة)

من الآية رقم (٦٦) قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا... ﴾

إلى الآية رقم (٩٨) قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ... ﴾

مدة الحفظ: يومان

هذا الدرس الأخير فى السورة يمضى فى جدل حول عقائد الشرك وحول إنكار البعث ويعرض فى مشاهد القيامة مصائر البشر فى مواقف حية حافلة بالحركة والانفعال، يشارك فيها الكون كله، سماواته وأرضه، إنسه وجنه، مؤمنوه وكافروه. ﴿ وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠) وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾

وينتقل السياق بمشاهدة بين الدنيا والآخرة، فإذا هما متصلتان. تعرض المقدمة هنا فى هذه الأرض، وتعرض نتيجتها هنالك فى العالم الآخر، فلا تتجاوز المسافة بضع آيات أو بضع كلمات. مما يلقى فى الحس أن العالمين متصلان مرتبطان متكاملان: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨) كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾

وهذا نموذج من تبجح الكافرين، وقولة أخرى من أقوالهم يستنكرها ويعجب منها.

ويستطرد السياق فى استعراض ظواهر الكفر والشرك: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦) لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾

ثم يستطرد السياق مرة أخرى إلى مقولة منكرة من مقولات المشركين. ذلك حين يقول المشركون من العرب: الملائكة بنات الله. والمشركون من اليهود: عزير ابن الله. والمشركون من النصارى: المسيح ابن الله فينتفض الكون كله لهذه المقولة المنكرة التى تنكرها فطرته

وينفر منها ضميره: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ .

وتختم السورة بمشهد يتأمله القلب طويلاً، ويرتعش له الوجدان طويلاً، ولا ينتهى الخيال من استعراضه: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ .

فإذا الصمت يختم، والموت يجثم، وإذا الجثث والأشلاء والبلى والدمار، لا حس، لا حركة. لا صوت... ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ انظر وتلفت ﴿ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ تسمع وأنصت. ألا إنه السكون العميق والصمت الرهيب. وما من أحد إلا الواحد الحى الذى لا يموت.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٣٢) إلى صفحة رقم (١٣٤)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٦٦	٨٣
	إلى	٨٢	٩٨

سورة طه

«مكية» وآياتها ١٣٥ آية

مدة الحفظ: ٩ أيام

هذه السورة: تبدأ وتختم خطابًا للرسول ﷺ ببيان وظيفته وحدود تكاليفه.. إنها ليست شقوة كتبت عليه، وليس عناء يعذب به. إنما هى الدعوة والتذكرة وهى التبشير والإنذار. وأمر الخلق بعد ذلك إلى الله الواحد الذى لا إله غيره.

* ففى هذه السورة الكريمة تظهر شخصية الرسول ﷺ فى شد أزره، وتقوية روحه، حتى لا يتأثر بما يُلقى إليه من الكيد والعناد، والاستهزاء والتكذيب، ولإرشاده إلى وظيفته الأساسية، وهى التبليغ والتذكير، والإنذار والتبشير، وليس عليه أن يجبر الناس على الإيمان.

* عرضت السورة لقصص الأنبياء، تسلية لرسول الله ﷺ وتطمينًا لقلبه الشريف، فذكرت بالتفصيل قصة (موسى وهارون) مع فرعون الطاغية الجبار ويكاد يكون معظم السورة فى الحديث عنها وبالأخص موقف المناجاة بين موسى وربه، وموقف تكليفه الرسالة، وموقف الجدال بين موسى وفرعون، ومقف المبارزة بينه وبين السحرة، وتتجلى فى ثنايا تلك القصة رعاية الله لموسى، نبيه وكليمه، وإهلاك الله لأعدائه المجرمين. ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ (٧٧) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾.

* وعرضت السورة لقصة آدم بشكل سريع خاطف، برزت فيه رحمة الله لآدم بعد الخطيئة، وهدايته لذريته بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين، ثم ترك الخيار لهم لاختيار طريق الخير أو الشر ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾.

* وفى ثنايا السورة الكريمة تبرز بعض مشاهد القيامة، فى عبارات يرتجف لها الكون، تهتز لها القلوب هلعًا وجزعًا، ويعترى الناس الذهول والسكون ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾

* وختمت ببعض التوجيهات الربانية للرسول ﷺ فى الصبر وتحمل الأذى فى سبيل الله حتى يأتى نصر الله. ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾.

ويمضى السياق في هذه السورة فى شوطين اثنين.

الشوط الأول: من الآية رقم (١) إلى الآية رقم (٩٨) ويتضـمن مطلع السورة ثم تتبـعه قصة موسى عليه السلام.

الشوط الثانى: من الآية (٩٩) إلى نهاية السورة

ويتضمن مشاهد القـيامة وقصة آدم. ثم ختام السورة بما يشبـه مطلعها ويتناسق مع جو السورة.

الشوط الأول
(قصة موسى)

من الآية رقم (١) قوله تعالى: ﴿طه...﴾

إلى الآية رقم (٩٨) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ...﴾

مدة الحفظ: ٦ أيام.

* قصة موسى هى أكثر قصص المرسلين ورودًا فى القرآن. وهى تعرض فى حلقات تناسب موضوع السورة التى تعرض فيها وجوها وظلها. وقد وردت حلقات منها حتى الآن فى سورة البقرة. وسورة المائدة. وسورة الأعراف.

* وتبدأ القصة منذ الوهلة الأولى بالنداء العلوى الذى تجاوبت به جنبات الوجود وأنهى الله سبحانه إلى عبده قواعد التوحيد: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ⑨ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ⑩ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ⑪ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ⑫ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ⑬ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ⑭ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ⑮ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾

* وبينما هو مستغرب فيما هو فيه، إذ هو يتلقى سؤالاً لا يحتاج منه إلى جواب: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ فيجيب عما يعرفه عن وظيفة العصا عندما قال: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾

* وتأتى يد القدرة لتصنع من عصا موسى مالم يتوقعه: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ⑲ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ⑳ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ ووقعت المعجزة فدهش لها موسى وخاف.

ثم صدر الأمر العلوى مرة أخرى إلى عبده موسى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ﴾

*ثم أطال موسى سؤاله، وبسط حاجته، وكشف عن ضعفه، وطلب العون والتيسير والاتصال الكثير وربه يسمع له، وهو ضعيف فى حضرته، ناداه وناجاه. فها هو ذا التكريم، المنان لا يخجل ضيفه، ولا يرد سائله، ولا يبطئ عليه بالإجابة الكاملة: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾

إن موسى عليه السلام ذاهب لمواجهة أقوى ملك فى الأرض وأطغى جبار. إنه ذاهب لخوض معركة الإيمان مع الطغيان. فربه يطلعه على أنه لن يذهب غفلاً من التهيؤ

والاستعداد. وأنه لم يرسل إلا بعد التهيئة والإعداد، فلا عليه اليوم من فرعون، وقد بلغ أشده. وربه معه فقد اصطنعه لنفسه، واستخلصه واصطفاه ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴾ ولقد عدَّد الله منها ستًا:

المنة الأولى: إلهام أمه صنع الصندوق وإلقائه فى النيل ليربّى فى بيت فرعون ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾.

المنة الثانية: إلقاء المحبة عليه من الله تعالى بحيث لا يراه أحد إلا أحبه ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾.

المنة الثالثة: حفظ الله ورعايته له بالكلاءة والعناية ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾

المنة الرابعة: ردّه إلى أمه مع الإنعام والإكرام ﴿ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾

المنة الخامسة: إنجاء موسى من القتل بعد قتله القبطى ﴿ فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ﴾

المنة السادسة: تكليم الله له بعد عودته من أرض مدين وتكليفه بالرساله ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾.

* لما ذكر تعالى نعمته على موسى باستجابة دعائه وإعطائه سؤله، ذكر هنا ما خصّه به من الاصطفاء والاجتباء، وأمره بالذهاب إلى فرعون مع أخيه هارون لتبليغه دعوة الله، ثم ذكر ما دار من الحوار بين موسى وفرعون وما كان من أمر السحرة وسجودهم لله رب العالمين.

* ثم تشير الآيات إلى عناية الله بموسى وقومه، وإنجائهم وإهلاك عدوهم، وتذكرهم بنعم الله العظمى ومننه الكبرى على بنى إسرائيل، وما وصاهم به من المحافظة على شكرها وتحذيرهم من التعرض لغضب الله بكفرها، ثم تذكر الآيات انتكاس بنى إسرائيل بعبادتهم العجل لقد مننا عليك إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى، وألهمناها ما يلهم فى مثل حالها ذلك الإلهام: ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾.

ويطوى السياق المسافات والأبعاد والأزمان، فإذا هارون مع موسى. وإذا هما معًا يكشفان لربهما عن خوفهما من مواجهة فرعون، ومن التسرع فى أذاه، ومن طغيانه إذا دعواه: ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾

لقد أتيا فرعون -والسياق لا يذكر كيف وصلا إليه- أتياه وربهما معهما يسمع ويرى.

فأية قوة وأى سلطان هذا الذى يتكلم به موسى وهارون، كائنا فرعون ما كان، ولقد أبلغاه ما أمرهما ربهما بتبليغه والمشهد هنا يبدأ بما دار بينه وبين موسى -عليه السلام- من حوار: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾.

وكان جدلاً وحواراً وكانت حجة موسى -عليه السلام- واضحة وسلطانه فيه قوى وهو يستمد حجته من آيات الله فى الكون، ومن آياته الخاصة معه إنما لجأ إلى اتهام موسى بالسحر الذى يجعل العصا حيه تسعى، ويحيل اليد بيضاء من غير سوء وهكذا طلب فرعون إلى موسى تحديد موعد للمباراة مع السحرة. وترك له اختيار ذلك الموعد: للتحدى...

ثم وقعت المفاجأة الكبرى والسياق يصور ضخامة المفاجأة بوقعها فى نفوس السحرة الذين جاءوا للمباراة فهم أحرص الناس على الفوز فيها: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾.

ويجئ التهديد الغليظ بالعذاب الغليظ الذى يعتمد عليه الطغاة... ثم الاستعلاء بالقوة الغاشمة. قوة الوحوش فى الغابة: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾.

ولكنه كان قد فات الأوان. كانت اللمسة الإيمانية قد وصلت الذرة الصغيرة بمصدرها الهائل. فإذا هى قوة قويمة: ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾.

وألهم السحرة الذين آمنوا بربهم أن يقفوا من الطاغية موقف المعلم المستعلى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾.

وهزأت القلوب المؤمنه بتهديد الطغيان الجائر، وواجهته بكلمة الإيمان القوية.

ومضى هذا المشهد فى تاريخ البشرية إعلانًا لحرية القلب البشرى باستعلائه على قيود الأرض وسلطان الأرض، وعلى الطمع، فى المثوبة والخوف من السلطان. وما يملك القلب البشرى أن يجهر بهذا الإعلان القوى إلا فى ظلال الإيمان. ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ (٧٧) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾.

وقاد فرعون قومه إلى الضلال فى الحياة كما قادهم إلى الضلال والبحر. وكلاهما ضلال يؤدى إلى البوار.

وفى ظلال النصر والنجاة يتوجه الخطاب إلى الناجين بالتذكير والتحذير، كى لا ينسوا ولا يبطروا، ولا يتجردوا من السلاح الوحيد الذى كان لهم فى المعركة فضمنوا به النصر والنجاح: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ (٨٠) كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ (٨١) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾

ويرفع الستار مرة ثانية على مشهد المناجاة الثانية إلى جانب الطور الأيمن والذى عاد منها موسى -عليه السلام- غضبان أسفًا يوبخ قومه ويؤنب أخاه فلا بد أنه كان يعلم شناعة الفعلة التى اقدموا عليها: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾

وقد قرر السياق ما كان من موقف هارون. فهو يطلع أخاه عليه، محاولاً أن يهدئ من غضبه، باستجاشة عاطفة الرحم فى نفسه: ﴿ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾

واتجه موسى إلى السامرى صاحب الفتنة من أساسها قال فى نهاية حواره معه: ﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾

وعلى مشهد الإله المزيف يحرق وينسف، يعلن موسى -عليه السلام- حقيقة العقيدة ﴿ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

وينتهى بهذا الإعلان هذا القدر من قصة موسى فى السورة.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٣٤) إلى صفحة رقم (١٤٠)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث	الرابع	الخامس	السادس
آيات الحفظ	من	١	١٧	٣٩	٥٥	٦٩	٨٣
	إلى	١٦	٣٨	٥٤	٦٨	٨٢	٩٨

الشوط الثانى

(مشاهد القيامة)

من الآية رقم (٩٩) قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ...﴾

إلى الآية رقم (١٣٥) قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا...﴾

مدة الحفظ: ثلاثة أيام

* الآن يعقب السياق على قصة موسى بالعودة إلى القرآن ووظيفته، وعاقبة من يعرض عنه: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾.

* ويرسم هذه العاقبة فى مشهد من مشاهد القيامة، تتضاءل فيه أيام الحياة الدنيا، وتتكشف الأرض من جبالها وتعرى، وتخشع الأصوات للرحمن، وتعنوا الوجوه للحى القيوم. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾

* وينتهى هذا المقطع بإراحة بال الرسول ﷺ من القلق من ناحية القرآن الذى ينزل عليه، فلا يعجل فى ترديده خوف أن ينساه، ولا يشقى بذلك فالله ميسره وحافظه. إنما يطلب من ربه أن يزيده علمًا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

* ويعرض أيضا السياق نسيان آدم لعهد الله. وينتهى بإعلان العداوة بينه وبين إبليس ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾.

* وتختم السورة بتسلية الرسول ﷺ عن إعراض المعرضين وتكذيب المكذبين فلا يشقى بهم، فلهم أجل معلوم. ولا يحفل بما أوتوه من متاع فى الحياة الدنيا فهو فتنة لهم. وينصرف إلى عبادة الله وذكره فترضى نفسه وتطمئن. ولقد هلكت القرون من قبلهم،

وشاء الله أن يعذر إليـهم بالرسول الأخير، فلينفض يده من أمرهم ويكلهم إلى مـصيرهم: ﴿ قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴾

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٤١) إلى صفحة رقم (١٤٣)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٩٩	١١٥	١٢٧
	إلى	١١٤	١٢٦	١٣٥

سورة الأنبياء

«مكية»آياتها ١١٢ آية

مدة الحفظ: ١٠ أيام

هذه السورة: مكية تعالج الموضوع الرئيسى الذى تعالجه السور المكية.. موضوع العقيدة... تعالجه فى ميادينه الكبيرة: ميادين التوحيد، والرسالة والبعث.

* وسياق السورة يعالج ذلك الموضوع بعرض النواميس الكونية الكبرى وربط العقيدة بها.

فالعقيدة جزء من بناء الكون ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾.

* ثم يجول بالناس... بقلوبهم وأبصارهم وأفكارهم موجهًا أنظارهم إلى وحدة النواميس التى تحكمها وتصرفها.. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

* ثم يوجه مداركهم إلى وحدة النواميس التى تحكم الحياة في هذه الأرض:

- وحدة مصدر الحياة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ...﴾.

- وحدة النهاية التى ينتهى إليها الأحياء: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ...﴾.

- وحدة المصير الذى ينتهون إليه: ﴿إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ...﴾.

* والعقيدة وثيقة الارتباط بتلك النواميس الكونية الكبرى. فهى واحدة كذلك وإن تعدد الرسل على مدار الزمان: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾.

* ومن ثم يستعرض السياق أمة الرسل الواحدة فى سلسلة طويلة استعراضًا سريعًا. يطول بعض الشئ عند عرض حلقة من قصة إبراهيم -عليه السلام- وعند الإشارة إلى داود وسليمان. ويقصر عند الإشارة إلى قصص نوح، وموسى، وهارون، ولوط، وإسماعيل، وإدريس، وذى الكفل، وذى النون، وزكريا- ويحى، وعيسى عليهم السلام. وتختم ببيان رسالة سيد المرسلين محمد ﷺ.

* كذلك يتضمن السياق بعض مشاهد القيامة.

التسمية: سميت هذه السورة (بسورة الأنبياء) لأن الله تعالى ذكر فيها أسماء ستة عشرنبيًا مع إشارة موجزة إلى تاريخهم.

- ومن العلمـاء من يسلك مـريم وأم مـوسى في عداد الأنـبيـاء، وإن لم يكنَّ حـملة رسالات!!

* والسياق فى هذه السورة يمضى فى أشواط أربعة:

الأول: مصائر البشر ومصارع الغابرين من الآية رقم (١) إلى الآية (٣٥)

الثانى: استقبال المشركين للرسول ﷺ من الآية رقم (٣٦) إلى الآية (٤٧)

الثالث: أمة الرسل من الآية رقم (٤٨) إلى الآية (٩٢)

الرابع: الساعة وأشراطها من الآية رقم (٩٣) إلى الآية (١١٢)

الشوط الأول

(جولة فى أرجاء الكون)

من الآية رقم (١) قوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ... ﴾

إلى الآية رقم (٣٥) قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ... ﴾

مدة الحفظ: ثلاثة أيام.

* هذا الشوط البعيد المديد فى أرجاء الكون، وفى نواميس الوجود، وفى سنن الدعوات، وفى مصائر البشر، وفى مصارع الغابرين.

* فيبدأ بمطلع قوى الضربات، يهز القلوب هزاً، وهو يلفتها إلى الخطر القريب المحدق، وهى عنه غافلة لاهية: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ① مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ② لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾

* ثم يهزها هزة أخرى بمشهد من مصارع الغابرين، الذين كانوا عن آيات ربهم غافلين، فعاشوا سادرين فى الغى ظالمين: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ⑪ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ⑫ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ⑬ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ⑭ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾

* ثم يربط بين الحق والجد فى الدعوة ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ⑯ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ، والحق والجد فى نظام الكون ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ⑲ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾، وبين عقيدة التوحيد ونواميس الوجود. وبين وحدة الخالق المدبر ووحدة الرسالة والعقيدة. ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ㉖ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾.

ووحدة مصدر الحياة ونهايتها ومصيرها. ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ㉞ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾

أن الموت نهاية كل حى، وعاقبة المطاف للرحلة القصيرة على الأرض. وإلى الله يرجع الجميع فأما ما يصيب الإنسان فى أثناء الرحلة من خير وشر فهو فتنة له وابتلاء، والابتلاء

بالشر مفـهوم أمره. ليتكشف مدى احتـمال المبتلى، ومدى صبره على الضـر، أما الابتلاء بالخير فهو أشد وطأة، وإن خيل للناس أنه دون الابتلاء بالشر، إن كثيرين يصمدون للابتلاء بالشر ولكن القلة القليلة هى التى تصـمد للابتلاء بالخير فاليقظة للنـفس فى الابتلاء بالخير أولى من اليقظة لها فى الابتلاء بالشر. والصلة بالله فى الحالين هى وحدها الضمان...

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٤٤) إلى صفحة رقم (١٤٦)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١	١٢	٢٦
	إلى	١١	٢٥	٣٥

الشوط الثانى

(استقبال المشركين للرسول ﷺ)

من الآية رقم (٣٦) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾

إلى الآية رقم (٤٧) قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ...﴾

مدة الحفظ: يوم واحد

* نجد فى هذا الشوط عن طبيعة الإنسان العجول، واستعجالهم بالعذاب.

فيحذرهم ما يستعجلون به. وينذرهم عاقبة الاستهزاء بالرسول ﷺ ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٣٩) بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾

* ويعرض أيضا مشهدًا من تقلص ظلال الغالبين المسيطرين فى الدنيا. ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ (٤٣) بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

* ويختم الشوط بدقة الحساب والجزاء فى يوم القيامة. ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

فلتنظر نفس ما قدمت لغد. وليصغ قلب إلى النذير. وليبادر الغافلون المعرضون المستهزئون قبل أن يحق النذير فى الدنيا أو فى الآخرة. فإنهم إن نجوا من عذاب الدنيا فهناك عذاب الآخرة الذى تعد موازينه، فلا تظلم نفس شيئا، ولا يهمل مثقال حبة من خردل.

وهكذا ترتبط موازين الآخرة الدقيقة، بنواميس الكون الدقيق، بسنن الدعوات، وطبائع الحياة والناس. وتلتقى كلها متناسقة موحدة فى يد الإرادة الواحدة مما يشهد لقضية التوحيد وهى محور السورة الأصيل.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٤٧) إلى صفحة رقم (١٤٨)

الشوط الثالث

(أمة الرسل)

من الآية رقم (٤٨) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ...﴾

إلى الآية رقم (٩٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾

مدة الحفظ: ٤ أيام

* هذا الشوط يستعرض أمة الرسل. لا على وجه الحصر. يشير إلى بعضهم مجرد إشاره، ويفصل ذكر بعضهم تفصيلاً مطولاً أو مختصراً.

وفيها تتجلى وحدة الرسالة والعقيدة.

كما تتجلى رحمة الله بعباده الصالحين وإيحاؤه لهم وأخذ المكذبين كما تتجلى بعض الاختبارات للرسل بالخير ولا ضر، كيف اجتازوا الابتلاء.

وتلك إحدى دلائل وحدانية الألوهية المبدعة، ووحدانية الإرادة المدبرة، ووحدانية الناموس الذى يربط سنن الله فى الكون، ويؤلف بينها، ويوجهها جميعًا وجهة واحدة، إلى معبود واحد: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

ويبتدئ الشوط بالإشارة السريعة إلى موسى وهارون وكتابهما: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾

ثم يرتد السياق إلى حلقة كاملة من قصة إبراهيم -عليه السلام- وهو جد العرب الأكبر وبانى الكعبة التى يحشدون فيها الأصنام، ويعكفون عليهابالعبادة، وهو الذى حطم الأصنام من قبل والسياق يعرض هنا وهو يستنكر الشرك ويحطم الأصنام. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾

لقد ترك إبراهيم -عليه السلام- وطنا وأهلاً وقومًا. فعوضه الله الأرض المباركة وطنًا خيرًا من وطنه. وعوضه ابنه إسحاق وحفيده يعقوب أهلاً خيراً من أهله. وعوض من ذريته أمة عظيمة العدد قوما خيراً من قومه... فنعم العوض، ونعم الجزاء، ونعمت الخاتمة.

وتجئ قصة لوط مجرد إشارة، ثم يشير إلى نوح إشاره سريعه كذلك. ثم يفصل بعض الشئ فى حلقة من قصة داود وسليمان: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾

ثم يعرض الشوط إلى الابتـلاء بالضراء فى قصة أيوب عليه السلام وقـصة ابتلاء أيوب من أروع قصص الابتلاء: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

ويشير السياق بعد ذلك إشارة إلى إسماعيل وإدريس وذى الكفل: ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾

ثم تجئ قـصة يونس -عليـه السلام- وهـو ذو النون، وهى تأتى هنا فى صورة إشـارة سريعة مراعاة للتناسق فى السيـاق. ولقد سمى ذا النون -أى صاحب الحوت- لأن الحوت التقمه ثم نبذه. ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾

ثم إشاره إلى قـصة زكريـا ويحيى -عليه السـلام- واستجـابة الله لزكريا عندمـا دعاه: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾

وأخيرًا يذكر مريم بمناسبة ذكر ابنها عليه السلام فالمقصود فى سلسلة الأنبياء هو ابنها -عليه السلام- وقـد جاءت هى تبعًا له فى السيـاق ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

وفى نهاية الاستعراض الذى شمل نمـاذج من الرسل، ونماذج من الابتلاء، ونماذج من رحمة الله يعقب بالغرض الشامل من هذا الاستعراض: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٤٨) إلى صفحة رقم (١٥٢)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث	الرابع
آيات الحفظ	من	٤٨	٥٩	٧٤	٨٣
	إلى	٥٨	٧٣	٨٢	٩٢

الشوط الرابع

(الساعة وأشراطها)

من الآية رقم (٩٣) قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ...﴾

إلى الآية رقم (١١٢) قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ...﴾

مدة الحفظ: يومان

هذا الشوط الأخير فى السورة بعد عرض سنن الله الكونية، وسنن الله فى إرسال الرسل، يعرض السياق فيه مشهداً للساعة وأشراطها، يتبين فيه مصير المشركين بالله ومصير الشركاء، ويتفرد الله ذو الجلال بالتصريف فيه والتدبير. ثم يقرر سنة الله فى وراثة الأرض، ورحمة الله للعالمين المتمثلة فى رسالة محمد ﷺ. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

وعندئذ يؤمر الرسول ﷺ أن ينفض يده منهم، وأن يدعهم لمصيرهم، فيترك الحكم لله فيهم، ويستعين به على شركهم وتكذيبهم واستهزائهم وانصرافهم إلى اللعب واللهو، ويوم الحساب قريب ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ (١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (١١١) قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾

وصفة الرحمة الكبيرة هنا ذات مدلول. فهو الذى أرسله رحمة للعالمين، فكذب به المكذبون واستهزأ به المستهزئون. وهو الكفيل بأن يرحم رسوله ويعينه على ما يصفون.

وبهذا المقطع القوى تختم السورة كما بدأت بذلك المطلع القوى. فيتقابل طرفاها فى إيقاع نافذ قوى مثير عميق.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٥٢) إلى صفحة رقم (١٥٣)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٩٣	١٠١
	إلى	١٠٠	١١٢

سورة الحج

«مدنية» وآياتها ٧٨ آية

مدة الحفظ: ١٠ أيام

هذه السورة: هى سورة مشتركة بين مكية ومدنية. والذى يغلب على السورة هو موضوعات السور المكية، وجو السور المكية. فموضوعات التوحيد والتخويف من الساعة، وإثبات البعث، وإنكار الشرك. ومشاهد القيامة، وآيات الله المبثوثة فى صفحات الكون. . . بارزة فى السورة، وإلى جوارها الموضوعات المدنية من الإذن بالقتال، وحماية الشعائر، والوعد بنصر الله لمن يقع عليهم البغى وهو يرد العدوان، والأمر بالجهاد فى سبيل الله.

* والظلال الواضحة فى جو السورة كلها هى ظلال القوة والشدة والعنف والرهبة والتحذير والترهيب واستجاشة مشاعر التقوى والوجل والاستسلام:

فمشهد البعث: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

ومشهد العذاب: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾.

ومثل الذى يشرك بالله: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾.

ومشهد القرى المدمرة بظلمها: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾.

تجتمع هذه المشاهد العنيفة المرهوبة إلى قوة الأوامر والتكاليف. ثم يجئ وراء هذا وذلك، الدعوة إلى التقوى والوجل واستجاشة مشاعر الرهبة والاستسلام. ذلك إلى استعراض مشاهد الكون، ومشاهد القيامة، ومصارع الغابرين. والأمثلة والعبر والصور والتأملات لاستجاشة مشاعر الإيمان والتقوى والإخبات والاستسلام. . وهذا هو الظل الشائع فى جو السورة كلها، والذى يطبعها ويميزها.

* ومن أهوال الساعة إلى أدلة البعث والنشور، تنتقل السورة لتقيم الأدلة والبراهين على البعث بعد الفناء، ثم الانتقال إلى دار الجزاء، لينال الإنسان جزاءه إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

* وتحدثت السورة عن بعض مشاهد القيامة، حيث يكون الأبرار فى دار النعيم،

والفجار فى دار الجحيم.

* ثم انتقلت للحديث عن الحكمة من الإذن بقـتال الكفار، وتناولت الحديث عن القرى المدمرة بسبب ظلمها وطغيانها، وذلك لبيان سنة الله فى الدعوات، وتطمينا للمسلمين بالعاقبة التى تنتظر الصابرين.

ونلحظ أنه بين الآيات التى تحدثت عن القتال جاءت القضية التى نزلت السورة باسمها: قضية الحج، فذكرت المناسك والشعائر ويظهر أن إيرادها لإفهام المشركين أنهم منحرفون عن دين إبراهيم الذى يزعـمون الولاء له، فهم مـشركون وهو يدعـو إلى التوحيـد، فأنى لهم علاقة به؟

إنهم خونة لميـراثه وإن ادّعَوا حراسـته!! ثم هم يصدون المـوحدين عن البيت العـتيق. فمقاتلة أولئك المعتدين خصومة شريفة لا نلام عليها ولا نحمل تبعاتها.

والمتأمل فى أفعال الحج يلحظ فـيها كلها أنها تظاهرة كبرى اختار الـقدر زمانها ومكانها لدعم التوحيد وغرسه فى القلوب، وجمع الناس فى المشارق والمغارب على معانيه.

وفى ختام السورة ضـربت مثلاً لعبادة المشركين للأصنام وبينَّت أن هذه المعـبودات أعجز وأحقر من أن تخلـق ذبابة فضلاً عن أن تخلق إنسانًا سـميعًا بصيـرًا، ودعت إلى اتباع ملة الخليل إبراهيم كهف الإيمان، وركن التوحيد.

التسمية: سميت (سـورة الحج) تخليداً لدعوة الخليل إبراهيم -عليه السلام- حين انتهى من بناء البيت العتيق ونادى الناس لحج بيت الله الحرام، فتواضعت الجبال حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع نداؤه في الأصلاب والأرحام وأجابوا النداء (لبيك اللهم لبيك).

ويجرى سياق السورة فى أربعة أشواط:

الشوط الأول: نداء عام للناس جميعا إلى تقوى الله من الآية رقم (١) إلى الآية (٢٤)

الشوط الثانى: قضية بناء البيت وشعائر الحج من الآية رقم (٢٤) إلى الآية (٤١)

الشوط الثالث: سنة الله فى الدعوات من الآية رقم (٤٢) إلى الآية (٥٧)

الشوط الرابع: وعد الله الحق بنصرة من يقع عليه البغى من الآية رقم (٨٥) إلى الآية (٧٨).

المشهد الأول

(نداء عام)

من الآية رقم (١) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ...﴾

إلى الآية رقم (٢٤) قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ...﴾

مدة الحفظ: ثلاثة أيام

* يبدأ هذا الشوط بالنداء العام. نداء الناس جميعًا إلى تقوى الله، وتخويفهم من زلزلة الساعة، ووصف الهول المصاحب لها، وهو هول عنيف مرهوب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ⓵ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾

* ويعقب فى ظل هذا الهول باستنكار الجدل فى الله بغير علم، واتباع كل شيطان محتوم على من يتبعه الضلال. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ⓷ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾

* ثم يعرض دلائل البعث من أطوار الحياة في جنين الإنسان، وحياة النبات، مسجلاً تلك القربى بين أبناء الحياة. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾

* ويربط بين تلك الأطوار الثابتة وبين أن الله هو الحق وأنه يحى الموتى وأنه على كل شئ قدير، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ⓺ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾

* ثم يعود إلى استنكار الجدل فى الله بغير علم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾. وينتهى هذا الشوط بتقرير أن الهدى والضلال بيد الله، وأنه سيحكم بين أصحاب العقائد المختلفة يوم الحساب... وهنا يعرض ذلك المشهد العنيف من مشاهد العذاب للكافرين، وإلى جواره مشهد النعيم للمؤمنين.

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١	٨	١٧
	إلى	٧	١٦	٢٤

تفسير آيات هذا الشوط
من صفحة رقم (١٥٤)
إلى صفحة رقم (١٥٧)

المشهد الثانى

(بناء البيت وشعائر الحج)

من الآية رقم (٢٥) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾

إلى الآية رقم (٤١) قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾

مدة الحفظ: ثلاثة أيام

* يبتدئ هذا الشوط بما انتهى به الشوط السابق فيتحدث عن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام وهم الذين كانوا يواجهون الدعوة الإسلامية فى مكة فيصدون الناس عنها، ويواجهون الرسول ﷺ والمؤمنين فيمنعونهم من دخول المسجد الحرام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

* ثم يذكر طرفًا من قصة بناء البيت، وتكليف إبراهيم -عليه السلام- أن يقيمه على التوحيد، وأن يطهره من رجس الشرك: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

* ويستطرد إلى بعض شعائر الحج وما وراءها من استجاشة مشاعر التقوى فى القلوب، وهى الهدف المقصود: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

* ثم ينتهى هذا الشوط بالأذن للمؤمنين بالقتال لحماية الشعائر والعبادات من العدوان الذى يقع على المؤمنين ولا جريرة لهم إلا أن يقولوا: ربنا الله وبوعد الله للمدافعين بالنصر متى نهضوا بالتكاليف التى تفرضها حماية العقيدة ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٥٧) إلى صفحة رقم (١٥٩)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٢٥	٣١	٣٨
	إلى	٣٠	٣٧	٤١

المشهد الثالث

(سنة الله فى الدعوات)

من الآية رقم (٤٢) قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ...﴾.

إلى الآية رقم (٥٧) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا...﴾.

مدة الحفظ: يومان

هذا المشهد كله بيان لآثار يد القدرة وهى تتدخل فى سير الدعوة، بعد أن يؤدى أصحابها واجبهم، وينهضوا بتكاليفهم.

* فهنا أنشأ يطمئن الرسول ﷺ إلى تدخل يد القدرة الإلهية لنصره، ولخذلان أعدائه، كما تدخلت من قبل لنصرة إخوانه الرسل -عليهم السلام- وأخذ المكذبين على مدار الأجيال: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾.

* ثم أخذ يوجه المشركين إلى تأمل مصارع الغابرين إن كانت لهم قلوب للتأمل والتدبر، فإنها لا تعمي الأبصار، ولكن تعمي القلوب التى فى الصدور: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

* ثم يطمئن الرسول ﷺ إلى أن الله يحمى رسله من كيد الشيطان كما يحميهم من كيد المكذبين. ويبطل ما يحاوله الشيطان ويحكم آياته ويجلوها للقلوب السليمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

فأما القلوب المريضه والقلوب الكافرة فتظل فى الريبة حتى تنتهى بها إلى شر مصير... ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ فهم لا يزالون فى ريبة من القرآن وشك فقلوبهم لم تخالطها بشاشته فتدرك ما فيه من حقيقة وصدق. ويظل هذا حالهم حتى تأتيهم الساعة.

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٤٢	٥٢
	إلى	٥١	٥٧

تفسير آيات هذا الشوط

من صفحة رقم (١٥٩) إلى صفحة رقم (١٦١)

المشهد الرابع
(وعد الله حق)

من الآية رقم (٥٨) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾

إلى الآية رقم (٧٨) قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ...﴾

مدة الحفظ: يومان

* يبدأ هذا الدرس بالحديث عن المهاجرين، بعدما سبق الإذن لهم بالقتال، دفاعًا عن عقيدتهم، وعن عبادتهم، ودفعًا للظلم عن أنفسهم، وقد أخرجوا من ديارهم بغير حق، ولم تكن جريرتهم إلا أن يقولوا: ربنا الله ويبين ما أعده الله لهم من عوض عما تركوا من ديار وأموال: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾

* ثم يتحدث بصفة عامة فى صورة حكم عام عمن يقع عليهم الاعتداء فيردون عليه بمثله، ثم يقع عليهم البغى والعدوان فيعدهم نصر الله فى صيغة التوكيد: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾

* ويعقب على هذا الوعد الوثيق باستعراض دلائل القدرة التى تضمن تحقيق ذلك الوعد الوثيق ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦١) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

* وعندئذ يتوجه الخطاب إلى رسول الله ﷺ بأن لكل أمة منهجًا هى مأمورة به ومهيأة لنهجه ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾

* ويعرّض بعبادتهم ما لم ينزل به سلطانًا وما ليس لهم به علم، وبقسوة قلوبهم ونفورهم من سماع كلمة الحق، حتى ليكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات الله ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٧١) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

* ثم يعلن فى صورة بيان عام شامل للخليقة عن ضعف من يدعونهم من دون الله ويصور ضعفهم فى صورة زرية لا مبالغة فيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ

تدْعُونَ من دُون الله لن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَو اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾

* وينتهى الدرس وتنتهى السورة معه بتوجيه الخطاب إلى الأمة المؤمنة لتنهض بتكالفيها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٦١) إلى صفحة رقم (١٦٣)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٥٨	٧٠
	إلى	٦٩	٧٨

سورة المؤمنون

«مكية» وآياتها: ١١٨ آية

مدة الحفظ: ٨ أيام

هذه السورة: هى سورة «المؤمنون»... اسمها يدل عليها. ويحدد موضوعها.. فهى تبدأ بصفة المؤمنين، ثم يستطرد السياق فيها إلى دلائل الإيمان فى النفس والآفاق. ثم إلى حقيقة الإيمان كما عرضها رسل الله ﷺ من لدن نوح -عليه السلام- إلى محمد خاتم الرسل والنبيين، وشبهات المكذبين حول هذه الحقيقة واعتراضاتهم عليها، ووقوفهم فى وجهها، حتى يستنصر الرسل بربهم، فيهلك المكذبين، وينجى المؤمنين...

ثم يستطرد إلى اختلاف الناس -بعد الرسل- في تلك الحقيقة الواحدة التى لا تتعدد... ومن هنا يتحدث عن موقف المشركين من الرسول ﷺ ويستنكر هذا الموقف الذى ليس له مبرر.. وتنتهى السورة بمشهد من مشاهد القيامة يلقون فيه عاقبة التكذيب، ويؤنبون على ذلك الموقف المريب، يختم بتعقيب يقرر التوحيد المطلق والتوجه إلى الله بطلب الرحمه والغفران... فهى سورة (المؤمنون) أو هى سورة الإيمان، بكل قضاياه ودلائله وصفاته وهو موضوع السورة ومحورها الأصيل.

ويمضى سياق السورة فى أربعة أشواط:

الشوط الأول: من الآية رقم (١) إلى الآية (٢٢)

فيوضح السياق دلائل الإيمان فى الأنفس والآفاق.

الشوط الثانى: من الآية رقم (٢٣) إلى الآية (٥٢)

وفيه ينتقل السياق من دلائل الإيمان إلى حقيقة الإيمان التى جاء بها الرسل.

الشوط الثالث: من الآية رقم (٥٣) إلى الآية (٩٨)

وفى هذا الشوط نجد الحديث عن تفرق الناس بعد الرسل.

الشوط الأخير: من الآية (٩٩) إلى نهاية السورة

وفيه مشهد من مشاهد القيامة

ثم يتوجه الخطاب إلى رسول الله ﷺ أن يدفع السيئة بالتى هى أحسن

الشوط الأول

(دلائل الإيمان فى الأنفس والآفاق)

من الآية رقم (١) قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

إلى الآية رقم (٢٢) قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾

مدة الحفظ: يوم واحد.

* يبدأ هذا الشوط بتقرير الفلاح للمؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾... ويبين صفات المؤمنين هؤلاء الذين كتب لهم الفلاح: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

* ويثنى بدلائل الإيمان فى الأنفس والآفاق فيعرض أطوار الحياة الإنسانية منذ نشأتها الأولى إلى نهايتها فى الحياة الدنيا متوسعًا فى عرض أطوار الجنين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ⑫ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ⑬ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

* ثم يتابع خط الحياة البشرية إلى البعث يوم القيام ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ⑮ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾

* وبعد ذلك ينتقل من الحياة الإنسانية إلى الدلائل الكونية:

فى خلق السماء: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾

وفى إنزال الماء: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾.

وفي اثبات الزرع والثمار: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ⑲ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾

ثم إلى الأنعام المسخرة للإنسان: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

والفلك التى يحمل عليها وعلى الحيوان: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٦٤) إلى صفحة رقم (١٦٥)

الشوط الثانى

(حقيقة الإيمان التى جاء بها الرسل)

من الآية رقم (٢٣) قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ... ﴾

إلى الآية رقم (٥٢) قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ.... ﴾

مدة الحفظ: ثلاثة أيام

* ينتقل الحديث هنا من دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق إلى حقيقة الإيمان. حقيقته الواحدة التى توافق عليها الرسل دون استثناء: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾

* قالها نوح -عليه السلام- وقالها كل من جاء بعده من الرسل، حتى انتهت إلى محمد ﷺ وكان اعتراض المكذبين دائما: ﴿ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً ﴾

* وكان اعتراضهم كذلك: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾

* وكانت العاقبة دائما أن يلجأ الرسل إلى ربهم يطلبون نصره، وأن يستجيب الله لرسله، فيهلك المكذبين: ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

* وينتهى الشوط بنداء للرسل جميعًا: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾

إنه نداء للرسل ليمارسوا طبيعتهم البشرية التى ينكرها عليهم الغافلون... ونداء لهم ليصلحوا فى هذه الأرض.. وليس المطلوب من الرسول أن يتجرد من بشريته. إنما المطلوب أن يرتقى بهذه البشرية فيه إلى أفقها الكريم الوضئ، الذى أراده الله لها، وجعل الأنبياء روادًا لهذا الأفق ومثلاً أعلى. والله هو الذى يقدر عملهم بعد ذلك بميزانه الدقيق ﴿ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٢٣	٣٣	٤٤
	إلى	٣٢	٤٣	٥٢

تفسير آيات هذا الشوط
من صفحة رقم (١٦٥)
إلى صفحة رقم (١٦٧)

الشوط الثالث

(حال الناس بعد أمة الرسل)

من الآية رقم (٥٣) قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾

إلى الآية رقم (٩٨) قوله تعالى: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾

مدة الحفظ: ثلاثة أيام

* فى هذا الشوط يستعرض السياق تفرق الناس -بعد الرسل- وتنازعهم حول تلك الحقيقة الواحدة. التى جاءوا بها: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾

* وعن غفلتهم عن ابتلاء الله لهم بالنعمة، واغترارهم بما هم فيه من متاع ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾

بينما المؤمنون مشفقون من خشية ربهم، يعبدونه ولا يشركون به، وهم مع ذلك دائمو الخوف والحذر: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾

* ثم يرسم مشهدًا لأولئك الغافلين المغرورين يوم يأخذهم العذاب فإذا هم يجأرون، فيأخذهم التوبيخ والتأنيب: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾

* ويستنكر السياق موقعهم العجيب من رسولهم الأمين، وهم يعرفونه ولا ينكرونه، وقد جاءهم بالحق لا يسألهم عليه أجرًا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.

فماذا ينكرون منه ومن الحق الذى جاءهم به؟ وهم يسلمون بملكية الله لمن فى السماوات والأرض: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾

* وبعد هذا التسليم ينكرون البعث، ويزعمون لله ولدًا سبحانه! ويشركون به آلهة

أخرى ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

* وعند هذا الحد يلتفت عن خطابهم وجدلهم وحكاية حالهم، إلى الرسول ﷺ يأمره أن يتوجه إلى ربه مستعيذاً به أن يجعله مع هؤلاء القوم -إن كان قد قدر له أن يرى تحقيق ما وعدهم به من العذاب. وأن يستعيذ به كذلك من الشياطين، فلا تثور نفسه، ولا يضيق صدره بما يقولون: ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤) وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٥) ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾

واستعاذة الرسول ﷺ من همزات الشياطين ودفعاتهم- وهو معصوم منها- زيادة كذلك فى التوقى، وزيادة فى الالتجاء إلى الله، وتعليم لأمته وهو قدوتها وأسوتها، أن يتحصنوا بالله من همزات الشياطين فى كل حين.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٦٧) إلى صفحة رقم (١٧٠)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٥٣	٦٨	٨٤
	إلى	٦٧	٨٣	٩٨

الشوط الرابع
(من مشاهد القيامة)

من الآية رقم (٩٩) قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ...﴾

إلى الآية رقم (١١٨) قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ...﴾

مدة الحفظ: يومان

* فى هذا الشوط الأخير فى السورة يستطرد فى الحديث عن نهاية المشركين، فيبرزها فى مشهد من مشاهد القيامة:

يبدأ بمشهد الاحتضار فى الدنيا: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

* وبانتهاء مشهد الاحتضار فلا هم من أهل الدنيا ولا هم من أهل الآخرة، إنما هم فى ذلك البرزخ بين بين، إلى يوم يبعثون.

* ثم يستطرد السياق إلى ذلك اليوم يصوره ويعرضه للأنظار: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

* ثم يعرض ميزان الحساب وعملية الوزن فى سرعة واختصار ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾

* وتختم السورة بتنزيه الله سبحانه: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾

- وينفى الفلاح عن الكافرين فى مقابل تقرير الفلاح فى أول السورة للمؤمنين ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

- وبالتوجيه إلى الله طلبًا للرحمة والمغفرة: ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

وهنا يلتقى مطلع السورة وختامها فى تقرير الفلاح للمؤمنين والخسران للكافرين.

وفى تقرير صفة الخشوع فى الصلاة فى مطلعها والتوجه إلى الله بالخشوع في ختامها... فيتناسق المطلع والختام فى ظلال الإيمان.

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٩٩	١٠٨
	إلى	١٠٧	١١٨

تفسير آيات هذا الشوط

من صفحة رقم (١٧٠) إلى صفحة رقم (١٧١)

سورة النور

«مدنية» وآياتها ٦٤ آية

مدة الحفظ: ١٠ أيام

هذه السورة من السور المدنية، التى تتناول الأحكام التشريعية، وتعنى بأمور التشريع، والتوجيه والأخلاق، وتهتم بالقضايا العامة والخاصة التى ينبغى أن يربى عليها المسلمون أفرادًا وجماعات، وقد اشتملت هذه السورة على أحكام هامة وتوجيهات عامة تتعلق بالأسرة، التى هى النواة الأولى لبناء المجتمع الأكبر. فتحدثت عن العلاقة الخاصة بين الرجال والنساء، وذكرت عقوبات بعض الجرائم الجنسية، وشرحت آداب نظر كل جنس إلى الآخر وحددت الزينات المباحة والمحظورة كما أوجبت الاستئذان قبل دخول البيوت، وداخل كل بيت! وبينت البيوت التى يجوز الأكل فيها ومع من؟

* وهذه تنظيمات لبناء المجتمع الإسلامى على العفة والطهر، وإقامة سياج متين حول المحارم التى يخاف وقوعها..

* وقد كان لهذه التعليمات أثر فى صون الأمة من الآثام وتحصينها من الرذائل، ومن المشاهد أن الحضارة المعاصرة تجرأت على المناكر، ومهدت لها الطرق، ولم تزل تواقعها حتى استباحتها، والزنا الآن لا يسمى زنا، بل يسمى فى أغلب الأحيان حبًّا أو صداقة.

* والمحور الذى تدور عليه السورة كلها هو محور التربية التى تشتد فى وسائلها إلى درجة الحدود، وترق إلى درجة اللمسات الوجدانية الرفيقة، التى تصل القلب بنور الله وبآياته المبثوثة فى تضاعيف الكون وثناياها الحياة. والهدف واحد فى الشدة واللين.

هو تربية الضمائر، واستجاشة المشاعر، ورفع المقاييس الأخلاقية للحياة، حتى تتصل بنور الله الذى أشرقت به الظلمات. فى السماوات والأرض، والقلوب والضمائر، والنفوس والأرواح.

ويجرى سياق السورة حول محورها الأصيل فى خمسة أشواط:

الشوط الأول: من الآية رقم (١) إلى الآية رقم (٢٦) ويتضمن الإعلان الحاسم الذى تبدأ به ويليه حد الزنا وذكر قصة حديث الأفك.

الشوط الثانى: من الآية رقم (٢٧) إلى الآية رقم (٣٤) ويتناول هذا الشوط وسائل الوقاية من الجريمة وتجنيب النفوس أسباب الأغراء والغواية.

الشوط الثالث: من الآية رقم (٣٥) إلى الآية رقم (٤٥) وفيه مجموعة الآداب التى تتضمنها السورة، فيربطها بنور الله.

الشوط الرابع: من الآية رقم (٤٦) إلى الآية رقم (٥٧) ويتحدث عن مجافاة المنافقين للأدب الواجب مع رسول الله ﷺ مع تصوير آدب المؤمنين الخالص وطاعتهم.

الشوط الخامس: من الآية رقم (٥٨) إلى الآية (٦٤) يعود هذا الشوط إلى آداب الاستئذان والضيافة فى محيط البيوت بين الأقارب والأصدقاء وإلى آداب الجماعة المسلمة كلها كأسرة واحدة، مع رئيسها ومربيها -رسول الله ﷺ.

الشوط الأول

(حديث الإفك وبيان حد الزنا)

من الآية رقم (١) قوله تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا... ﴾

إلى الآية رقم (٢٦) قوله تعالى: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ... ﴾

مدة الحفظ: ثلاثة أيام

* هذا الشوط يتضمن الإعلان الحاسم الذى تبدأ به ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

* ويليه بيان حد الزنا، وتفظيع هذه الفعلة، وتقطيع ما بين الزناة والجماعة المسلمة، فلا هى منهم ولا هم منها. ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

* ثم بيان حد القذف وعلة التشديد فيه: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.

- واستثناء الأزواج من هذا الحد مع التفريق بين الزوجين بالملاعنة: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾.

* ثم حديث الأفك وقصته. ويقول الشيخ محمد الغزالى يرحمه الله: (والحق إنى أحتقر الرجل الذى يتوارى عن الأنظار ثم يطلق مقالة السوء عن سيدة شريفة، ويترك للمستغفلين والأغرار أن يشيعوها. ذاك ما فعله كبير المنافقين عبد الله بن أبيّ عندما افترى الكذب على عائشة أم المؤمنين، وطعنها فى أغلى ما تملك وتركها تقول: ظننت أن الحزن فالق كبدى!!

أما الرسول ﷺ فقد أخذته الدهشة وتحير فى هذه المصيبة الداهمة، لولا أن الله أنزل براءة زوجته فى وحى يتلى إلى آخر الدهر!! ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

* وينتهي هذا الشوط بتقرير مشاكلة الخبيثين للخبيثات، ومشاكلة الطيبين للطيبات. وبالعلاقة التي تربط بين هؤلاء وهؤلاء. ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٧٢) إلى صفحة رقم (١٧٤)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثاني	الثالث
آيات الحفظ	من	١	١٠	١٩
	إلى	٩	١٨	٢٦

الشوط الثانى

(الوقاية من الجرائم)

من الآية رقم (٢٧) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ...﴾

إلى الآية رقم (٣٤) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ...﴾

مدة الحفظ: يومان.

* يتناول هذا الشوط وسائل الوقاية من الجريمة، وتجنيب النفوس أسباب الإغراء والغواية.

فيبدأ بآداب البيوت والاستئذان على أهلها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

والأمر بغض البصر والنهى عن إبداء الزينة لغير المحارم. ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

والحض على إنكاح الأيامى وهم الذين لا أزواج لهم من الجنسين... والمقصود هنا الأحرار ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

والتحذير من دفع الفتيات إلى البغاء وإكراههن على ذلك -وهن يردن العفة- ابتغاء المال الرخيص كان جزءًا من خطة القرآن فى تطهير البيئة الإسلامية. ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وكل ما سبق هو أسباب وقائية لضمان الطهر والتعفف فى عالم الضمير والشعور، ودفع المؤثرات التى تهيج الميول الحيوانية، وترهق أعصاب المتحرجين المتطهرين، وهم يقاومون عوامل الإغراء والغواية.

ويعقب على هذا الشوط بصفة القرآن التى تناسب موضوعه وجوه: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

فهو آيات مبينات، لا تدع مجالاً للغموض والتأويل، والانحراف عن النهج القويم.

وهو عرض لمصائر الغابرين الذين انحرفوا عن نهج الله فكان مصيرهم النكال.

وهو موعظة للمتقين الذين تستشعر قلوبهم رقابة الله فتخشى وتستقيم.

والأحكام التى تضمنها هذا الشوط مع هذا التعقيب، الذى يربط القلوب بالله الذى نزل هذا القرآن.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٧٤) إلى صفحة رقم (١٧٧)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٢٧	٣٢
	إلى	٣١	٣٤

الشوط الثالث

(نور الله وآداب تتبع...)

من الآية رقم (٣٥) قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾

إلى الآية رقم (٤٥) قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ...﴾

مدة الحفظ: يومان

* هذا الشوط يتوسط مجموعة الآداب التى تتضمنها السورة، فيربطها بنور الله ويتحدث عن أطهر البيوت التى يعمرها وهى التى تعمر بيوت الله... ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾.

* وفى الجانب المقابل الذين كفروا وأعمالهم كسراب من اللمعان الكاذبة، أو كظلمات بعضها فوق بعض. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾.

* ثم يكشف عن فيوض من نور الله فى الآفاق:

- فى تسبيح الخلائق كلها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

- وفى إزجاء دفع السحاب: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾.

- وفى تقليب الليل والنهار: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

- وفى خلق كل دابة من ماء ثم اختلاف اشكالها ووظائفها وأنواعها وأجناسها: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وإن تملى الأحياء. وهى بهذا التنوع فى الأشكال والأحجام، والأصول والأنواع،

والألوان. وهى خارجة من أصل واحد، ليوحى بالتدبير المقـصود، والمشيئة العامدة. وينفى فكرة الفلتة والمصادفـة وإلا فأى فلتة تلك التى تتضمن كل هذا التدبيـر، وأية مصادفة تلك تتـضمن كل هذا التـقدير؟ إنما هو صنع الله العـزيز الحكيم الذى أعطى كل شئ خلقـه ثم هدى. . .

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٧٦) إلى صفحة رقم (١٧٨)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٣٥	٤١
	إلى	٤٠	٤٥

الشوط الرابع

أدب المؤمنين وسوء أدب المنافقين

من الآية رقم (٤٦) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ...﴾

إلى الآية رقم (٥٧) قوله تعالى: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ...﴾

مدة الحفظ: يومان

* هذا الشوط يتحدث عن مجافاة المنافقين للأدب الواجب مع رسول الله ﷺ في الطاعة والتحاكم: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

* ويصور أدب المؤمنين الخالص وطاعتهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

* ويعدهم، على هذا، الاستخلاف في الأرض، والتمكين في الدين: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

* والنصر على الكافرين: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

فهذه هي العدة.. الاتصال بالله، وتقويم القلب بإقامة الصلاة. والاستعلاء على الشح، وتطهير النفس والجماعة بإيتاء الزكاة وطاعة الرسول والرضى بحكمه، وتنفيذ شريعة الله في الصغيرة والكبيرة وتحقيق النهج الذي أراده الله للحياة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ في الأرض من الفساد والانحدار والخوف والقلق والضلال، وفي الآخرة من الغضب والعذاب والنكال.

ألا إن وعد الله قائم. ألا وإن شرط الله معروف. فمن شاء الوعد فليقم بالشرط ومن أوفى بعهده من الله؟

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثاني
آيات الحفظ	من	٤٦	٥٤
	إلى	٥٣	٥٧

تفسير آيات هذا الشوط

من صفحة رقم (١٧٨) إلى صفحة رقم (١٧٩)

الشوط الخامس

(آداب الاستئذان)

من الآية رقم (٥٨) قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا...﴾

إلى الآية رقم (٦٤) قوله تعالى: ﴿ألا إن لله ما في السموات...﴾

مدة الحفظ: يومان

* يبدأ هذا الشوط بأحكام الاستئذان داخل البيوت ويخصص أوقاتا ثلاثة دون غيرها لأنها مظنة انكشاف العورات. ولا يجعل استئذان الخدم والصغار فى كل حين منعًا للحرج: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾.

والتعقيب هنا بأن الله عليم حكيم لأن المقام مقام علم الله بنفوس البشر، وما يصلحها من الآداب، ومقام حكمته كذلك فى علاج النفوس والقلوب.

* وبخصوص إخفاء زينة النساء منعًا لإثارة الفتن والشهوات. عاد هنا يستثنى من النساء القواعد اللواتى فرغت نفوسهن من الرغبة في معاشرة الرجال. ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم﴾.

* ثم يمضى السياق فى تنظيم العلاقات والارتباطات بين الأقارب والأصدقاء: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾.

* وينتقل من تنظيم العلاقات بين الأقارب والأصدقاء، إلى تنظيمها بين الأسرة الكبيرة... أسرة المسلمين.. ورئيسها وقائدها محمد رسول الله ﷺ وإلى آداب المسلمين فى مجلس الرسول: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم

يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾ .

* ثم يلتـفت إلى ضرورة توقيـر الرسول ﷺ عند الاسـتئـذان، وفى كل الأحوال ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ .

* ويختم هذا التحذير، وتختم معه السورة كلها بإشعار القلوب المؤمنة والمنحرفة بأن الله مطلع عليها، رقيب على عملها، عالم بما تنطوى عليه وتخفيه: ﴿ألا إن لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم﴾ .

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٧٩) إلى صفحة رقم (١٨١)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٥٨	٦١
	إلى	٦٠	٦٤

سورة الفرقان

«مكية» وآياتها ٧٧ آية

مدة الحفظ: ٧ أيام

هذه السورة: تبدو كلها وكأنها إيناس لرسول الله ﷺ وتسرية، وتطمين له وتقوية وهو يواجه مشركي قريش، وعنادهم له، وتطاولهم عليه، وتعنتهم معه، وجدالهم الباطل، ووقوفهم في وجه الهدى وصدهم عنه.

* فهي في لمحة منها تصور الإيناس اللطيف الذي يحيط به الله عبده ورسوله وكأنما يمسح على آلامه ومتاعبه مسحًا رقيقا.

* وهي في اللمحة الأخرى تصور المعركة العنيفة مع البشرية الضالة الجاحدة المشاقّة لله ورسوله. وهي تجادل في عنف، وتجنح عن الهدى الواضح.

* ابتدأت هذه السورة الكريمة بالحديث عن القرآن الذي تفنن المشركون بالطعن فيه، والتكذيب بآياته، فتارة زعموا أنه أساطير الأولين، وأخرى زعموا أنه من اختلاف محمد أعانه عليه بعض أهل الكتاب، وثالثة زعموا أنه سحر مبين، فرد الله تعالى عليهم هذه المزاعم الكاذبة، والأوهام الباطلة، وأقام الأدلة والبراهين على أنه تنزيل رب العالمين. ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

* ثم تحدثت عن موضوع الرسالة التي طالما خاض فيها المشركون المعاندون، واقترحوا أن يكون الرسول ملكًا لا بشرًا، وأن تكون الرسالة -على فرض تسليم الرسول من البشر- خاصة بذوي الجاه والثراء، فتكون لإنسان عظيم، لا لفقير يتيم، وقد رد الله تعالى شبهتهم بالبرهان القاطع، والحجة الدامغة، التي تقصم ظهر الباطل: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾.

* ثم ذكرت الآيات فريقًا من المشركين عرفوا الحق وأقروا به، ثم انتكسوا إلى جحيم الضلال ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾.

* وفي ثنايا السورة الكريمة جاء ذكربعض الأنبياء إجمالاً وجاء الحديث عن أقوامهم المكذبين، وما حل بهم من النكال والدمار نتيجة لطغيانهم وتكذيبهم لرسل الله كقوم نوح،

وعاد، وثمود، وأصحاب الرس وقوم لوط، وغيـرهم من الكافرين الجاحدين، كما تحدثت السورة عن دلائل قـدرة الله ووحدانيـته، وعن عجـائب صنعه وآثار خلقـه فى هذا الكون البديع، الذى هو أثر من آثار قدرة الله، ومشاهد من شواهد العظمة والجلال:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾

* وختمت السورة ببيان صفات عبـاد الرحمن، وما أكرمهم الله به من الأخلاق الحميدة التى استحقوا بها الأجر العظيم فى جنات النعيم: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾

وكأنما تتمخض عنهم معركة الجهاد الشاقة مع البشرية الجاحدة الضالة المعاندة، وكأنما هم الثمرة الحلوة الجنيّة الممثلة للخير الكامن فى شجرة البشرية ذات الأشواك.

* ثم يجئ تصـوير هوان البشريـة على الله، لولا تلك القلوب المؤمنة التى تلتـجئ إليه وتدعوه ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾

ويمكن تقسيم السورة إلى أربعة أشواط:

الشوط الأول: من الآية رقم (١) إلى الآية رقم (٢٠) يتحـدث عن المشركين وتطاولهم على الله ورسوله.

الشوط الثانى: من الآية رقم (٢١) إلى الآية رقم (٤٤) وفيه مشهد من مشاهد القيامة.

الشوط الثالث: من الآية رقم (٤٥) إلى الآية رقم (٦٢) وفيه جولة فى مشاهد الكون.

الشوط الأخير: من الآية رقم (٦٣) إلى الآية رقم (٧٧) وفيه يصور (عباد الرحمن)

التسـمية: سميت السورة الـكريمة (سورة الفرقان) لأن الله تعالى ذكر فيـها هذا الكتاب المجيـد الذى أنزله على عبـده محمـد ﷺ وكان النعمـة الكبرى على الإنسـانية لأنه النور السـاطع والضيـاء المبين، الذى فـرق الله به بين الحق والبـاطل، والنور والظلام، والكفـر والإيمان.

الشوط الأول

(المشركون... وتطاولهم على الله ورسوله)

من الآية رقم (١) قوله تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان...﴾

إلى الآية رقم (٢٠) قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين...﴾

مدة الحفظ: يومان

* يبدأ هذا الشوط بتسبيح الله وحمده على تنزيل هذا القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرا.

* وبتوحيد الله المالك لما فى السموات والأرض، المدبر للكون بحكمة وتقدير، ونفى الولد والشريك. ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾.

* ثم يذكر اتخاذ المشركين مع ذلك آلهة من دونه لا يخلقون شيئا وهم يُخلقون ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾

* ويحكى مقولاتهم المؤذية عن الرسول لله من تكذيبه فيما جاءهم به، وادعائهم أنه إفك افتراه، وأنه أساطير الأولين اكتتبها... ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

* ويحكى اعتراضاتهم على بشرية الرسول وحاجته للطعام والمشى فى الأسواق، واقتراحاتهم أن ينزل عليه ملَك أو يلقى إليه كنز، أو تكون له جنة يأكل منها وأنه رجل مسحور (حاشاه): ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾

* ولكى يهون على نفس الرسول ﷺ بكل ما سبق من مقولات جاحدة، يعلن ضلالهم وتكذيبهم بالساعة، ويتوعدهم بما أعده الله من سعير: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾

ويعرض فى الصحفة المقابلة صورة المؤمنين فى الجنة: ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴾

* وينتهى الشوط بتسلية الرسول ﷺ بأن الرسل جميعًا كانوا بشرًا مثله يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٨١) إلى صفحة رقم (١٨٣)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	١	١٠
	إلى	٩	٢٠

الشوط الثانى

(تطاول المكذبين ومشاهد القيامة)

من الآية رقم (٢١) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا...﴾

إلى الآية رقم (٤٤) قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ...﴾

مدة الحفظ: يومان

* يبدأ هذا الشوط بتطاول المكذبين -بلقاء الله- على الله، وقولهم: ﴿لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾.

* ويعالجهم بمشهد اليوم الذى يرون فيه الملائكة: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾.

ليكون فى ذلك تأسية للرسول ﷺ وهم يهجرون القرآن وهو يشكو لربه هذا الهجران. وهم يعترضون على طريقة تنزيله ويقولون: ﴿لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾.

* ويعقب على هذا الاعتراض بمشهدهم يوم القيامة يحشرون على وجوههم وهم المكذبون بيوم القيامة، وبتصوير عاقبة المكذبين قبلهم: ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾.

* وفى نهاية الشوط يعقب على هذا الاستهزاء بتحقيرهم ووصفهم بأنهم أنعام بل دون ذلك: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

وهكذا يُخرج المستهزئين من إطار الآدمية فى عنف واحتقار ومهانة.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٨٤) إلى صفحة رقم (١٨٦)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٢١	٣٥
	إلى	٣٤	٤٤

الشوط الثالث

(جولة فى مشاهد الكون)

من الآية رقم (٤٥) قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ...﴾

إلى الآية رقم (٦٢) قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً...﴾

مدة الحفظ: يوم واحد

* وهذا الشوط يبدأ بجولة فى مشاهد الكون تبدأ بمشهد الظل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾

* ثم يستطرد فى الآيات إلى تعاقب الليل والنهار، والرياح المبشرة بالماء المحيى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾

ومع هذا فهم يعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم، ويتظاهرون على ربهم وخالقهم، ويتطاولون إذا دعوا إلى عبادة الله الحق ويقابلونها باستخفاف واستنكار: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾.

* ويرد على تطاولهم هذا بتمجيد الله سبحانه وتكبيره والتحدث ببركته وعظمته، وعظمة خلقه، وآياته المذكرة به فى هذا الخلق العظيم.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٨٦) إلى صفحة رقم (١٨٧)

الشوط الرابع

(صفات عباد الرحمن)

من الآية رقم (٦٣) قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ...﴾

إلى الآية رقم (٧٧) قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي...﴾

مدة الحفظ: يومان

هذا الشوط الأخير فى السورة يُبرز فيه ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ بصفاتهم المميزة، ومقوماتهم الخاصة، وكأنما هم خلاصة البشرية فى نهاية المعركة الطويلة بين الهدى والضلال. بين البشرية الجاحدة المشاقة والرسل الذين يحملون الهدى لهذه البشرية. وكأنما هم الثمرة الجنية لذلك الجهاد الشاق الطويل، والعزاء المريح لحملة الهدى فيما لا قوة من جحود وصلادة وإعراض!

ثم يفتح باب التوبة لمن يرغب فى أن يسلك طريقة عباد الرحمن، ويصور جزاءهم على صبرهم على تكاليف الإيمان والعباده: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۝٧٥ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾

والآن وقد صور عباد الرحمن تلك الخلاصة الصافية للبشرية يختم السورة بهوان البشرية على الله لولا هؤلاء الذين يتطلعون إلى السماء. فأما المكذبون فالعذاب حتم عليهم لزام. ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾

وهو ختام يناسب موضوع السورة كلها، ومساقها للتسرية عن رسول الله ﷺ وتعزيته عما يلاقى من عناد قومه وجحودهم، وتطاولهم عليه، وهم يعرفون مقامه، ولكنهم فى سبيل الإبقاء على باطلهم يعاندون ويصرون... فما قومه؟ وما هذه البشرية كلها، لولا القلة المؤمنة التى تدعو الله. وتتضرع إليه. كما يدعو عباد الرحمن ويتضرعون؟

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٨٧) إلى صفحة رقم (١٨٨)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٦٣	٦٩
	إلى	٦٨	٧٧

سورة الشعراء

«مكية» وآياتها ٢٢٧ آية

مدة الحفظ: ١١ يوم

هذه السورة: موضوعها الرئيسى هو موضوع السور المكيـة جميعًا. . العقيدة. . ملخصة فى عناصرها الأساسية:

* توحيد الله: ﴿فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

* الخوف من الآخرة: ﴿وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

* والتصديق بالوحى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾.

* ثم التخويف من عاقبة المكذبين: إما بعذاب الدنيا الذى يدمر المكذبين.

وإما بعذاب الآخرة الذى ينتظر الكافرين.

ذلك إلى تسليـة الرسول ﷺ وتعزيتـه عن تكذيب المشركين لـه وللقرآن: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

وإلى طمأنة قلوب المؤمنين وتصبيرهم على ما يلقـونه من عنت المشركين، وتثبيتهم على العقيدة مهما أوذوا فى سبيلها.

وجسم الصورة هو القصص الذى يشغل ثمانين ومـائة آية من مجموع آيات السورة كلها والقصص والمقدمـة والتعقيب تؤلف وحـدة متكاملة متجـانسة، تعبر عن مـوضوع السورة وتبرزه فى أساليب متنوعة، تلتقى عند هدف واحد. . . ومن ثم تعرض من كل قصة الحلقة أو الحلقات التى تؤدى هذه الأعراض.

* فبـدأت بقصة الكليم (مـوسى) مع فرعـون الطاغية الجـبار، وما جـرى من المحاورة والمداورة بينهمـا فى شأن الإله جل وعـلا، وما أيد الله به موسى من الحـجة الدامـغة التى تقصم ظهر الباطل.

* ثم تناولت قصـة الخليل إبراهيم -عليه السلام- وموقـفه من قومه وأبيه فـى عبادتهم للأوثان والأصنام، وقد أظهر لهم بقوة حجته، ونصاعة بيانه، بطلان ما هم عليه من عبادة

ما لا يسمع ولا ينفع، وأقام لهم الأدلة القاطعة على وحدانية رب العالمين.

* ثم تحدثت السورة عن المتقين والغاوين، والسعداء والأشقياء، ومصير كل من الفريقين يوم الدين.

* وبعد أن تابعت السورة فى ذكر قصص الأنبياء (نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب) عليهم الصلاة والسلام، وبينت سنة الله فى معاملة المكذبين لرسله، عادت للتنويه بشأن الكتاب العزيز، تفخيمًا لشأنه، وبيانًا لمصدره: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾.

* ثم ختمت السورة بالرد على افتراء المشركين، فى زعمهم أن القرآن من تنزل الشياطين، ليتناسق البدء مع الختام فى أروع تناسق والتئام!

التسمية: سميت (سورة الشعراء) لأن الله تعالى ذكر فيها أخبار الشعراء، وذلك للرد على المشركين فى زعمهم أن محمدًا كان شاعرًا، وأن ما جاء به من قبيل الشعر، فرد الله عليهم ذلك الكذب والبهتان بقوله: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

الدرس الأول

المقدمة

من الآية رقم (١) قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تلك آيات الكتاب المبين...﴾

إلى الآية رقم (٩) قوله تعالى: ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾

مدة الحفظ: يوم واحد

* تبتدأ هذه المقدمة بالتنبيه إلى أن آيات الكتاب المبين -ومنها هذه السورة- مؤلفة من هذه الأحرف المقطعة كما هو الشأن فى السور المبدوءة بمثلها فى القرآن. ﴿طسٓمٓ ۝١ تلك آيات الكتاب المبين﴾.

* وبعد هذا التنبيه يبدأ فى مخاطبة الرسول ﷺ فيسليه ويهون عليه الأمر، ويستكثر ما يعانيه من أجلهم: ﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ۝٣ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾.

* ثم يجئ التهديد المجمل المهول للتعقيب على هذا الإعراض عن ذكر الله ورحمته ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ۝٥ فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون﴾.

* وإنهم يطلبون آية خارقة، ويغفلون عن آيات الله الباهرة فيما حولهم ﴿أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾.

وتنتهى مقدمة السورة بالتعقيب الذى يتكرر فى السورة بعد استعراض كل آية.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٨٩) إلى صفحة رقم (١٨٩)

الدرس الثانى
(قصة موسى -عليه السلام-)

من الآية رقم (١٠) قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ... ﴾
إلى الآية رقم (٦٨) قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾
مدة الحفظ: ٣ أيام

* هذه الحلقة من قصة موسى -عليه السلام- تجئ فى هذه السورة متناسقة مع موضوع السورة، ومع اتجاهها إلى بيان عاقبة المكذبين بالرسالة، وإلى طمأنة الرسول ﷺ وتعزيته عما يلقاه من إعراض المشركين وتكذيبهم.

* والحلقة المعروضة هنا من قصة موسى هى حلقة الرسالة والتكذيب وما كان من غرق فرعون وملئه جزاء على هذا التكذيب وعقابا على ائتماره بموسى ومن معه من المؤمنين.

ونجاة موسى وبنى إسرائيل مع كيد الظالمين.

* وهذه الحلقة مقسمة إلى مشاهد استعراضية (سبعة):

المشهد الأول: مشهد النداء والبعثة والوحى والمناجاة بين موسى -عليه السلام- وربه.

المشهد الثانى: مشهد مواجهة موسى لفرعون وملئه برسالته وآيتى العصا واليد البيضاء.

المشهد الثالث: مشهد التآمر وجمع السحرة وحشد الناس للمباراة الكبرى.

المشهد الرابع: مشهد السحرة بحضرة فرعون يطمئنون على الأجر والجزاء.

المشهد الخامس: مشهد المباراة ذاته وإيمان السحرة وتهديد فرعون ووعيده.

المشهد السادس: مشهد ذو شقين:

الشق الأول: مشهد إيحاء الله لموسى أن يسرى بعباده ليلاً.

والشق الثانى: مشهد إرسال فرعون فى المدائن حاشرين يجمعون الجنود لملاحقة بنى إسرائيل.

المشهد السابع: مشهد المواجهة أمام البحر ونهايته من انفلاق البحر وغرق الظالمين ونجاة المؤمنين.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٨٩) إلى صفحة رقم (١٩٢)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١٠	٢٧	٤٩
	إلى	٢٦	٤٨	٦٨

الدرس الثالث

(قصة إبراهيم -عليه السلام-)

من الآية رقم (٦٩) قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ...﴾

إلى الآية رقم (١٠٤) قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

مدة الحفظ: يوم واحد

يؤمر الرسول ﷺ أن يتلو على المشركين قصة إبراهيم -عليه السلام- وقومه، ذلك أنهم زعموا أنهم ورثة إبراهيم، وأنهم على دينه القديم، وهم يشركون بالله، ويقيمون الأصنام لعبادتهم فى بيته الحرام، الذى بناه إبراهيم خالصًا لله. فاتل عليه نبأ إبراهيم ليتبينوا منه حقيقة ما يزعمون.

والحلقة التى تعرض هنا من قصة إبراهيم -عليه السلام- هى حلقة الرسالة إلى قومه، وحواره معهم حول العقيدة، وإنكار الآلهة المدعاة. ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾.

والاتجاه بالعبادة إلى الله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

والتذكير باليوم الآخر: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾.

يعقب هذا مشهد كامل من مشاهد القيامة، يتنكر فيه العباد للآلهة، ويندمون على الشرك الذى انتهى بهم إلى ما هم فيه كأنهم قد صاروا فعلاً إلى ما هم فيه!

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾.

وهنا عبرة القصة للمشركين.. ومن ثم يتوسع فى الحديث عن مقومات عقيدة التوحيد، وفساد عقيدة الشرك، ومصير المشركين فى يوم الدين لأن التركيز متجه إليها ويختصر ما عدا ذلك مما يفصله فى سور أخرى.

وقد وردت حلقات من قصة إبراهيم -عليه السلام- فى البقره، والأنعام، وهود، وإبراهيم، والحجر، ومريم، والأنبياء، والحج وكانت فى كل سورة مناسبة لسياقها العام. وعرض منها ما يتفق مع موضوع السورة وجوها وظلها.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٩٢) إلى صفحة رقم (١٩٣).

الدرس الرابع

قصة نوح

من الآية رقم (١٠٥) قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾

إلى الآية رقم (١٢٢) قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

مدة الحفظ: يوم واحد

إن الخط التاريخى ليس هو المقصود هنا، بل المقصود هو العبرة من نهاية الشرك والتكذيب. وقصة نوح، كقصة موسى وقصة إبراهيم، تعرض فى سور شتى من القرآن. ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾.

* وقوم نوح لم يكذبوا إلا نوحًا. ولكنه يذكر أنهم كذبوا المرسلين. فالرسالة فى أصلها واحدة.

وهى دعوة إلى توحيد الله. فمن كذب بها فقدكذب بالمرسلين أجمعين. فهذه دعوتهم جميعًا.

* وهذه هى دعوة نوح التى كذبه فيها قومه -وهو أخوهم- وكان الأليق بالأخوة أن تقود إلى المسالمة والاطمئنان والإيمان والتصديق. ولكن قومه لم يأبهوا لهذه الصلة، ولم تلن قلوبهم لدعوة أخيهم نوح إذ قال لهم: ﴿ أَلا تَتَّقُونَ ﴾.

ويكرر عليهم طلب التقوى والطاعة، ولكن القوم يطلعون عليه باعتراض عجيب. وهو اعتراض مكرور فى البشرية مع كل رسول: ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ﴾.

فلما أن واجههم نوح -عليه السلام- بحجته الواضحه ومنطقه المستقيم: ﴿ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.

لجأوا إلى ما يلجأ إليه الطغيان كلما اعوزته الحجة، وخذله البرهان: ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾.

* هنا توجه نوح إلى الولى الوحيد، والناصر الفريد، الذى لا ملجأ سواه للمؤمنين: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴾.

واستجاب الله لنبيه الذى يتهدده الطغيان . . ثم يجئ التعقيب : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٩٣) إلى صفحة رقم (١٩٤)

الدرس الخامس

قصة عاد واخوهم هود

من الآية رقم (١٢٣) قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾

إلى الآية رقم (١٤٠) قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

مدة الحفظ: يوم واحد

وقوم هود كانوا يسكنون الأحقاف، وهى جبال رملية قرب حضرموت من ناحية اليمن. وقد جاءوا بعد قوم نوح. وكانوا ممن زاغت قلوبهم بعد فترة من الطوفان الذى طهر وجه الأرض من العصاة.

وتبدأ هذه القصة كما بدأت قصة قوم نوح: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

فهى الكلمة التى يقولها كل رسول. ثم يزيد ما هو خاص بحال القوم وتصرفاتهم، فينكر عليه الترف فى البنيان لمجرد التباهى بالمقدرة، والإعلان عن الثراء، والتكاثر والاستطالة فى البناء، كما ينكر غرورهم بما يقدرون عليه من أمر هذه الدنيا، وما يسخرونه فيها من القوى، وغفلتهم عن تقوى الله ورقابته: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾.

ويبدوا أن عادًا كانت قد بلغت من الحضاره الصناعية مبلغًا يذكر، حتى لتتخذ المصانع لنحت الجبال وبناء القصور، وتشييد العلامات على المرتفعات.

* ويمضى هود فى استنكار ما عليه القوم. ولكن هذه التذكرة وهذا التخويف، لا يصلان إلى تلك القلوب القاسية الفظه الغليظه: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾.

وفى كلمتين اثنتين ينتهى الأمر، وتطوى قوى عاد الجبارين، وتطوى مصانعهم التى يتخذون، ويطوى ما كانوا فيه من نعيم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٩٤) إلى صفحة رقم (١٩٥)

الدرس السادس

ثمود وأخوهم صالح

من الآية رقم (١٤١) قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾

إلى الآية رقم (١٥٩) قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

مدة الحفظ: يوم واحد

إنها ذات الدعوة بألفاظها يدعوها كل رسول... ثم يزيد ما هو من شأن ثمود خاصة، وما تقتضيه طبيعة الموقف وطبيعة الظروف. إذ يذكرهم أخوهم صالح بما هم فيه من نعمة -(وقد كانوا يسكنون بالحجر بين الشام والحجاز، وقد مر النبى ﷺ بدورهم المدمرة مع صحابته فى غزوة تبوك)- ويخوفهم سلب هذه النعمة، كما يخوفهم ما بعد المتاع من حساب على ما كان من تصرفهم فيه: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾.

وإنهم ليعيشون بين هذا المتاع الذى يصوره لهم أخوهم صالح. ولكنهم يعيشون فى غفلة عنه لا يفكرون فيمن وهبهم إياه، ولا يتدبرون منشأه ومأتاه.

وبعد أن يلمس قلوبهم هذه اللمسات الموقظة يناديهم إلى التقوى، إلى الطاعة، وإلى مخالفة الملأ الجائرين البعيدين عن الحق والقصد: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.

ولكن هذه اللمسات وهذه النداءات لا تصل إلى تلك القلوب، فلا تصغى لها ولا تلين ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

وطلبت ثمود خارقة معجزة من الرسول تدل على أنه حقًا مرسل من الله: ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

وجاءهم بخارقة فى صورة ناقة، بعدما استجاب الله له، ولا نخوض فى وصفها، فنكتفى بأنها كانت خارقة كما طلبت ثمود. فماذا فعلت هذه الآية الخارقة بالقوم المتعنتين؟ إنهم لم يحفظوا عهدهم ولم يوفوا بشرطهم: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾.

ولقد ندم القوم على الفعلة، ولكن بعد فوات الأوان وتصديق النذير: ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ ثم يجئ التعقيب ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٩٥) إلى صفحة رقم (١٩٥)

الدرس السابع

قصة لوط

من الآية رقم (١٦٠) قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾

إلى الآية رقم (١٧٥) قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

مدة الحفظ: يوم واحد

يبدأ لوط مع قومه بما بدأ به نوح وهود وصالح. يستنكر استهتارهم، ويستجيش فى قلوبهم وجدان التقوى، ويدعوهم إلى الإيمان والطاعة، ويطمئنهم إلى أنه لن يفجعهم فى شئ من أموالهم مقابل الهدى. ثم يواجههم باستنكار خطيئتهم الشاذة التى عرفوا بها فى التاريخ: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾.

والخطيئة المنكرة التى عرف بها قوم لوط (وقد كانوا يسكنون عدة قرى فى وادى الأردن) هى الشذوذ الجنسى بإتيان الذكور، وترك النساء. وهو انحراف للفطرة شنيع، لأن هذا الشذوذ لا يرمى إلى هدف ولا يحقق غاية، ولا يتمشى مع فطرة هذا الكون وقانونه. وعجيب أن يجد فيه أحد لذة. ومن ثم لم يكن بد أن يرجعوا عن هذا الانحراف أو أن يهلكوا.

فلما دعاهم لوط إلى ترك هذا الشذوذ: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾.

وقد كان فيهم غريبا. وفد عليهم مع عمه إبراهيم حين اعتزل أباه وقومه، وترك وطنه وأرضه، وعبر الأردن مع إبراهيم والقلة التى آمنت معه. ثم عاش وحده مع هؤلاء القوم حتى أرسله الله إليهم، ليردهم عما هم فيه، فإذا بهم يهددونه بالإخراج من بينهم. عندئذ لم يبق إلا أن يعالنهم بكراهة ما هم فيه:

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ أى الكره البالغ... ثم يتوجه إلى ربه بالدعاء:

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ واستجاب الله دعوة نبيه:

﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ وهذه العجوز هى امرأته ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾

قيل خسفت قراهم وغطاهم الماء، ثم يعقب على مصرعهم بالتعقيب المكرر: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٩٦) إلى صفحة رقم (١٩٦)

الدرس الثامن

قصة شعيب

من الآية رقم (١٧٦) قوله تعالى: ﴿كذّب أصحابُ الأيكة...﴾

إلى الآية رقم (١٩١) قوله تعالى: ﴿وإنّ ربّك لهو العزيزُ الرّحيمُ﴾

مدة الحفظ: يوم واحد

هذه قصة شعيب، وأصحاب الأيكة هم -غالبًا- أهل مدين. والأيكة الشجر الكثيف الملتف. ويبدو أن مدين كانت تجاورها هذه الغيضة الوريقة من الأشجار. وموقع مدين بين الحجاز وفلسطين حول خليج العقبة.

وقد بدأهم شعيب بما بدأ به كل رسول قومه، ثم أخذ يواجههم بما هو خاصة شأنهم: ﴿أوْفوا الكيْلَ ولا تكونوا من المُخْسرين (١٨١) وزنوا بالقسْطاس المُسْتقيم (١٨٢) ولا تبْخسُوا النّاس أشْياءهُمْ ولا تعْثوْا في الأرْض مُفْسدين﴾

ثم استجاش شعيب مشاعر التقوى فى نفوسهم، وهو يذكرهم بخالقهم الواحد: ﴿واتّقوا الّذي خلقكُمْ والجبلّة الأوّلين﴾

فما كان منهم إلا أن أطلقوا عليه الاتهام بأنه مسحور، فهو يخلط ويهذى بما يقول: ﴿قالوا إنّما أنت من المُسحّرين (١٨٥) وما أنت إلاّ بشرٌ مّثْلُنا وإن نّظُنُّك لمن الكاذبين (١٨٦) فأسْقطْ علينا كسفًا مّن السّماء إن كُنت من الصّادقين﴾

وهو تحدى المستهتر الهازئ المستهين! وهو شبيه بتحدى المشركين للرسول الكريم...

ويعجل السياق بالنهاية دون تفصيل ولا تطويل: ﴿قال ربّي أعْلمُ بما تعْملُون (١٨٨) فكذّبُوهُ فأخذهُمْ عذابُ يوْم الظُّلّة إنّهُ كان عذاب يوْمٍ عظيمٍ﴾.

قيل أخذهم حر خانق شديد يكتم الأنفاس ويثقل الصدور. ثم تراءت لهم سحابة، فاستظلوا بها، فوجدوا لها بردًا. ثم إذا هى الصاعقة المجلجلة المدوية تفزعهم وتدمرهم تدميرا. وكان ذلك (يوم الظلة) فالظلة كانت سمة اليوم المعلوم.

ثم يجئ التعقيب المكرور: ﴿إنّ في ذلك لآيةً وما كان أكْثرُهُم مُّؤْمنين (١٩٠) وإنّ ربّك لهُو العزيزُ الرّحيمُ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٩٦) إلى صفحة رقم (١٩٧)

الدرس التاسع

حديث عن القرآن

من الآية رقم (١٩٢) قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾

إلى الآية رقم (٢٢٧) قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾

مدة الحفظ: يوم

* وفى هذا الدرس يعود السياق إلى موضوع السورة الذى تضمنته المقدمة، فجاء هذا التعقيب الأخير. يتحدث عن القرآن، فيؤكد أنه تنزيل رب العالمين -ومنه هذه القصص الذى مضت به القرون، فإذا القرآن ينزل من رب العالمين- ويشير إلى علماء بنى إسرائيل يعرفون خبر هذا الرسول وما معه من القرآن، لأنه مذكور فى كتب الأولين. إنما المشركون يعاندون الدلائل الظاهرة، ويزعمون أنه سحر أو شعر.

* ولو أن أعجميا لا يتكلم العربية نزل عليه هذا القرآن فتلاه عليهم بلغتهم ما كانوا به مؤمنين. لأن العناد هو الذى يقعد بهم عن الإيمان لا ضعف الدليل.

* وما تنزلت الشياطين بهذا القرآن على محمد ﷺ كما تتنزل بالأخبار على الكهان. وما هو كذلك بشعر، فإن له منهجًا ثابتا والشعراء يهيمون فى كل واد وفق الانفعالات والأهواء.

إنما هو القرآن المنزل من عند الله تذكيرًا للمشركين، قبل أن يأخذهم الله بالعذاب، وقبل أن يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

وهذه الجولة الأخيرة فى السورة حول القرآن فقد أكد أنه تنزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين. وفى المرة الثانية نفى أن تتنزل به الشياطين.

وقرر بعد ذلك أن الشياطين لا تتنزل على مثل محمد ﷺ فى أمانته وصدقه وصلاح منهجه، إنما تتنزل على كل كذاب آثم ضال من الكهان الذين يتلقون إيحاءات الشياطين ويذيعونها مع التضخيم والتهويل: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾.

ولقد كانوا يقولون عن القرآن أحيانًا: إنه شعر، ويقولون عن النبى ﷺ إنه شاعر.

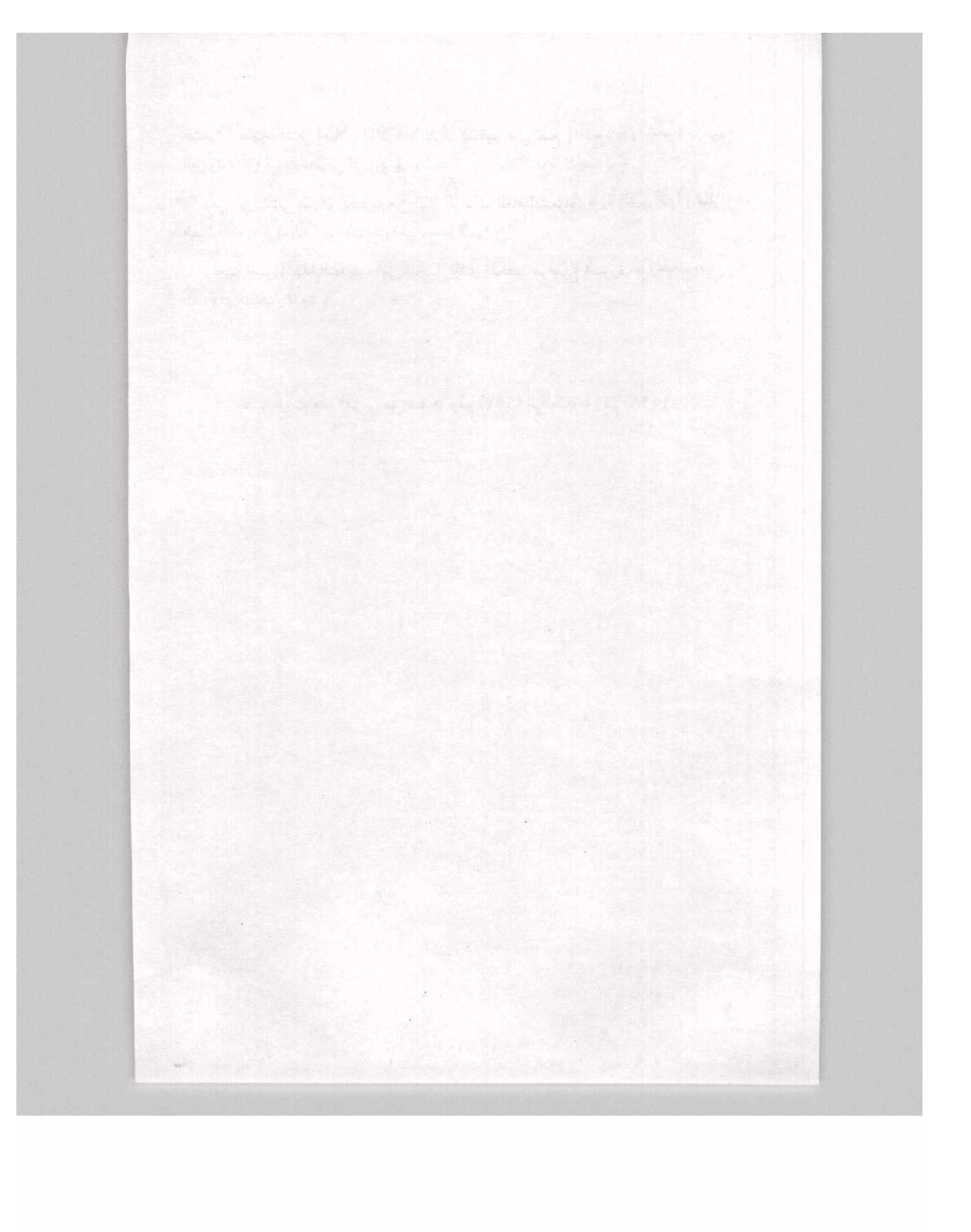
فجاء القرآن يبين لهم فى هذه السورة أن منهج محمد ﷺ ومنهج القرآن غير منهج

الشعراء ومنهج الشعر أصلاً. فـإن هذا القرآن يستقيم على نهج واضح: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾

ومن ثم يستثنى القرآن الكـريم من ذلك الوصف العام للشعراء: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾

وتختم السورة بهذا التهديد الخفى المجمل الذى يلخص موضوع السورة. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٩٧) إلى صفحة رقم (١٩٨)




تفسير
الآيات

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ
وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾
إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ
وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

سورة الإسراء
الدرس الأول:
(الناموس الكونى)
الآيات من ١/٢١
مدة الحفظ: يومان.

تبدأ السورة بتسبيح الله:

١ ﴿سُبحان الذي أسرى بعبده ليلا...﴾ وقال بعبده تشريفا له فى هذا المقام العظيم ﴿من المسجد الحرام﴾ أسرى برسول الله ﷺ من دار أم هانئ بجوار المسجد الحرام، ﴿إلى المسجد الأقصا﴾ وهو مسجد بيت المقدس، وسمى الأقصى: لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام، ﴿الذي باركنا حوله﴾ بالثمار والأنهار ومنازل الأنبياء والصالحين. وفيه من بركات الدنيا والآخرة ﴿لنريه من آياتنا﴾ أى ما أراه الله سبحانه فى تلك الليلة من العجائب ﴿إنه﴾ سبحانه ﴿هو السميع﴾ بكل مسموع ﴿البصير﴾ بكل مبصر. وكان الإسراء بجسده ﷺ مع روحه، وقيل بروحه فقط.

وتجئ هنا سيرة موسى وبنى إسرائيل فى مكانها المناسب من سياق السورة فالمسجد الأقصى هو قلب الأرض المقدسة التى أسكنها الله بنى إسرائيل ثم أخرجهم منها:

٢ ﴿وآتينا موسى الكتاب﴾ أى التوراة ﴿وجعلناه﴾ أى ذلك الكتاب ﴿هدى لبني إسرائيل﴾ يهتدون به ﴿ألا تتخذوا من دوني وكيلا﴾ كفيلاً بأمورهم.

٣ ﴿ذرية من حملنا مع نوح...﴾ ذكرهم الله بتلك الحال حيث لم يكن العون إلا من الله، ولا ناصر إلا هو ﴿إنه كان عبدا شكورا﴾ وصف الله نوحًا بكثرة الشكر حثا لذريته على شكر الله سبحانه.

٤ ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب...﴾ أى حكمنا وأخبرنا، والمراد بالكتاب: التوراة ﴿لتفسدن في الأرض﴾ هى الأرض المقدسة التى بها المسجد الأقصى، وهى أرض بيت المقدس ﴿مرتين﴾.

﴿ولتعلن علوا كبيرا﴾ لتستعلنّ على الناس، وليظهرن أمركم ودولتكم بالظلم والبغى.

٥ ﴿فإذا جاء وعد أولاهما...﴾ أى أولى المرتين المذكورتين ﴿بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس﴾ أى قوة فى الحروب وبطش عند اللقاء ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ أى عاثوا وترددوا وتخللوها، وطافوا بين الديار يطلبونهم ويقتلونهم ذاهبين وجائين ﴿وكان﴾ ذلك ﴿وعدا مفعولا﴾ أى كائنا لا محالة.

٦ ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم...﴾ أى الدولة والغلبة، وذلك عند توبتكم ﴿وأمددناكم بأموال وبنين﴾ بعد نهب أموالكم، وسبى أبنائكم ﴿وجعلناكم أكثر نفيرا﴾ أكثر من عدوكم فى عدد رجال الحرب

٧ ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم...﴾ أن أحسنتكم أفعالكم وأقوالكم على الوجه المطلوب منكم فثواب ذلك عائد عليكم ﴿وإن أسأتم﴾ أفعالكم وأقوالكم ﴿فلها﴾ أى فقد أسأتم لأنفسكم لا لغيرها ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أى حضر وقت ما وعدوا من عقوبة المرة الثانية ﴿ليسوؤوا وجوهكم﴾ ويتبين فى وجوهكم الهزيمة والخزى والعار بعد التكبر ﴿وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا﴾ أى يدمروا ويهلكوا ﴿ما علوا﴾ أى ما غلبوا عليه من بلادكم ﴿تتبيرا﴾ أى تدميرا...

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

٨ ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ...﴾ يابنى إسرائيل بعد انتقامه منكم فى المرة الثانية ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ للثالثة ﴿عُدْنَا﴾ إلى عقوبتكم ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ الحصير المحبس، فيحصرون فيها ولا يتخلصون عنها أبداً.

وينتقل السياق إلى القرآن:

٩ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...﴾ وهى ملة الإسلام ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بما اشتمل عليه من الوعد بالخير آجلاً وعاجلاً ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ التى أرشد إلى عملها القرآن ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾

١٠ ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ...﴾ وأحكامها المبينة فى القرآن ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وهو عذاب النار.

١١ ﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ...﴾ وهو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضجر بما لا يحب أن يستجاب له ﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ فلو استجاب الله دعاءه على نفسه بالشر هلك، لكنه لم يستجب تفضلا منه ورحمة ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾ أى مطبوعًا على العجلة، ومن عجلته أنه يسأل الشر كما يسأل الخير.

١٢ ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ...﴾ لما فيهما من الاختلاف والإظلال والإنار، مع تعاقبهما ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ طمسنا نورها، والمراد أنه خلقها ممحوة الضوء مطموسة ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ مضيئا تبصر فيه الأشياء ﴿لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أى لتتوصلوا بضياء النهار إلى التصرف فى وجوه المعاش ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ إذ لا يكون علم عدد السنين وحساب الشهور والأيام، إلا باختلاف الليل والنهار ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ أى كل ما أراد الله بيانه لكم من أمر دينكم.

١٣ ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ...﴾ وطائره هو ما طار عنه من عمله ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ أى نجمع له عمله كله فى كتاب يعطاه يوم القيامة.

١٤ ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ...﴾ أى إنك لم تظلم ولم يكتب عليك إلا ما عملت. وقوله ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ أى يكفيك نفسك حاسبًا لأعمالك محصيا لها عليك أيها الإنسان.

١٥ ﴿مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ...﴾ فهى التبعة الفردية التى تربط كل إنسان بنفسه. إن اهتدى فلها ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ وما من نفس تحمل وزر أخرى، إنما يسأل كل عن عمله.

وترتبط قاعدة العمل والجزاء كالتالى:

١٦ ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ سلط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها، فعمَّ فيها الفسق، فتحللت وترهللت، فحقت عليها سنة الله، وأصابها الدمار والهلاك.

١٧ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ...﴾ أى الأمم ﴿مِن بَعْدِ نُوحٍ﴾ كعاد وثمود. ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ لا تخفى عليه منها خافية.

معانى الكلمات:

فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ: خلقنا القمر مطموس النور مظلما.

آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً: الشمس مضيئة منيرة للأبصار.

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

١٨ ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء....﴾ فإن الله يعجل له حظه فى الدنيا حين يشاء، ثم تنتظره فى الآخرة جهنم عن استحقاق ﴿لمن نُريد﴾ نحن، لا ما يشاؤه ذلك المريد.

١٩ ﴿ومن أراد الآخرة...﴾ أى أراد بأعماله الدار الأخرة ﴿وسعى لها سعيها﴾ أى السعى اللائق يطالبها على القانون الشرعى، من دون ابتداع ولا هوى ﴿وهو مؤمن﴾ بالله إيمانا صحيحًا ﴿فأولئك كان سعيهم مشكورا﴾ عند الله: أى مقبولاً غير مردود.

٢٠ ﴿كـلاً نمـد هؤلاء وهؤلاء...﴾ نرزق المؤمنين والكفار، وأهل الطاعة وأهل المعصية، لا تؤثر معصية العاصى فى قطع رزق ﴿من عطاء ربك﴾ بمحض التفضل ﴿وما كان عطاء ربك محظورا﴾ أى ممنوعا.

٢١ ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض...﴾ وذلك لحكمة بالغة تقصر العقول عن إدراكها ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾ أى أن التفاضل فى الآخرة ودرجاتها بين المؤمنين والكفار فوق التفاضل فى الدنيا.

الدرس الثانى: (الوحدانية)

الآيات من ٢٢/٣٩

مدة الحفظ: يومان

يبدأ الدرس بالنهى عن الشرك:

٢٢ ﴿لا تجعل مع الله إلها آخر...﴾ أيها المكلف.. لا تجعل -فى عبادتك لربك- شويكًا له سبحانه ﴿فتقعد مذموما﴾ أى على إشراكك به ﴿مخذولا﴾ لأن الله تعالى لا ينصرك بل يكلك إلى الذى عبدت معه، وهو لا يملك لك ضرًا ولا نفعًا.

٢٣ ﴿وقضى ربك...﴾ أى أمر أمرًا جزمًا بإفراده بالعباده ﴿وبالوالدين إحسانا﴾ أى وقضى بأن تحسنوا بالوالدين إحسانا، ثم خص سبحانه حالة الكبر بالذكر ﴿إما يبلغن﴾ أى إن بلغ ﴿عندك الكبر أحدهما أو كلاهما﴾ عندك أي فى كنفك وكفالتك ﴿فلا تقل لهما أف﴾ وهى كلمة تنبئ عن التضجر ﴿ولا تنهرهما﴾ النهر: الزجر والغلظة. أي لا تكلمهما ضجرًا صائحا فى وجوههما ﴿وقل لهما قولاً كريما﴾ فبدلاً من التأفيف والنهر كن لينا لطيفا مع التأدب والحياء والاحتشام.

٢٤ ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة...﴾ فكأنه قال للولد: اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك، كما فعلا بك حال صغرك ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ أي رحمة مثل تربيتهما إلى أو لأجل تربيتهما لى.

٢٥ ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم..﴾ بما فى ضمائركم من الاخلاص ﴿﴿إن تكونوا صالحين﴾ فلا يضركم ما وقع من الذنب الذى تبتم عنه ﴿فإنه كان للأوابين غفورا﴾ أي الرجاعين عن الذنوب إلى التوبة، فمن تاب تاب الله عليه.

٢٦ ﴿وآت ذا القربى...﴾ وهو صلة الرحم ﴿والمسكين﴾ هو الفقير العاجز عن الكسب ﴿وابن السبيل﴾ هو المنقطع فى سفره ﴿ولا تبذر تبذيرا﴾ وهو الاسراف المذموم.

٢٧ ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين...﴾ والإسراف في الإنفاق من الشيطان ﴿وكان الشيطان لربه كفورا﴾ لا يعمل إلا شرًا، ولا يأمر إلا بعمل الشر، فالمبذر كفور.

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

٢٨ ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك...﴾ أى إذا سألك أقاربك أعرضت عنهم لفقد النفقة ﴿فقل لهم قولاً ميسورا﴾ أى عدهم إذا جاء رزق الله فسنصلكم إن شاء الله.

٢٩ ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك...﴾ أى لا تكن بخيلاً منوعًا، لا تعطى أحدًا شيئا ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ أى ولا تسرف فى الإنفاق.

٣٠ ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر...﴾ أى يوسعه على بعضه ويضيقه على بعض فهو سبحانه ﴿خبيرا بصيرا﴾ لا يخفى عليه من ذلك خافية.

٣١ ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق...﴾ أى خشية الفقر، فأنتم لستم لهم برازقين ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ فلماذا تصنعوا بهم هذه الفعلة النكراء؟ ﴿إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾ إثما عظيما

٣٢ ﴿ولا تقربوا الزنى...﴾ إن فى الزنا قتلاً من نواحى شتى، وهو قتل للجماعة التى يفشو فيها أيضا ﴿إنه كان فاحشة﴾ متبالغا فى القبح مجاوزًا للحد ﴿وساء سبيلا﴾ لأنه يؤدى إلى النار ويقضى إلى اختلاط الأنساب.

٣٣ ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله...﴾ التى جعلها الله معصومة بعصمة الدين ﴿إلا بالحق﴾ وهو ما يباح به قتل النفس، كالردة، والزنى من المحصن، كالقصاص من القاتل عمدًا عدوانا ﴿ومن قتل مظلوما﴾ لا بسبب من هذه الأسباب ﴿فقد جعلنا لوليه﴾ أى لمن يلى أمره من ورثته، والسلطان: التسلط على القاتل: إن شاء قتل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية ﴿فلا يسرف في القتل﴾ يمثل بالقاتل أو يقتل غير القاتل ﴿إنه كان منصورا﴾ أى مؤيدا فلقد أمر الله أهل الولايات بمعونته والقيام بحقه.

٣٤ ﴿ولا تقربوا مال اليتيم...﴾ ولكن يباشره ولى اليتيم بالخصله ﴿بالتي هي أحسن﴾ وهى حفظه وطلب الربح فيه ﴿وأوفوا بالعهد﴾ قوموا بحفظه على الوجه الشرعى.

٣٥ ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم...﴾ أى أتموه ولا تخسروه ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ وهو الميزان الذى توزن به البضائع ﴿ذلك﴾. وهو إيفاء الكيل ﴿خير﴾ لكم عند الله ﴿وأحسن تأويلا﴾ أى أحسن عاقبة.

٣٦ ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم...﴾ فنهى عن أن يقول الإنسان ما لا يعلم ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ يسأل صاحبها عما استعملها فيها، وقيل إن الله سبحانه ينطق الأعضاء هذه عند سؤالها، فتخبر عما فعلت.

٣٧ ﴿ولا تمش في الأرض مرحا...﴾ أى خيلاء وفخرا ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ بمشيك عليها ﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾ فأنت لن تطاول الجبال.

٣٨ ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها...﴾ فإن الله سبحانه يكره كل هذا ويبغضه ولا يرضاه.

معانى الكلمات:

يبلغ أشده: قوته على حفظ ماله

ولا تقف: لا تتبع.

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا (٣٩) أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم
بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا (٤٠)
وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا (٤١)
قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا
(٤٢) سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن
لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا (٤٤) وَإِذَا قَرَأۡتَ
ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا
مَّسۡتُورٗا (٤٥) وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ
وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا
(٤٦) نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ
إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا (٤٧) ٱنظُرۡ
كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا (٤٨)
وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا (٤٩)

٣٩ ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة...﴾ الإشاره إلى ما تقدم ذكره وهى خمسة وعشرون تكليفا ﴿ولا تجعل مع الله إلها آخر﴾ كرر النهي عن الشرك تأكيدًا وتقريرًا ﴿فتلقى في جهنم ملوما مدحورا﴾ موخا مطرودا.

الدرس الثالث:
(أوهام الوثنية الجاهلية)
الآيات من ٤٠/٥٧
مدة الحفظ: يومان

٤٠ ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا...﴾ هو خطاب للكفار القائلين بأن الملائكة بنات الله ﴿إنكم لتقولون قولاً عظيما﴾ بالغًا فى العظم والجراءة على الله.

٤١ ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا...﴾ فقد جاء هذا القرآن بالتوحيد ﴿وما يزيدهم إلا نفورا﴾ ولكنهم يزيدون نفوراً كلما سمعوا هذا القرآن.

ويوجه الخطاب للقائلين بأن مع الله آلهة أخري:

٤٢ ﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا﴾ فالقضية كلها ممتنعة وليس هناك آلهة مع الله.

٤٣ ﴿سبحانه...﴾ التسبيح التنزيه ﴿وتعالى﴾ تباعد ﴿عما يقولون﴾ من الأقوال الشنيعة والفرية العظيمة ﴿علوا﴾ تعاليا ﴿كبيرا﴾.

٤٤ ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾ من مخلوقاته الذين لهم عقول وغيرهم من الأشياء التى لا تعقل ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ فشمل كل الأشياء يسبح بطريقته ولغته ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ لا تفهمون ما تقول ﴿إنه كان حليما غفورا﴾ فمن حلمه الإمهال لكم ومن مغفرته لكم أنه لا يؤخذ من تاب منكم.

٤٥ ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا﴾ يمنعهم من السماع.

٤٦ ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة...﴾ أغطية ﴿أن يفقهوه﴾ أى لئلا يفقهوه ﴿وفي آذانهم وقرا﴾ أى صممًا وثقلا ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ غير مشفوع بذكر آلهتهم ﴿ولوا على أدبارهم نفورا﴾ أعطوك ظهورهم لئلا يسمعوا.

٤٧ ﴿نحن أعلم بما يستمعون به...﴾ من الاستخفاف بك وبالقرآن واللغو فى ذكرك ربك وحده ﴿وإذ هم نجوى﴾ أى ونحن أعلم بما يتناجون بالتكذيب والإستهزاء ﴿إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ سُحر فاختلط عقله.

٤٨ ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال...﴾ قالوا تارة إنك كاهن، وتارة ساحر، وتارة شاعر وتارة مجنون ﴿فضلوا﴾ عن طريق الصواب فى جميع ذلك ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ إلى الهدى، أو إلى الطعن الذى تقبله العقول ويقع التصديق له.

كذلك كذبوا بالبعث وكفروا بالآخرة.

٤٩ ﴿وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا...﴾ ذك أنهم لم يكونوا يتدبرون أنهم لم يكونوا أحياء أصلاً ﴿أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ والاستفهام هنا للاستنكار والاستبعاد.

معاني الكلمات:

صرفنا : كررنا القول

سبيلا : بالمغالبة والممانعة.

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢) وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٥٤) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (٥٥) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧) وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨) ﴾

وكان الرد على ذلك التعجب:

٥٠ ﴿قل كونوا حجارة أو حديداً﴾ معناه: لوكنتم حجارة أو حديداً لأعادكم الله كما بدأكم، ولأماتكم ثم أحياكم أول مرة.

٥١ ﴿أو خلقا مما يكبر في صدوركم..﴾ يعني السماء والأرض والجبال ﴿فسيقولون من يعيدنا﴾ إلى بعد أن نصير رفاتا أو حجارة أو حديدا ﴿قل الذي فطركم أول مرة﴾ أى يعيدكم الذى خلقكم عند ابتداء خلقكم ﴿فسينغضون إليك رءوسهم﴾ أى: يحركونها استهزاء ﴿ويقولون متى هو﴾ أي البعث والإعادة ﴿قل عسى أن يكون قريبا﴾ أى هو قريب، وكل ما هو آت قريب.

٥٢ ﴿يوم يدعوكم...﴾ الله إلى المحشر ﴿فتستجيبون بحمده﴾ أى منقادين له حامدين ﴿وتظنون إن لبثتم﴾ فى قبوركم ﴿إلا﴾ زمنا ﴿قليلا﴾ تحقرت الدنيا فى أعينهم.

٥٣ ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن...﴾ عند محاورتهم للمشركين يقولوا أحسن الكلام ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ إذا قيلت الكلمة السيئة، أى بالفساد وإلقاء العداوة والإغواء ﴿إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا﴾ أي متظاهراً بالعداوة مكاشفًا بها:

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ نزلت فى عمر بن الخطاب -رضى الله عنه-، وذلك أن رجلاً من العرب شتمه، فأمر الله تعالى بالعفو.

٥٤ ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم﴾ قيل: هذا خطاب للمشركين، والمعنى: إن يشأ الله يوفقكم للإسلام فيرحمكم، أو يميتكم على الشرك فيعذبكم ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلا﴾ ما وكلناك في منعهم من الكفر، وقسرهم على الإيمان.

٥٥ ﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض...﴾ أعلم بهم ذاتا وحالاً واستحقاقًا ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ كما اتخذ الله إبراهيم خليلا، وموسى كليما، وجعل عيسى كلمته وروحه، وجعل لسليمان ملكًا عظيما وغفر لمحمد ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﴿وآتينا داود زبورا﴾ هو الكتاب الذى أعطاه الله داود، ويسمى: مزامير داود، وكله كان مواعظ وأذكارا.

ويستطرد الدرس إلى الاتجاه إلى الله:

٥٦ ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه..﴾ زعمتم أنهم آلهة من دون الله ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم﴾ أى لا يستطيعون تحويله من حال إلى حال.

٥٧ ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب...﴾ ليعلموا أيهم أقرب إلى الله سبحانه بالطاعة والعبادة ﴿ويرجون رحمته﴾ كما يرجوها غيرهم ﴿ويخافون عذابه﴾ كما يخافه غيرهم ﴿إن عذاب ربك كان محذورا﴾ حقيق بأن يحذره العباد من الملائكة والأنبياء وغيرهم.

الدرس الرابع:

(المصير النهائى للبشر جميعا)

الآيات من ٧٢/٥٨

مدة الحفظ: يومان.

٥٨ ﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة...﴾ إما بموت، وإما بعذاب يستأصلهم قبل يوم القيامة ﴿كان ذلك﴾ المذكور من الإهلاك والتعذيب ﴿في الكتاب﴾ أى فى اللوح المحفوظ ﴿مسطورا﴾ أى مكتوبا.

معاني الكلمات:

ينزغ بينهم: يفسد ويهيج الشر بينهم

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

وجاءت الرسالة الأخيره غير مصحوبة بأية خوارق:

٥٩ ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون...﴾

سبب النزول:

عن ابن عباس: قال: سأل أهل مكة النبى ﷺ أن يجعل الصفا ذهبا وأن ينحى عنهم الجبال فيزرعون، فأتاه جبريل فقال: إن شئت أن نستأنى بهم لعلنا نختبئ منهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذى سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم قال: لا، بل أستأنى بهم. فأنزل الله الآية. ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ دالة على صدق صالح رأى العين ﴿فظلموا بها﴾ أى فجحدوا بها ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾ أى: وما نرسل المعجزات مع الرسل إلا تخويفًا للمكذبين لعلهم يؤمنون.

ويتعرض السياق هنا لخارقة الإسراء والمعراج فهى لم تتخذ معجزة بل فتنة للناس:

٦٠ ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس...﴾ أى أنهم فى قبضته وتحت قدرته ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ هذه الرؤيا هى رؤيا عين وهى الإسراء ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾.

سبب نزولها: عن ابن عباس أنه قال: لما ذكر الله تعالى الزقوم فى القرآن خوف به هذا الحى من قريش فقال أبو جهل: هل تدرون ما هذا الزقوم الذى يخوفكم به محمد؟ قالوا: لا، قال: الثريد بالزبد، أما والله لئن أمكننا منه لنأكله أكلا ﴿ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا﴾ أى نخوفهم بالآيات، فما يفيدهم إرسال الآيات إلا الزيادة فى الكفر.

٦١ ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم...﴾ ولم يسجد إبليس حسدًا غافلاً عن نفخة الله فى هذا الطين. ويتبجح إبليس ويقول:

٦٢ ﴿أرأيتك هذا الذي كرمت علي...﴾ لئن أخرتنى فلأستولينَّ عليهم وأحتويهم وأملك زمامهم وأجعلهم فى قبضته يدى أصرف أمرهم...

٦٣ ﴿قال اذهب فمن تبعك منهم...﴾ حاول محاولتك اذهب مأذونا في إغوائهم... ﴿فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا﴾ أي وافرًا مكملاً.

٦٤ ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك...﴾ أي داعيا لهم إلى معصية الله ﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ أي صح عليهم بالفرسان ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ بالغصب والسرقة والربا، وفى الأولاد بدعواهم بسبب غير شرعى بالزنا ﴿وعدهم﴾ قال الفراء: قل لهم: لاجنة ولا نار فاصنعوا ما بدا لكم.

٦٥ ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان...﴾ يعنى عباده المومنين ﴿وكفى بربك وكيلا﴾.

٦٦ ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر...﴾ ويخبر تعالى عن لطفه بخلقه فى تسخيره لعباده الفلك في البحر وتسهيله لمصالح عباده ﴿إنه كان بكم رحيما﴾ من فضله عليكم ورحمته بكم.

معانى الكلمات:

فظلموا بها : فكفروا بها

أرأيتك : إخبرنى

لأحتنكن ذريته : لأستولين عليهم.

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

٦٧ ﴿وإذا مسكم الضر في البحر..﴾ يعني خوف الغرق ﴿ضل من تدعون﴾ من الآلهة ﴿إلا إياه﴾ وحده ﴿فلما نجاكم إلى البر أعرضتم﴾ عن الاخلاص لله وتوحيده ﴿وكان الإنسان كفورا﴾ أى كثير الكفران لنعمة الله

٦٨ ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر...﴾ والخسف أن تنهار الأرض بالشئ: ﴿أو يرسل عليكم حاصبا﴾ أى ريحًا شديدة حاصبة. وهى التى ترمى بالحصى الصغار ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلا﴾ أى حافظا ونصيرًا.

٦٩ ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى...﴾ أى فى البحر مرة أخرى ﴿فيرسل عليكم قاصفا من الريح﴾ القاصف: الريح الشديد التى لها قصيف: أى صوت شديد ﴿فيغرقكم بما كفرتم﴾ أي بسبب كفركم ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ أى ثائرا يطالبنا بما فعلنا.

٧٠ ﴿ولقد كرمنا بني آدم...﴾ كرمه الله على كثير من خلقه، وبخلقته على تلك الهيئة ﴿وحملناهم في البر﴾ على الدواب وما يصنعونه من المراكب ﴿و﴾ في ﴿البحر﴾ على السفن ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ أي لذيذ المطاعم والمشارب ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ فعلى بنى آدم أن يتلقوه بالشكر، ويحذروا من كفرانه.

٧١ ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم..﴾ الإمام: هو الكتاب المنزل عليهم، فيدعى أهل التوراة بالتوارة، وأهل الإنجيل بالإنجيل، وأهل القرآن بالقرآن ﴿فمن أوتي كتابه بيمينه﴾ من أولئك المدعوين ﴿فأولئك يقرءون كتابهم﴾ الذى أوتوه ﴿ولا يظلمون فتيلا﴾ قدر فتيل وهو القشرة التى فى شق النواة.

٧٢ ﴿ومن كان في هذه...﴾ الدنيا ﴿أعمى﴾ فاقد البصيرة، أى: أعمى القلب ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ أعمى البصر يعاقب بعمى البصر على عمى القلب.

الدرس الخامس:
(كيد المشركين لرسول الله ﷺ)
الآيات من ٧٣/٨٨
مدة الحفظ: يومان.

هذا الدرس يقوم على المحور الرئيسى للسورة وهو شخص الرسول ﷺ وموقف القوم منه.

٧٣ ﴿وإن كادوا ليفتنونك...﴾ قاربوا أن يخدعوك.

سبب النزول: قال قتادة: ذكر لنا أن قريشًا خلوا برسول الله ﷺ ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه، فقالوا: إنك تأتى بشئ لا يأتى به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا، وما زالوا به حتى كاد يقاربهم فى بعض ما يريدون، ثم عصمه الله تعالى عن ذلك، فانزل الله تعالى هذه الآية.

٧٤ ﴿ولولا أن ثبتناك...﴾ على الحق وعصمناك عن موافقتهم ﴿لقد كدت تركن إليهم﴾ تميل إليهم أدنى ميل ﴿شيئا قليلا﴾ لكن أدركته ﷺ العصمة فامتنع من أدنى مراتب الركون إليهم.

٧٥ ﴿إذا لأذقناك ضعف الحياة...﴾ ولكن الله عصمه من هذه الفتنة، ووقاه الركون إليهم ورحمه من عاقبة هذا الركون.

معاني الكلمات:

حاصبا: ريحا شديدة

قاصفا: عاصفًا شديدًا

تبيعا: نصيرا

تركن إليهم: تميل إليهم.

وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ
وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ
الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ
قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ
نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ
أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن
لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ
إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا
أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا
﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ
سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

وعندما عجز المشركون عن استدراج الرسول ﷺ إلى هذه الفتنة حاولوا استفزازه من الأرض -أى مكة-

٧٦ ﴿وإن كادوا ليستفزونك...﴾ قاربوا أن يزعجوك ﴿من الأرض﴾ من مكة لتخرج عنها ﴿وإذا لا يلبثون خلافك﴾ أى لا يبقون بعد إخراجك ﴿إلا﴾ زمنا ﴿قليلا﴾.

٧٧ ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا...﴾ أنهم إذا أخرجوا نبيهم من بين أظهرهم أو قتلوه ينزل العذاب بهم ﴿ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ أى ما أجرى الله به العادة لم يتمكن أحد من تحويله ولا يقدر على تغييره.

٧٨ ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس...﴾ أي عند زوال الشمس عن كبد السماء وهى صلاة الظهر ﴿إلى غسق الليل﴾ أى عند اجتماع الليل وظلمته والمراد: صلاتا المغرب والعشاء ﴿وقرآن الفجر﴾ أى وأقم قرآن الفجر، والمراد: صلاة الصبح، وصلاة الصبح تطول فيها القراءة ﴿إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ أى تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

٧٩ ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ التهجد: الصلاة بالليل بعد النوم ﴿نافلة لك﴾ زائدة عن الفرائض ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ وهو مقام الشفاعة للناس يوم القيامه.

٨٠ ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق...﴾

سبب النزول: قال الحسن: إن كفار قريش لما أرادوا أن يوثقوا النبى ﷺ ويخرجوه من مكة أراد الله تعالى بقاء أهل مكه، وأمر نبيه أن يخرج مهاجرًا إلى المدينه وأنزله هذه الآية. ﴿واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا﴾ أي حجة ظاهرة قاهرة تنصرنى بها.

ويعلن بهذا السلطان عن مجئ الحق:

٨١ ﴿وقل جاء الحق...﴾ ما وعد الله نبيه من ظهور وانتصار الإسلام ﴿وزهق الباطل﴾ بطل الشرك واضمحل.

٨٢ ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء...﴾ للقلوب بزوال الجهل عنها وذهاب الريب والشبه والضلال ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ على ما فيه صلاح الدين والدنيا، ولما فى تلاوته من الأجر العظيم ﴿ولا يزيد﴾ القرآن ﴿الظالمين﴾ الذين وضعوا التكذيب موضع التصديق ﴿إلا خسارا﴾ أى هلاكا.

٨٣ ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان...﴾ بالنعم ﴿أعرض﴾ عن الشكر لله ﴿ونأى بجانبه﴾ يوليه ظهره، فلا يكون منه إلا التكبر ﴿وإذا مسه الشر﴾ من مرض أو فقر ﴿كان يئوسا﴾ شديد القنوط من رحمة الله.

٨٤ ﴿قل كل يعمل على شاكلته...﴾ وفى هذا التقرير تهديد خفى بعاقبة العمل والاتجاه.

وراح بعضهم يسألون الرسول ﷺ عن الروح:

٨٥ ﴿ويسألونك عن الروح...﴾ أى: عن حقيقتها وكنهها وهى الروح التى يعيش بها الإنسان، والروح غيب لا يدركها سواه -سبحانه- ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ أى: إن علمكم الذى علمكم الله قليل.

٨٦ ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك...﴾ أى محوناه من القلوب ومن الكتب حتى لا يوجد له أثر ﴿ثم لا تجد لك به﴾ أى بالقرآن إذا ذهبنا به عنك وأنسيناك إياه ﴿علينا وكيلا﴾ أي لا تجد من يتوكل علينا فى ردّ شئ منه.

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل
لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ
صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ
إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ
الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ
فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا
زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾
أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ
لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ
كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ
الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ
فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم
مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

٨٧ ﴿إلا رحمة من ربك...﴾ لكن لإنشاء ذلك إلا رحمة من ربك ﴿إن فضله كان عليك كبيرا﴾ حيث جعلك رسولاً، وأنزل عليك الكتاب، وصيرك سيد ولد آدم، وأعطاك المقام المحمود، وغير ذلك مما أنعم به عليه.

٨٨ ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن...﴾ وهو المنزل من عند الله فى كمال البلاغة وحسن النظم وجزالة اللفظ وعظيم ما جاء به من أحكام وغيرها ﴿لا يأتون بمثله﴾ لأن المخلوق يعجز عن مثل ما يأتى به الخالق ﴿ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ أى عونا ونصيرا.

الدرس السادس:

(القرآن وإعجازه)

الآيات من ٨٩/١١١

مدة الحفظ: يومان.

٨٩ ﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل...﴾ أى: بكل مثل يوجب الاعتبار من الآيات والعبر، والترغيب والترهيب، والأوامر والنواهى، وأقاصيص الأولين، والجنة والنار والقيامة ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾ بل جحدوا وأنكروا كلام الله بعد قيام الحجة عليهم.

٩٠ ﴿وقالوا لن نؤمن لك...﴾ أي قال رؤساء مكة ﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾ أى عينا من الماء تخرج من الأرض بلا انقطاع.

٩١ ﴿أو تكون لك جنة..﴾ أى بستان تستر أشجاره أرضه ﴿فتفجر الأنهار﴾ أى تجريها بقوة ﴿خلالها﴾ أى وسطها ﴿تفجيرا﴾ كثيرا.

٩٢ ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا...﴾ أى قطعا ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلا﴾ أى معاينة حتى نراهم بأعيننا مقابلين لنا.

٩٣ ﴿أو يكون لك بيت من زخرف...﴾ أى من ذهب ﴿أو ترقى في السماء﴾ أى تصعد معارجها ﴿ولن نؤمن لرقيك﴾ أى لن نصدق ﴿حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه﴾ أى حتى تنزل علينا من السماء كتابًا يصدقك ويدل على نبوتك ﴿قل سبحان ربي﴾ أى تنزيها لله عن أن يعجز عن شئ ﴿هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ ولست ملكًا أصعد السماء ﴿رسولا﴾ مأمور من الله سبحانه بإبلاغكم.

٩٤ ﴿إلا أن قالوا...﴾ أى: ما منعهم إلا قولهم ﴿أبعث الله بشرا رسولا﴾ وهو إنكار أن يكون الرسول من جنس البشر.

٩٥ ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين...﴾ أى: لو وجد فى الأرض بدل من فيها من البشر ملائكة يمشون على الأقدام كما يمشى الإنس مطمئنين مستقرين فيها ﴿لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا﴾ حتى يكون من جنسهم.

٩٦ ﴿قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم...﴾ على إبلاغى إليكم ما أمرنى به من أمور الرسالة، وقيل المراد: أن إظهار المعجزة على وفق دعوى النبي شهادة من الله له على الصدق ﴿إنه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ أى عالمًا بجميع أحوالهم، محيطًا بظواهرها وبواطنها، وهو قول يحمل رائحة التهديد.

معاني الكلمات:

صرفنا : رددنا بأساليب مختلفة

فأبى : فلم يرض كسفا : قطعا

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

وعاقبة التهديد فيرسمها في مشهد من مشاهد القيامة مخيف:

٩٧ ﴿ومن يهد الله فهو المهتد...﴾ إلى الحق ﴿ومن يضلل﴾ أى يرد إضلاله ﴿فلن تجد لهم أولياء﴾ ينصرونهم ﴿من دونه﴾ سبحانه، ويهدونهم إلى الحق الذى أضلهم الله عنه ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم﴾ عبارة عن الإسراع بهم إلى جنهم ﴿عميا وبكما وصما﴾ يبعثون فى أقبح صورة ﴿مأواهم جهنم﴾ أى المكان الذى يأوون إليه ﴿كلما خبت زدناهم سعيرا﴾ أى كلما سكن لهبها تزاد ما به يعلوا لهبها ويتسعر.

٩٨ ﴿ذلك...﴾ أى العذاب ﴿جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا﴾ أي بسبب كفرهم بها ﴿وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا﴾ ويجيئهم الرد على سؤالهم:

٩٩ ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر...﴾ أى: من هو قادر على خلق هذا، فهو قادر على إعادة ما هو أدون منه وأقدر ﴿وجعل لهم أجلا لا ريب فيه﴾ وهو الموت أو القيامة ﴿فأبى الظالمون إلا كفورا﴾ أى: أبى المشركون إلا جحودا.

١٠٠ ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي...﴾ لو ملكوا خزائن الأرزاق لأمسكوا شحًا وبخلاً ﴿وكان الإنسان قتورا﴾ أى بخيلا.

وعلى أية حال فإن كثرة الخوارق لا تنشئ الإيمان وها هو ذا موسى:

١٠١ ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات...﴾ والآيات التسع هى: الطوفان، والجراد، والقمل والضفادع، والدم والعصا، واليد، والسنين، ونقص الثمرات، وقيل هى الوصايا التسع التى فى التوراة. ﴿فاسأل بني إسرائيل﴾ سؤال استشهاد لمزيد من الطمأنينة والإيقان، والمسئولون مؤمنو بنى إسرائيل كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا﴾ والمسحور: الذى سحر فخولط عقله.

١٠٢ ﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء...﴾ يعنى: الآيات التى أظهرها ﴿إلا رب السموات والأرض بصائر﴾ أى دلالات يستدل بها على قدرته ووجدانيته ﴿وإني لأظنك يا فرعون مثبورا﴾ الظن هنا بمعنى اليقين والثبور الهلاك والخسران.

١٠٣ ﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض...﴾ أى: أراد فرعون أن يخرج بنى إسرائيل وموسى ويزعجهم من أرض مصر بإبعادهم عنها ﴿فأغرقناه ومن معه جميعا﴾ يعنى جيشه الذى لحق بموسى.

١٠٤ ﴿وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض...﴾ أي أرض بيت المقدس ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أى الدار الآخرة التى ذكرت فى أول السورة ﴿جئنا بكم لفيفا﴾ جئنا بكم من قبوركم مختلطين من كل موضع، قد اختلط المؤمن بالكافر، وقيل: جئنا بكم من قبائل وبلدان شتى إلى الأرض المقدسة.

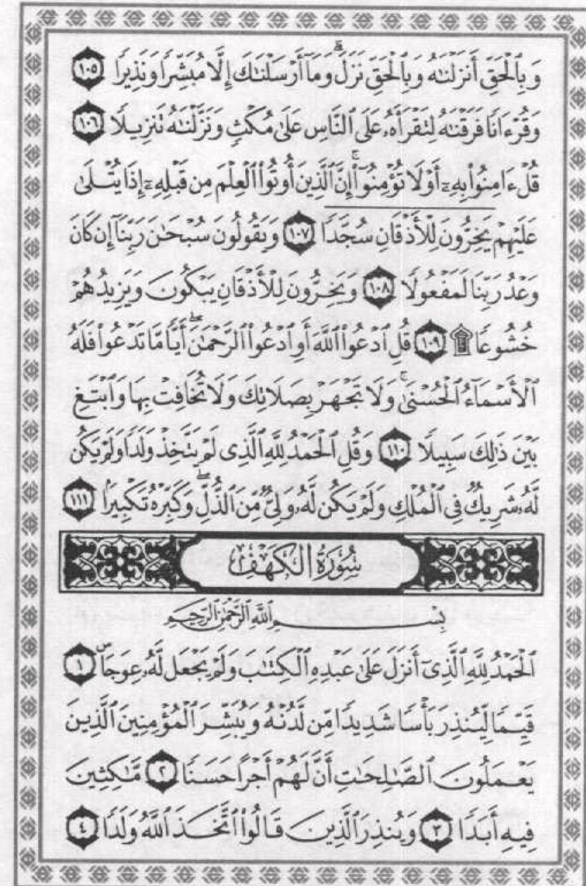
معاني الكلمات:

صرفنا: رددنا بأساليب مختلفة.

فأبى: فلم يرض

ورفاتا: أجزاء مفتتة   مثبورا: هالكًا

يستفزهم: يستخفهم ويزعجهم


وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (١٠٩) قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١١٠) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)

سُورَةُ الكَهْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤)

١٠٥ ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل...﴾ أى ما أنزلنا القرآن إلا بالحق، وقد نزل وفيه الحق ﴿وما أرسلناك إلا مبشرا﴾ لمن أطاع بالجنة ﴿ونذيرا﴾ مخوفا لمن عصى بالنار.

١٠٦ ﴿وقرآنا فرقناه...﴾ أى أنزلناه شيئا بعد شئ، لا جملة واحدة ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ فإن ذلك أقرب إلى الفهم وأسهل للحفظ ﴿ونزلناه تنزيلا﴾ أى أنزلناه منجمًا مفرقا لما فى ذلك من المصلحة.

وهنا يأمر الرسول ﷺ أن يجبه القوم بهذا الحق، ويدع لهم أن يختاروا طريقهم:

١٠٧/١٠٨ ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا...﴾ لا يزيده ذلك ولا ينقصه ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ أى: إن العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة قبل إنزال القرآن، وعرفوا حقيقة الوحى، وأمارات النبوة ﴿إذا يتلى عليهم﴾ أى: القرآن ﴿يخرون للأذقان سجدا﴾ لأن الحق لا يخفى عليهم ﴿ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا﴾ أى: قد كان وعده بنصر المؤمنين آتيا لا شك فيه.

١٠٩ ﴿ويخرون للأذقان يبكون...﴾ كرر ذلك الخرور للأذقان لتأثير مواعظ القرآن فى قلوبهم ومزيد من خشوعهم ﴿ويزيدهم﴾ القرآن بسماعهم له ﴿خشوعا﴾ أى لين قلب ورطوبة عين.

وهنا يدعهم يدعون الله بما شاءوا من الأسماء:

١١٠ ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا...﴾ المعنى: أى اسم من أسمائه الحسنى دعوتموه به فقد أصبتم ﴿فله الأسماء الحسنى﴾ ومعنى حسنى الأسماء استقلالها بنعوت الجلال والإكرام ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ أى بقراءة صلاتك ﴿وابتغ بين ذلك﴾ أى بين الجهر والمخافتة ﴿سبيلا﴾ أى طريقا متوسطا بين الأمرين.

وتختم السورة كما بدأت بحمد الله:

١١١ ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا...﴾ فيلخص هذا الختام محور السورة التى دارت عليه، والذى بدأت ثم ختمت به.

سورة الكهف

الدرس الأول:

(قصة أصحاب الكهف)

الآيات من ١/٢٧

مدة الحفظ: ثلاثة أيام.

يبدأ هذا الدرس بتبشير المؤمنين وإنذار الكافرين:

١ ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده...﴾ محمد ﷺ علّم الله عباده أن يحمدوه على إفاضة نعمه عليهم، ومنها إنزال ﴿الكتاب﴾ وهو القرآن نعمة عليهم أنزله على رسول الله ﷺ ﴿ولم يجعل له عوجا﴾ ليس فيه أى اختلال فى اللفظ أو المعنى ولم يجعل فيه اختلافا.

٢ ﴿قيما...﴾ مستقيما، أو القيم على ما قبله من الكتب السماوية مهيمنا عليها ﴿لينذر...﴾ الكافرين ﴿بأسا شديدا﴾ والبأس: العذاب ﴿من لدنه﴾ نازلاً من عنده ﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا﴾ وهو الجنة حسن كل ما فيها.

٣ ﴿ماكثين فيه أبدا...﴾ أى فى ذلك الأجر مكثًا دائمًا لا انقطاع له.

٤ ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا...﴾ وهم اليهود والنصارى وبعض كفار قريش القائلون بأن الملائكة بنات الله. ونسبة الولد إلى الله سبحانه أقبح أنواع الكفر.

مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ
أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾
إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى
ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ
أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ
قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

٥ ﴿ما لهم به من علم ولا لآبائهم...﴾ أى بالولد، أو اتخاذ الله إياه ولا عند آبائهم أيضا دليل صحيح على أن الله اتخذ ولدًا ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ لاستعظام اجترائهم على التفوه بها ﴿إن يقولون إلا كذبا﴾ لا مجال للصدق فيه بحال.

وهنا خطاب للرسول ﷺ الذى كان يحزنه أن يكذب قومه بالقرآن ويعرضوا عن الهدى:

٦ ﴿فلعلك باخع نفسك...﴾ أى مهلكها ﴿على آثارهم﴾ من بعد إعراضهم ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ أى: القرآن ﴿أسفا﴾ أى: غيظا أو حزنا على قولهم أى: فهون عليك الأمر يا محمد.

٧ ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها...﴾ مما يصلح أن يكون زينة لها من الحيوانات والنبات والجماد ﴿لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾ لنمنحهم أهذا أحسن عملاً أم ذاك؟.

٨ ﴿وإنا لجاعلون ما عليها...﴾ من هذه الزينه عند تناهي عمر الدنيا ﴿صعيدا﴾ ترابا ﴿جرزا﴾ لا زرع ولا زينة فيه كالزرع الذى أكله الجراد.

ثم تجئ قصة أصحاب الكهف، فتعرض نموذجًا للإيمان فى النفوس المؤمنه:

٩ ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم...﴾ أى: بل أظننت يا محمد أنهم كانوا عجبًا من آياتنا فقط؟ لاتحسب ذلك، فإن آياتنا كلها عجب كذلك، وفوق ذلك. والرقيم اسم الوادى أو القرية أو اللوح الذى كتبت أسماؤهم فيه.

١٠ ﴿إذ أوى الفتية..﴾ هم أصحاب الكهف ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ وهى المغفرة فى الآخرة والأمن من الأعداء، والرزق فى الدنيا ﴿وهيئ لنا من أمرنا رشدا﴾ وأصلح لنا الأمر الذى نحن عليه وهو المفارقة للكفار.

١١ ﴿فضربنا على آذانهم...﴾ سددنا آذانهم بالنوم الغالب عن سماع الأصوات ﴿سنين عددا﴾ أى كثيرة.

١٢ ﴿ثم بعثناهم...﴾ أى: أيقظناهم من تلك النومة ﴿لنعلم أي الحزبين﴾ هم الفريقان من المؤمنين والكافرين المختلفين فى مدة لبثهم ﴿أحصى﴾ أضبط ﴿لما لبثوا﴾ لمدة بقائهم نيام فى الكهف.

١٣ ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق...﴾ أى نحن نخبرك بخبرهم بالحق لا كالأخبار المشوشة غير المنضبطة ﴿إنهم فتية﴾ أي أحداث شبان ﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ فردناهم علما بالحق مما كان فيه أهل زمنهم يختلفون، بالتثبيت والتوفيق.

هذا هو المشهد الأول من مشاهد القصة ويكمل أوصافهم:

١٤ ﴿وربطنا على قلوبهم...﴾ أي قويناهم بالصبر على هجر الأهل والأوطان ﴿إذ قاموا﴾ اجتمعوا وراء المدينة ليتواثقوا على الصبر على دينهم ﴿فقالوا ربنا رب السموات والأرض﴾ قيل: كان لهم ملك جبار يقال له دقلديانوس، وكان يدعو الناس إلى عبادة الطواغيت، فثبّت الله هؤلاء الفتية وعصمهم حتى قاموا، فقالوا ربنا رب السموات والأرض ﴿لن ندعو من دونه إلها﴾ معبودا آخر غير الله، لا اشتراكا ولا استقلالا ﴿لقد قلنا إذا شططا﴾ الشطط الغلو ومجاوزة الحد فى البعد عن الحق.

١٥ ﴿لولا يأتون عليهم بسلطان بين..﴾ أى هلا يأتون على ألوهيتهم بحجة ظاهرة للتمسك بها ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ فزعم أن له شريكا فى العبادة، أى: لا أحد أظلم منه.

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

١٦ ﴿وإذ اعتزلتموهم...﴾ أى: فارقتموهم وتنحيتم عنهم جانبا: أى عن العابدين للأصنام ﴿وما يعبدون إلا الله﴾ أى: واعتزلتم عبادة أصنامهم ﴿فأووا إلى الكهف﴾ أى: صيروا إليه واجعلوه مأواكم ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ فيبسط ويوسع ﴿ويهيئ لكم من أمركم مرفقا﴾ يسهل وييسر لكم من أمركم الذى أنتم بصدده.

ويسدل الستار على هذا المشهد. ليرفع على مشهد أخر والفتية فى الكهف وقد ضرب عليهم النعاس:

١٧ ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور...﴾ تميل وتتنحى ﴿عن كهفهم ذات اليمين﴾ ناحية اليمين بالنسبة لباب الكهف ﴿وإذا غربت تقرضهم﴾ تعدل عنهم وتتركهم ﴿ذات الشمال﴾ شمال الكهف ﴿وهم في فجوة منه﴾ فى مكان منفتح انفتاحًا واسعًا، قيل: المعنى أنهم كانوا فى ظل جميع نهارهم، وقيل: إن باب ذلك الكهف كان مفتوحا إلى جانب الشمال فإذا طلعت الشمس كانت عن يمين الكهف، وإذا غربت كانت عن يساره ﴿ذلك من آيات الله﴾ فى حفظ أبدانهم من التلف تلك المدة المتطاولة.

١٨ ﴿وتحسبهم أيقاظا وهم رقود﴾ أى: نيام، قيل أن عيونهم كانت مفتحة، وهم ينام، وقيل: لكثرة تقلبهم ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ لئلا تأكل الأرض أجسادهم ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ هو فناء الباب، وقيل العتبة ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا﴾ هربا ﴿ولملئت منهم رعبا﴾ أى خوفًا يملأ الصدور، قيل: سبب الرعب الهيبة التى ألبسهم الله إياها وقيل: لطول أظفارهم وشعورهم.

وفجأة تدب فيهم الحياة. فلننظر ولنسمع:

١٩ ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم...﴾ فى مدة اللبث ﴿قال قائل منهم كم لبثتم﴾ أى في النوم، قالوا ذلك لأنهم رأوا أنفسهم على غير ما يعهدونه فى العادة ﴿قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم﴾ قال المفسرون: دخلوا الكهف غدوة، وبعثهم الله سبحانه آخر النهار، فلذلك قالوا يومًا ﴿قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾ أى: أنكم لا تعلمون مدة لبثكم، وإنما يعلمها الله سبحانه ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه﴾ ولديهم نقود فضيه، والمدينة قيل: هى إفسوس مدينتهم التى كانوا فيها، ويقال لها اليوم طرسوس ﴿فلينظر أيها أزكى طعاما﴾ أى ينظر أهلها أطيب طعامًا، وأحل مكسبًا ﴿وليتلطف﴾ أي يدقق النظر حتى لا يعرف أو لايغبن ﴿ولا يشعرن بكم أحدا﴾ لا يدع أحدًا يعلم بمكانكم.

٢٠ ﴿إنهم إن يظهروا عليكم...﴾ أى يطلعوا عليكم ويعلموا بمكانكم ﴿يرجموكم﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ التى كنتم عليها قبل أن يهديكم الله ﴿ولن تفلحوا إذا أبدا﴾ إن رجعتم إلى دينهم، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة.

معانى الكلمات:

مرفقا: ما تنتفعون به فى عيشكم.

تقرضهم: تعدل عنهم

تزاور: تميل وتعدل.

بورقكم: بدراهمكم المضروبة

يظهروا عليكم: يطلعوا عليكم أو يغلبوا.

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ٱبْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

وهنا يعرض السياق المشهد الأخير، مشهد وفاتهم، والناس خارج الكهف يتنازعون فى شأنهم:

٢١ ﴿وكذلك أعثرنا عليهم...﴾ أى: أطلعنا الناس عليهم ﴿ليعلموا أن وعد الله﴾ بالبعث ﴿حق﴾ قيل: وسبب الإعثار عليهم أن ذلك الرجل الذى بعثوه بالورق -وكانت من ضرب دقلديانوس- إلى السوق فلما أطلع عليها أهل السوق اتهموه بأنه وجد كنزا، فذهبوا به إلى الملك وكانت النصرانية قد ظهرت فى تلك البلاد وآمن بها ملوكها ثم قص عليه القصة، فركب الملك، وركب أصحابه معه حتى وصلوا إلى الكهف ﴿وأن الساعة لا ريب فيها﴾ أى: وليعلموا أن القيامه لا شك فى حصولها ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ وقع التنازع والاختلاف بين أولئك الذين أعثرهم بالله في أمر البعث ﴿فقالوا ابنوا عليهم بنيانا﴾ وذلك أن الملك وأصحابه لما وقفوا عليهم وهم أحياء أمات الله الفتية ﴿ربهم أعلم بهم﴾ من هؤلاء المتنازعين فيهم ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا﴾ ذكر اتخاذ المسجد يشعر بأن هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم، هم المسلمون.

٢٢ ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم...﴾ هؤلاء القائلون بأنهم ثلاثة أو خمسة أو سبعة هم المتنازعون فى عددهم فى زمن رسول الله ﷺ من أهل الكتاب والمسلمين ﴿ويقولون﴾ أى يقول بعض آخر ﴿خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب﴾ والرجم بالغيب: هو القول بالظن والحدس من غير يقين.

﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾ كأن قول هذه الفرقة أقرب إلى الصواب ﴿قل ربي أعلم بعدتهم﴾ منكم أيها المختلفون ﴿ما يعلمهم﴾ أى: لا يعلم ذواتهم فضلاً عن عددهم ﴿إلا قليل﴾ من الناس ﴿فلا تمار فيهم﴾ أى لا تجادل ﴿إلا مراء ظاهرا﴾ أى غير متعمق فيه وهو أن يقص عليهم ما أوحى الله إليه فحسب ﴿ولا تستفت فيهم منهم أحدا﴾ ففيما قص الله عليك فى ذلك ما يغنيك عن سؤال من لا علم له.

٢٣/ ٢٤ ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا ﴿٢٣﴾ إلا أن يشاء الله...﴾ على الإنسان أن يعزم ويستعين بمشيئة الله على ما يعزم ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ إذا نسيت هذا التوجيه والاتجاه فاذكر ربك وارجع إليه ﴿وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا﴾ عسى أن يعطينى ربى من هذه الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب فى الرشد وأدل من قصة أصحاب الكهف.

٢٥ ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا﴾ فى كونهم نياما.

٢٦ ﴿قل الله أعلم بما لبثوا...﴾ قال الزجاج أن المراد ٣٠٠ سنة شمسية أو ٣٠٩ قمرية ﴿له غيب السموات والأرض﴾ أى ما خفى فيهما وغاب من أحوالهما، ليس لغيره من ذلك شئ ﴿أبصر به وأسمع﴾ ما أبصره وما أسمعه! سبحانه فلا جدال بعد هذا ولا مراء.

ويعقب على القصة بإعلان الوحدانية:

٢٧ ﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك...﴾ أمره ربه أن يقرأ القرآن ويواظب على تلاوته... وهكذا تنتهى القصة.

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

الدرس الثانى:

(قصة الجنتين)

الآيات من ٢٨/٤٦

مدة الحفظ: ثلاثة أيام

٢٨ ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم...﴾ أمره ربه سبحانه أن يحبس نفسه معهم بالاستمرار على الدعاء فى جميع الأوقات.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم﴾

عن سلمان الفارسى، قال: جاء المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله فقالوا: يارسول الله إنك لو جلست فى صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم -يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين. فأنزل الله تعالى هذه الآية حتى بلغ ﴿إنا أعتدنا للظالمين نارا﴾ يتهددهم بالنار، وقام رسول الله ﷺ يبحث عنهم حتى وجدهم فى آخر المسجد يذكرون الله تعالى قال: الحمد لله الذى لم يُمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع رجال من أمتى، معكم المحيا ومعكم الممات.

وسبب نزول قوله تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ عن ابن عباس قال: نزلت فى أمية بن خلف الجمحى، وذلك أنه دعا النبى ﷺ إلى أمر كرهه من طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكه، فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تطع﴾

٢٩ ﴿وقل...﴾ لأولئك الغافلين ﴿الحق من ربكم﴾ لا من جهة غيره، حتى يمكن فيه التبديل والتغيير، يعنى لم آتكم به من الله ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ فإن من كفر لا يضل ولا يظلم إلا نفسه ﴿إنا أعتدنا للظالمين﴾ الذين اختاروا الكفر بالله والجحد له والإنكار لأنبيائه ﴿نارا﴾ عظيمة ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ السرادق: البيت المصنوع من القماش، والسرادق يحيط بالظالمين، فلا سبيل للهرب، فإن استغاثوا من الحريق والظمأ اغيثوا.. اغيثوا بماء كدردى الزيت المغلى أو كالصديد الساخن، يشوى الوجوه ﴿بئس الشراب﴾ الذى يغاث به الملهوفون من الحريق. ﴿وساءت﴾ النار ﴿مرتفقا﴾ أى: نزلا يتخذونه للراحة.

وبينما هؤلاء كذلك إذا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات عدن:

٣٠/٣١ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات...﴾ هؤلاء فى جنات عدن، للإقامة. تجرى من تحتها الأنهار بالرى وبهجة المنظر واعتدال النسيم. وهم هنالك للارتفاق حقًا ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ وهم رافلون فى ألوان من الحرير من سندس ناعم خفيف ومن استبرق مخمل كثيف. تزيد عليها أساور من ذهب للزينة والمتاع ﴿نعم الثواب وحسنت مرتفقا﴾.

ثم تجئ قصة الرجلين والجنتين:

٣٢/٣٣ ﴿واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين...﴾ فهما جنتان مثمرتان من الكروم، محفوفتان بسياج من النخيل، تتوسطهما الزروع ويتفجر بينهما نهر ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾ وأكلهما: هو ثمرهما ولم تنقص من أكلها شيئا وأجرينا وشققنا وسط الجنتين نهرًا ليسقيهما دائما من غير انقطاع.

٣٤ ﴿وكان له ثمر...﴾ أى لصاحب الجنتين من سائر الثمار، وقيل الثمر هنا المال من الذهب والفضة، ويتعالى على صاحبه الفقير ويقول له ﴿أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا﴾

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

ثم يخطو بصاحبه إلى إحدى جنتيه:

٣٥/ ٣٧ ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه...﴾ إنه الغرور يخيل لذوى الجاه والسلطان والمتاع والثراء، أنهم سيحتفظون بكل ما لهم من قيم الدنيا حتى فى الملأ الأعلى. فلقد قال ما أظن أن تفنى هذه الجنة التى تشاهدها، وتطاول حين أنكر البعث وزعم أنه إن يُرد إلى ربه فرضا وتقديرا كما زعم صاحبه ليكونن له يومئذ خير من هذه الجنة. فأما صاحبه الفقير الذى لا مال له ولا نفر، ولاجنة عنده ولا ثمر... فإنه معتز بما هو أبقى وأعلى ويرجو عند ربه ما هو خير من الجنة والثمار ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾ حيث خلق أباك آدم منه، وهو أصلك ﴿ثم من نطفة﴾ وهى المنى ﴿ثم سواك رجلا﴾ صيرك إنسانًا ذكرًا.

٣٨ ﴿لكنا هو الله ربي...﴾ لكن أنا هو الله ربى ﴿ولا أشرك بربي أحدا﴾ أى: كما فعلت.

٣٩ ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله...﴾ أن ما فيها وهى بمشيئة الله ﴿لا قوة إلا بالله﴾ فما فيها هو بمعونة الله له، لا بقوته وقدرته.

٤٠ ﴿فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك...﴾ فى الدنيا أو فى الآخرة ﴿ويرسل عليها حسبانا من السماء﴾ وهى الصواعق ﴿فتصبح صعيدا زلقا﴾ أرضا لا نبات فيها تزل فيها الأقدام لملامستها.

٤١ ﴿أو يصبح ماؤها غورا...﴾ غائرا فى الأرض ﴿فلن تستطيع له طلبا﴾ لا تقدر عليه بحيلة من الحيل

وفجأة ينقلنا السياق إلى هيئة الندم والاستغفار:

٤٢ ﴿وأحيط بثمره...﴾ عبارة عن إهلاكه وإفنائه ﴿فأصبح يقلب كفيه﴾ أى يقلبهما ظهرًا لبطن ﴿على ما أنفق فيها﴾ أي: فى عمارتها ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ ساقطة على دعائمها ﴿ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا﴾ ويندم ويستعيذ من الشرك بعد فوات الأوان.

ويتفرد الله بالولاية والقدرة:

٤٣ ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله...﴾ ما نفعه النفر الذين افتخر بهم فيما سبق ﴿وما كان منتصرا﴾ أى ممتنعا بقوته عن إهلاك الله لجنته، وانتقامه منه.

٤٤ ﴿هنالك الولاية لله الحق...﴾ أى: فى ذلك المقام: النصرة لله وحده لا يقدر عليها غيره ﴿هو خير ثوابا﴾ لأوليائه فى الدنيا والآخرة ﴿وخير عقبا﴾ وخير عاقبة وختامًا.

ويسدل الستار على مشهد الجنة الخاوية على عروشها. ثم يضرب مثلاً للحياة الدنيا كلها:

٤٥ ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا...﴾ أى اذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا فى حسنها ونضارتها وسرعة زوالها ويشبه النبات أنه اختلط بعضه ببعض حين نزل عليه الماء، أى: نبت بسبب الماء وكثر حتى تم وأينع ﴿فأصبح﴾ النبات ﴿هشيما﴾ وهو من النبات ما تكسر وتفتت ﴿تذروه الرياح﴾ تفرقه وتنشر أجزاء النبات نواحى الأرض، وتعود الأرض كما كانت، أى: وهكذا شأن الحياة الدنيا لا بقاء له، وشأنها إلى زوال ﴿وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾ يحييه ويفنيه بقدرته لا يعجز عن شئ.

معانى الكلمات:

غورا : غائرا ذاهبًا فى الأرض

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦) وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا (٥٠) ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا (٥١) وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا (٥٢) وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣)

ويقرر السياق بميزان العقيدة قيم الحياة التى يتعبدها الناس فى الأرض، والقيم الباقية التي تستحق الاهتمام:

٤٦ ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا...﴾ والإسلام لا ينهى عن المتاع بالزينة فى حدود الطيبات إنهما زينة ولكنهما ليسا قيمة، فإن الباقيات الصالحات خير ثوابا وخير أملا، أفضل مما يؤمله أهل المال والبنين. أخرج أحمد وابن حبان عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: [استكثروا من الباقيات الصالحات. قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: التكبير، والتهليل، والتسبيح، والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله]

الدرس الثالث: (مشاهد القيامة)

الآيات من ٤٧/٥٩

مدة الحفظ: يومان.

٤٧ ﴿ويوم نسير الجبال...﴾ تسيير الجبال: إزالتها من أماكنها، وتسييرها كما تسير السحاب، وذلك يوم القيامة ﴿وترى الأرض بارزة﴾ بروزها ظهورها وزوال ما يسترها من الجبال والشجر والبنيان ﴿وحشرناهم﴾ أى: الخلائق بعد بعثهم، أى: جمعناهم إلى الموقف من كل مكان ﴿فلم نغادر منهم أحدا﴾ فلم نترك منهم أحدًا إلا حشرناه إلى هناك.

٤٨ ﴿وعرضوا على ربك صفا...﴾ لم يتخلف أحد.

﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾ حفاة عراة ﴿بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا﴾ أى: لن تبعثوا، وأن لن نجعل لكم موعدًا نجازيكم بأعمالكم.

٤٩ ﴿ووضع الكتاب...﴾ صحائف الأعمال. يوضع صحيفة كل واحد فى يده: السعيد فى يمينه، والشقى فى شماله ﴿فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾ أى: خائفين وجلين لما يتعقب ذلك من الافتضاح فى ذلك الجمع ﴿ويقولون يا ويلتنا﴾ يدعون على أنفسهم بالهلاك ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ وهذا للذين فعلوا الكبائر ولم يتوبوا منها ﴿ووجدوا ما عملوا﴾ فى الدنيا من المعاصى ﴿حاضرا﴾ مكتوبًا مثبتا ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ لا يعاقب أحدًا من عباده بغير ذنب ولا ينقص فاعل الطاعة من أجره الذى يستحقه.

٥٠ ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم...﴾ وهذه الإشارة إلى تلك القصة القديمة تجئ هنا للتعجيب من أبناء آدم الذين يتخذون ذرية إبليس أولياء من دون الله بعد ذلك العداء القديم.

فالله لم يشهدهم خلق السموات والأرض:

٥١ ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض...﴾ ما كانوا شركاء فى تدبير العالم بدليل أنى ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ﴿ولا خلق أنفسهم﴾ بل هم كسائر الخلق ﴿وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾ أى: وما كنت متخذ الشياطين أو الكافرين أعوانا.

٥٢ ﴿ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم...﴾ أنهم شركاء لى ينفعونكم ويشفعون لكم ﴿وجعلنا بينهم موبقا﴾ وهو واد عميق فرق الله به تعالى بينهم: والموبق: المهلك.

٥٣ ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها...﴾ أى: علموا وتيقنوا أنهم سيخالطونهم بالوقع فيها ﴿ولم يجدوا عنها مصرفا﴾ أى: معدلاً يعدلون إليه، أو ملجأ يلجأون إليه.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

٥٤ ﴿ولقد صرفنا...﴾ كررنا ورددنا ﴿في هذا القرآن للناس﴾ أي لأجلهم، ولرعاية مصلحتهم ومنفعتهم ﴿من كل مثل﴾ من الأمثال المذكورة في هذه السورة ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾ أي: أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدال جدلاً.

٥٥ ﴿إلا أن تأتيهم سنة الأولين...﴾ أي العادة التي لازمت أولئك الأقوام، من أنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون إلا عند نزول عذاب الدنيا المستأصل لهم.

٥٦ ﴿وما نرسل المرسلين...﴾ من رسلنا إلى الأمم ﴿إلا مبشرين﴾ للمؤمنين ﴿ومنذرين﴾ للكافرين ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾ أي: ليزيلوا بالجدال بالباطل الحق ويبطلوه بقولهم للرسل -ما أنتم إلا بشر مثلنا- ونحو ذلك ﴿واتخذوا آياتي﴾ أي القرآن ﴿وما أنذروا﴾ به من الوعيد والتهديد ﴿هزوا﴾ أي لعبا وباطلا.

٥٧ ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها...﴾ ولم يتدبرها حق التدبر، ويتفكر فيها حق التفكر ﴿ونسي ما قدمت يداه﴾ من الكفر والمعاصي، فلم يتب عنها ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾ أي: أغطية تحول بين قلوبهم وبين وصول الفهم إليها ﴿وفي آذانهم وقرا﴾ ثقلا يمنع من استماعه ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا﴾ لأن الله قد طبع على قلوبهم بسبب كفرهم ومعاصيهم.

٥٨ ﴿وربك الغفور ذو الرحمة...﴾ أي كثير المغفرة، وصاحب الرحمة التي وسعت كل شئ ﴿لو يؤاخذهم بما كسبوا﴾ من المعاصي التي من جملتها الكفر والمجادلة والإعراض ﴿لعجل لهم العذاب﴾ لا ستحقاقهم لذلك ﴿بل لهم موعد﴾ أي: أجل مقدر لعذابهم ﴿لن يجدوا من دونه موئلا﴾ أي ملجأ يلجأون إليه.

٥٩ ﴿وتلك القرى...﴾ أي قرى عاد وثمود وأمثالها ﴿أهلكناهم لما ظلموا﴾ بالكفر والمعاصي ﴿وجعلنا لمهلكهم موعدا﴾ أي: وقتا معينا.

الدرس الرابع:

(موسى مع العبد الصالح)

الآيات من ٦٠/٨٢

مدة الحفظ: يومان.

هذه الحلقة من سيرة موسى -عليه السلام- لا تذكر في القرآن كله إلا في هذا الموضع:

٦٠ ﴿وإذ قال موسى...﴾ هو موسى بن عمران النبي المرسل إلى فرعون ﴿لفتاه﴾ هو يوشع بن نون كان ملازمًا لموسى يأخذ عنه العلم ويخدمه ﴿لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ أي ملتقاهما، وقيل المراد بالبحرين: بحر الأردن وبحر القلزم (أي ملتقى خليج السويس بخليج العقبة) وقيل: بجمع البحرين عند طنجه ﴿أو أمضي حقبا﴾ أي: أسير زمانا طويلاً، روى أنه سئل موسى: من أعلم الناس؟ فقال: أنا، فأوحى الله إليه: إن أعلم منك عبد لى عند مجمع البحرين.

٦١ ﴿فلما بلغا...﴾ أي موسى وفتاه ﴿مجمع بينهما﴾ أي بين البحرين، وقيل هما: موسى والخضر، أي: وصلا الموضع الذى فيه اجتماع شملهما ﴿نسيا حوتهما﴾ قال المفسرون: إنهما تزودا حوتا مملحًا في زنبيل، وكان قد جعل الله فقدانه أمارة لهما على وجدان المطلوب ﴿فاتخذ سبيله في البحر سربا﴾ أحيا الله الحوت، حتى وثب ونزل في البحر.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا (٧٣) فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا (٧٤)

٦٢ ﴿فلمّا جاوزا...﴾ مجمع البحرين الذى جعل موعداً للملاقاة ﴿قال﴾ موسى ﴿لفتاه آتنا غداءنا﴾ وأراد موسى أن يأتيه بالحوت الذى حملاه معهما ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ أى تعبا وإعياء.

٦٣ ﴿قال أرأيت إذ أوينا إلى الصّخرة...﴾ وتلك الصخرة كانت عند مجمع البحرين ﴿وما أنسانيه إلاّ الشّيطان﴾ بما يقع منه من الوسوسه ﴿أن أذكره﴾ أى: أن أخبرك بخبر الحوت العجيب ﴿واتخذ سبيله في البحر عجبا﴾ والأرجح أن الحوت كان مشويا، وأن إحياءه واتخاذه سبيله فى البحر سربًا كان آية من آيات الله لموسى، يعرف بها موعده. وأدرك موسى أنه جاوز الموعد الذى حدده ربه له للقاء عبده الصالح:

٦٤ ﴿قال ذلك ما كنّا نبغ...﴾ أى ذلك الموضع الذى فقدنا فيه الحوت هو الذى كنا نطلبه ﴿فارتدا على آثارهما قصصا﴾ أى: رجعا على الطريق التى جاءا منها.

٦٥ ﴿فوجدا عبدا من عبادنا...﴾ هو الخضر، وعلى ذلك دلت الأحاديث الصحيحة ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ قيل: الرحمة هى النبوة، وقيل: النعمة التى أنعم الله بها عليه ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ من علم الغيب الذى استأثر به سبحانه وتعالى، ويبدو أن ذلك اللقاء كان سر موسى مع ربه، فلم يطلع عليه فتاه حتى لقياه.

٦٦ ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلّمن ممّا علّمت رشدا﴾ بهذا الأدب يطلب العلم من العبد الصالح العالم.

٦٧/٦٨ ﴿قال إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ لا تطيق أن تصبر على ما تراه من علمى.

ويعزم موسى على الصبر والطاعة، ويستعين بالله ويقدم مشيئته:

٦٩ ﴿قال ستجدني إن شاء الله صابرا...﴾ وطترفًا وملتزفًا طاعتك فيزيد الرجل توكيداً وبيانًا ويذكر له شروط صحبته:

٧٠ ﴿قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء...﴾ مما تشاهده من أفعالى المخالفة ﴿حتى أحدث لك منه ذكرا﴾ ويرضى موسى... وإذا نحن أما المشهد الأول لهما:

٧١ ﴿فانطلقا...﴾ فمرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهما فحملوهما ﴿حتى إذا ركبا في السّفينة خرقها﴾ قيل خرق جدار السفينة ليعيبها ولم يجعل الخرق مما يلى الماء، لئلا يتسارع الغرق إلى أهلها ﴿قال﴾ موسى للخضر ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾ فأنكر عليه ما صنعه بالسفينة ﴿لقد جئت شيئا إمرا﴾ أى لقد أتيت أمرًا عظيمًا.

وفى صبر ولطف يذكره العبد الصالح بما قاله له:

٧٢ ﴿قال ألم أقل إنّك لن تستطيع معي صبرا﴾ ويعتذر موسى بنسيانه ويطلب قبول عذره:

٧٣ ﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا﴾ وعاملنى باليسر لا بالعسر، ويقبل الرجل اعتذاره، فنجدنا أمام المشهد الثانى:

٧٤ ﴿فانطلقا حتّى إذا لقيا غلاما فقتله...﴾ ... وهى فظيعة لم يستطع موسى أن يصبر عليها على الرغم من تذكره وعده ﴿قال أقتلت نفسا زكيّة بغير نفس﴾ نفس زكية (بريئة) وبغير قتل نفس محرمة حتى يكون قتل هذا قصاصا ﴿لقد جئت شيئا نكرا﴾ أى فظيعًا منكرا.

۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن
سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا
﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا
أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ
عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ
عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

ومرة أخرى يرده العبد الصالح إلى شرطه الذى شرط :

٧٥ ﴿قال...﴾ الخضر ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ زاد هنا لفظ لك، لأن سبب العتاب أكثر، وموجبه أقوى لتكرر المخالفة.

ويعود موسى ويجد نفسه أنه خالف وعده مرتين فيندفع ويقطع على نفسه الطريق، ويجعلها آخر فرصة أمامه:

٧٦ ﴿قال﴾ موسى ﴿إن سألتك عن شيء بعدها﴾ أي بعد هذه المرة ﴿فلا تصاحبني﴾ أى: لا تجعلنى صاحبا لك ﴿قد بلغت من لدني عذرا﴾ وهذا كلام نادم شديد الندم.

٧٧ ﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية...﴾ قيل: هي آيلة ﴿استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما﴾ وهو حق واجب عليهم من ضيافتهما ﴿فوجدا فيها﴾ أى: فى القرية ﴿جدارا يريد أن ينقض﴾ أى: إن هيئة السقوط قد ظهرت فيه ﴿فأقامه﴾ أى: فسواه ﴿قال﴾ موسى ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ على إقامته وإصلاحه.

ويشعر موسى بالتناقض فى الموقف، فهما جائعان وهما فى قرية أهلها بخلاء فيقيم لهما الجدار بلا مقابل!!

٧٨ ﴿قال...﴾ الخضر ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ أى: هذا الكلام والإنكار منك على تركى أخذ الأجر، هو المفرق بيننا ﴿سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا﴾ وهى الأفعال التى أنكرها موسى.

٧٩ ﴿أما السفينة...﴾ يعنى: التى خرقها ﴿فكانت لمساكين﴾ لضعفاء لا يقدرون على دفع من أراد ظلمهم ﴿يعملون في البحر﴾ ولم يكن لهم مال غير تلك السفينه ﴿فأردت أن أعيبها﴾ بنزع ما نزعته منها ﴿وكان وراءهم ملك﴾ يعنى أمامهم، وقيل: أراد خلفهم ﴿يأخذ كل سفينة غصبا﴾ أى: كل سفينة صالحة لا معيبة.

٨٠ ﴿وأما الغلام...﴾ يعنى الذى قتله ﴿فكان أبواه مؤمنين﴾ أى: ولم يكن هو كذلك ﴿فخشينا أن يرهقهما﴾ وقيل إن الخضرعلم بإعلان الله له أنه طُبع يوم طُبع كافراً، وسوف يتسبب عن كفره إضلال أبويه وكفرهما.

٨١ ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه...﴾ أن يرزقهما ربهما بدل هذا الولد ولداً خيراً منه ﴿زكاة﴾ أى: دينا وصلاحا وطهارة من الذنوب ﴿وأقرب رحما﴾ رحمة لوالديه.

٨٢ ﴿وأما الجدار...﴾ يعنى الذى أصلحه ﴿فكان لغلامين يتيمين في المدينة﴾ هى القرية المذكورة سابقا ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ كان مالاً جسيمًا. والكنز: المال المدفون ﴿وكان أبوهما صالحا﴾ فكان صلاحه مقتضياً لرعاية ولديه وحفظ مالهما ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ أى كمالهما وتمام نموهما ﴿ويستخرجا كنزهما﴾ من ذلك الموضع الذى عليه الجدار، ولو انقض لخرج الكنز من تحته ﴿رحمة من ربك﴾ أى كان هذا التدبير من الله تعالى رحمة لهما، بصلاح أبيهما ﴿وما فعلته عن أمري﴾ عن اجتهادى ورأيى ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾ ولم نطق السكوت عليه.

الدرس الخامس:

(قصة ذى القرنين)

الآيات من ٨٣/١١٠

مدة الحفظ: يومان.

٨٣ ﴿ويسألونك عن ذي القرنين...﴾ السائلون هم اليهود: والقصة ﴿قل سأتلو عليكم منه ذكرا﴾ وذلك بطريقة الوحى المتلو.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۖ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾

٨٤ ﴿إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا﴾ لقد مكن الله له فى الأرض، فأعطاه سلطانا وطيد.

٨٥ ﴿فأتبع سببا﴾ وسلك طريقه إلى الغرب.

٨٦ ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس...﴾ أى: نهاية الأرض من جهة المغرب ليس بعدها إلا البحر المحيط ﴿وجدها تغرب في عين حمئة﴾ أى كثيرة الحمأة وهى الطين الأسود ﴿ووجد عندها﴾ أى عند مغربها ﴿قوما﴾ وكانوا كفارًا ﴿قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا﴾ أى إما أن تعذبهم بالقتل من أول الأمر وإما تحسن إليهم بدعوتهم إلى الحق وتعليمهم الشرائع.

٨٧ ﴿قال ...﴾ ذو القرنين ﴿أما من ظلم﴾ نفسه بالإصرار على الشرك، ولم يقبل دعوتى ﴿فسوف نعذبه﴾ بالقتل فى الدنيا ﴿ثم يرد إلى ربه﴾ فى الآخرة ﴿فيعذبه﴾ فيها ﴿عذابا نكرا﴾ أى منكرًا فظيعًا.

٨٨ ﴿وأما من آمن...﴾ بالله وصدّق دعوتى ﴿وعمل﴾ عملاً ﴿صالحا﴾ مما يقتضيه الإيمان ﴿فله جزاء الحسنى﴾ وهى الجنة ﴿وسنقول له من أمرنا يسرا﴾ ذا يسرليس بالصعب الشاق.

٨٩ ﴿ثم أتبع سببا﴾ أى طريقًا غيرالطريق الأول.

٩٠ ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس...﴾ أي الموضوع الذى تطلع عليه الشمس أولاً من معمور الأرض ﴿وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا﴾ يسترهم، ويقول صاحب الظلال سيد قطب يرحمه الله ونحن لا نستطيع أن نجزم بشئ عن المكان الذى بلغ إليه ذو القرنين.

٩١ ﴿كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا﴾ أى نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه لا يخفى علينا منها شئ وإن تفرقت أممهم.

٩٢ ﴿ثم أتبع سببا﴾ أى: طريقًا ثالثًا معترضًا بين المشرق والمغرب.

٩٣ ﴿حتى إذا بلغ بين السدين...﴾ وهما جبلان من قبل أرمينية وأذربيجان ﴿وجد من دونهما﴾ أى من ورائهما ﴿قوما لا يكادون يفقهون قولا﴾ أى: لا يفهمون كلام غيرهم.

٩٤/٩٥ ﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا..﴾ إنهم أرادوا أن يجمعوا لهم من بينهم مالاً يعطونه إياه حتى يجعل بينه وبينهم سدا فقال ذو القرنين بعفة وديانه وصلاح وقصد للخير ﴿ما مكني فيه ربي خير﴾ أى الذى أعطانى الله من الملك والتمكين خير لى من الذى تجمعونه ﴿فأعينوني بقوة﴾ ساعدونى بعملكم وآلات البناء ﴿أجعل بينكم وبينهم ردما﴾ والردم هو السد.

٩٦ ﴿آتوني زبر الحديد...﴾ قطع الحديد وهى كاللبنة ﴿حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾ أى وضع بعضه على بعض من الأساس حتى حاذى به رؤوس الجبلين طولاً وعرضًا ﴿قال انفخوا﴾ أى أجج عليه النار حتى صار كله نارًا ﴿قال آتوني أفرغ عليه قطرا﴾ وهو النحاس وزاد بعضهم النحاس المذاب.

٩٧ ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه...﴾ ما قدروا على أن يصعدوا من فوق السد ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾ ولا قدروا على نقبه من أسفله.

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوٓا ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

٩٨ ﴿قال هذا رحمة من ربي...﴾ أى: قال ذو القرنين: هذا (أى تمكنى من بناء السد) من آثار رحمته بهؤلاء القوم، أو بالناس ﴿فإذا جاء وعد ربي﴾ أى أجل ربى أن يخرجوا منه قبيل يوم القيامة ﴿جعله دكاء﴾ أى مستويًا بالأرض ﴿وكان وعد ربي حقا﴾ أى: وعده بخراب السد وخروج يأجوج ومأجوج وعدًا ثابتا لا يتخلف.

٩٩ ﴿وتركنا بعضهم...﴾ بعض الناس ﴿يومئذ﴾ يوم خروج يأجوج ومأجوج ﴿يموج في بعض﴾ فيختلطون ويضطربون يوم القيامة، ﴿ونفخ في الصور﴾ قيل: هى النفخة الثانية، بدليل قوله بعدها ﴿فجمعناهم جمعا﴾ أى أحييناهم بعد تلاشى أبدانهم ومصيرها ترابا ثم أتيناهم إلى المحشر جميعًا.

١٠٠/ ١٠١ ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا...﴾ أى: أظهرناها لهم حتى شاهدوها يوم جمعنا لهم ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ وهو الآيات التي يشاهدها من له تفكر واعتبار، فيذكر الله بالتوحيد والتمجيد ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾ لتعاميهم عن المشاهدة بالأبصار.

١٠٢ ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني...﴾ وهم الملائكة والمسيح والشياطين ﴿أولياء﴾ أى معبودين ﴿إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾ أى: هيأناها لهم نزلاً يتمتعون به عند ورودهم.

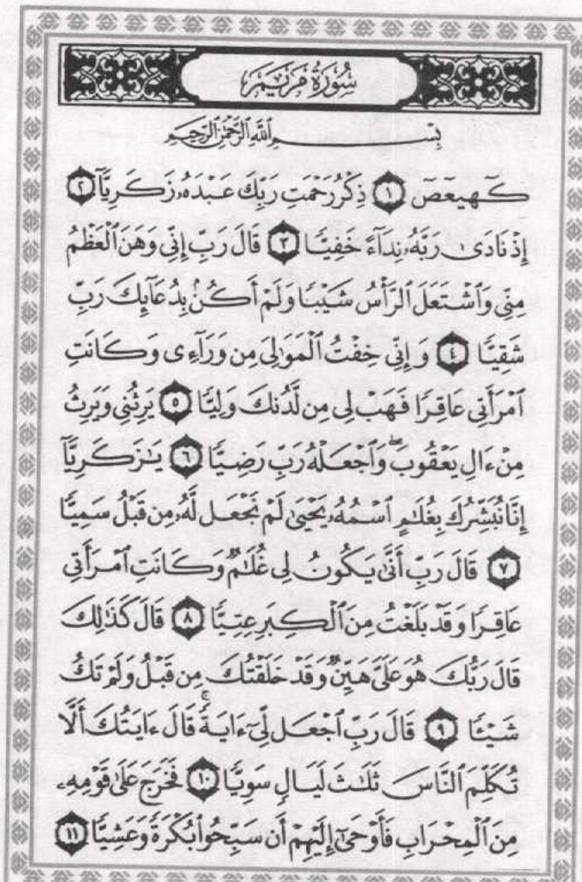
١٠٣/ ١٠٥ ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا...﴾ بأشد الناس خسرانًا لأعمالهم؟ هم: ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا﴾ ضلال السعي: بطلانه وضياعه ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ مخدوعون بماهم عليه يظنون أنهم محسنون فى ذلك منتفعون بآثاره ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾ بدلائل توحيده من الآيات الكونية وما بعده من أمور الآخرة ﴿فحبطت أعمالهم﴾ أى: التى عملوها مما يظنونه حسنًا ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ لا يكون لهم عندنا قدر ولا نعبأ بهم.

١٠٦ ﴿ذلك...﴾ من أنواع الوعيد ﴿جزاؤهم جهنم بما كفروا﴾ أى: بسبب كفرهم.

١٠٧/ ١٠٨ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات...﴾ ضد صفة من قبلهم ﴿كانت لهم جنات الفردوس نزلا﴾ الفردوس فى كلام العرب: الشجر الملتف ﴿نزلا﴾ معدًا لهم ﴿خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾ لا يطلبون تحولاً عنها.

١٠٩ ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي...﴾ لنفد البحر قبل نفاد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مدداً لنفد أيضًا، فيستفاد من الآية: كثرة كلمات الله بحيث لا تكفى لكتابتها الأقلام والكتب.

١١٠ ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم...﴾ لا يتخطاها فحالى مقصور على البشرية ﴿يوحى إلي﴾ وكفى بهذا الوصف فارقًا بينه وبين سائر البشر ﴿أنما إلهكم إله واحد﴾ لا شريك له فى ألوهيته ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ من كان له هذا الرجاء ﴿فليعمل عملا صالحا﴾ وهو ما دل الشرع على أنه عمل خير يثاب عليه فاعله ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ من خلقه سواء كان صالحًا، أو طالحًا.



سُورَةُ مَرْيَمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كهيعص ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

سورة مريم

الدرس الأول:

(قصة زكريا ويحى)

من الآية ١/٤٠

مدة الحفظ: ثلاثة أيام.

١ ﴿كهيعص﴾ يقول الأستاذ سيد قطب يرحمه الله: هذه الأحرف المتقطعة التى تبدأ بها بعض السور، والتى اخترنا فى تفسيرها أنها نماذج من الحروف التى يتألف منها القرآن، لا يستطيعه البشر مع أنهم يملكون الحروف ويعرفون الكلمات، ولكنهم يعجزون أن يصوغوا منها مثل ماتصوغه القدرة المبدعة لهذا القرآن.

٢ ﴿ذكر رحمت ربك عبده زكريا﴾ وهو من أنبياء بنى إسرائيل وزوجته خالة عيسى عليهم السلام).

تبدأ السورة بمشهد الدعاء. دعاء زكريا:

٣ ﴿إذ نادى ربه نداء خفيا﴾ لكونه قد صار ضعيفا هرما لا يقدر على الجهر.

٤ ﴿قال رب إني وهن العظم مني...﴾ أي فترت وضعفت قوته ﴿واشتعل الرأس شيبا﴾ كثر شيبه جداً، وهذا كناية عن الهرم ﴿ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾ أى: لم أكن خائبا، بل كلما دعوتك استجبت لى.

٦/٥ ﴿وإني خفت الموالي من ورائي...﴾ الموالى هنا هم الأقارب وسائر العصبات من بنى العم ونحوهم، فهم كانوا مهملين لأمر الدين، أو انشغلوا بالدنيا ﴿وكانت امرأتي عاقرا﴾ لا تلد لكبر سنها ﴿فهب لي من لدنك وليا﴾ وهو هنا أراد الولد ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ الوراثة هنا: هى وراثة العلم والنبوة ويقوم برعاية أمورهم فى الدين ﴿واجعله رب رضيا﴾ أى مرضيًا في أخلاقه وأفعاله، ترضاه أنت ويرضاه عبادك.

ثم ترتسم لحظة الاستجابة فى رعاية وعطف ورضى:

٧ ﴿يا زكريا...﴾ يناديه الرب من الملأ الأعلى. ويجعل له البشرى ﴿إنا نبشرك بغلام﴾ ويغمره بالعطف فيختاره له اسم الغلام ﴿اسمه يحيى﴾ وهو اسم فذ غير مسبوق ﴿لم نجعل له من قبل سميا﴾.

وزكريا يريد أن يطمئن ويعرف الوسيله التى يرزقه الله بها هذا الغلام:

٨ ﴿قال رب أنى يكون لي غلام...﴾ معناه التعجب من قدرة الله حيث يخرج ولداً من إمرأة عاقر وشيخ كبير ﴿وقد بلغت من الكبر عتيا﴾ انتهى سنه وكبر.

وهنا يأتيه الجواب عن سؤاله:

٩ ﴿قال كذلك قال ربك هو علي هين...﴾ سهل ميسور ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا﴾ أوجده من العدم المحض.

١٠ ﴿قال رب اجعل لي آية...﴾ أى: علامة تدلنى على وقوع المسئول، وحصول البشرى من الله سبحانه بحمل إمرأته بابنها يحيى ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا﴾ الا تقدر على الكلام وأنت سوى الخلق، ليس بك آفة تمنعك منه ومع ذلك يحتبس صوته إذا كلم الناس.

١١ ﴿فخرج على قومه من المحراب...﴾ وهو مصلاه ﴿فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾ أى: أشار إليهم لأنه لا يستطيع الكلام.

يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥) وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣) فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥)

ويفتح السياق صفحة جديدة علي يحى، يناديه ربه من الملأ الأعلى:

١٣/١٢ ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة...﴾ والكتاب هو التوراة كتاب بنى إسرائيل من بعد موسى. ونودى ليحمل العبء وينهض بالأمانه فى قوة وعزم ﴿وآتيناه الحكم صبيًا﴾ والحكم: الحكمة وهى الفهم للكتاب، وقيل: النبوة ﴿وحنانا من لدنا﴾ والحنان: الرحمة والشفقة كائنة فى قلبه ﴿وزكاة﴾ التطهير والبركة ﴿وكان تقيا﴾ مطيعًا لله.

١٤ ﴿وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا...﴾ إنه لم يكن متكبرا ولا عاصيًا لوالديه أو لربه.

١٥ ﴿وسلام عليه يوم ولد...﴾ أمن من الشيطان فى ذلك اليوم ﴿ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾ أى له الأمان فى هذه الأحوال الثلاثة.

والآن إلى قصة ميلاد عيسى:

١٦ ﴿واذكر في الكتاب...﴾ يا محمد للناس فى هذه السوره قصة ﴿مريم إذ انتبذت﴾ تنحت وتباعدت ﴿مكانا شرقيا﴾ أى: مكانًا من جانب الشرق من بيت المقدس.

١٧ ﴿فاتخذت من دونهم حجابا...﴾ حجابًا يسترها عنهم لئلا يروها حال العبادة ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ هو جبريل عليه السلام ﴿فتمثل لها بشرا سويا﴾ فظنت أنه يريدها بسوء.

١٨ ﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا﴾ أى: ممن يتقى الله ويخافه فإننى استعيذ بالله منك فاخرج من وراء الحجاب.

١٩ ﴿قال إنما أنا رسول ربك...﴾ أى: لست أريد بك سوءاً، ولكن أنا رسول إليك من ربك ﴿لأهب لك غلاما زكيا﴾ طاهراً من الذنوب.

فتسأل فى صراحة: كيف؟

٢٠ ﴿قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر...﴾ أى لم يقربنى زوج ولا غيره ﴿ولم أك بغيا﴾ البغى: هى الزانية التى تبغى الرجال بالأجر.

٢١ ﴿قال كذلك قال ربك هو علي هين...﴾ هين على الله. فأمام القدرة التى تقول للشئ كن فيكون. كل شئ هين ﴿ولنجعله آية للناس﴾ يستدلون بها على كمال القدرة ﴿ورحمة منا﴾ منه من الهداية والخير الكثير ﴿وكان أمرا مقضيا﴾ إن هذا قد انتهى أمره، وتحقق وقوعه.

ويعرض السياق مشهد العذراء الحائرة فى موقف آخر أشد هولاً:

٢٢ ﴿فحملته...﴾ أي فنفخ فى جيب درعها، فوصلت النفخة إلى بطنها فحملته ﴿فانتبذت به مكانا قصيا﴾ اعتزلت إلى مكان بعيد.

٢٣ ﴿فأجاءها المخاض...﴾ حالة الولادة ﴿إلى جذع النخلة﴾ ألجأها واضطرها إلى ساق النخله اليابسة ﴿قالت يا ليتني مت قبل هذا﴾ لأنها خافت أن يُظن بها السوء ﴿وكنت نسيا منسيا﴾ فالشئ الحقير هو الذى من شانه أن ينسى ولا يذكر.

٢٤ ﴿فناداها من تحتها...﴾ وتقع المفاجأة الكبرى طفل ولد اللحظة يناديها من تحتها. يطمئن قلبها ويصلها بربها ﴿ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا﴾ أجرى لك تحد قدميك سريا: نهراً صغيراً.

٢٥ ﴿وهزي إليك بجذع النخلة...﴾ أمسكى به وهزيه ﴿تساقط عليك رطبا جنيا﴾ هو ما طاب وصلح.

معاني الكلمات:

نبذت: اعتزلت وانفردت

فأجاءها المخاض: الجأها واضطرها وجع الولاده

فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

٢٦ ﴿فكلي واشربي...﴾ هنيئا ﴿وقري عينا﴾ واطمئنى قلبا. فأما إن واجهت أحداً فاعلنيه بطريقة غير الكلام ﴿فقولي إني نذرت للرحمن صوما﴾ الصوم هنا: الصمت عن الكلام ﴿فلن أكلم اليوم إنسيا﴾ فأخبرتهم بالإشارة

فأفاقت واطمأنت إلى أن الله لن يتركها:

٢٨/٢٧ ﴿فأتت به قومها تحمله...﴾ أى بعيسى تحمله من المكان القصى الذى انتبذت فيه، فلما رأوا الولد ﴿قالوا﴾ منكرين لذلك ﴿يا مريم لقد جئت﴾ أى فعلت ﴿شيئا فريا﴾ عجيبًا نادراً ﴿يا أخت هارون﴾ ونظنها مثل هارون فى العباده ﴿ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾ فمن أين يأتيك السوء؟

وتنفذ مريم وصية الطفل العجيب التى لقنها إياها:

٢٩ ﴿فأشارت إليه...﴾ أى: إلى عيسى، اكتفت بالإشارة ولم تأمره بالنطق، لأنها نذرت للرحمن صوما عن الكلام.

٣٣/٣٠ ﴿قال...﴾ عيسى ﴿إني عبد الله﴾ فكان أول ما نطق به الاعتراف بالعبودية لله ﴿آتاني الكتاب﴾ وهو الإنجيل: أى قدر لى فى الأزل أن أكون نبيا ذا كتاب ﴿وجعلني مباركا أين ما كنت﴾ المبارك: النفاع للعباد، والمعلم للخير ﴿وأوصاني بالصلاة﴾ أى أمرنى بها ﴿والزكاة﴾ زكاة المال، أو تطهير النفس ﴿ما دمت حيا﴾ أى مدة دوام حياتى ﴿وبرا بوالدتي﴾ علم فى تلك الحال أنه لم يكن له أب ﴿ولم يجعلني جبارا شقيا﴾ الجبار: المتعظم، الشقى: العاصى لربه ﴿والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾ أى السلام على يوم ولدت فلم يضرنى الشيطان فى ذلك الوقت، ولن يغوينى عند الموت، ولا عند البعث.

٣٤ ﴿ذلك...﴾ المتصف بالأوصاف السابقة الذى قال إنى عبد الله هو ﴿عيسى ابن مريم قول الحق﴾ أى هذا الكلام هو قول الحق فى حقيقة عيسى بن مريم لا ما يقوله الضالون ولا المغضوب عليهم ﴿الذي فيه يمترون﴾ يختلفون.

٣٥ ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد...﴾ أى: ما صح ولا استقام ذلك ﴿سبحانه﴾ أى تنزه وتقدس عن مقالتهم هذه ﴿إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ فمن كان هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد؟

٣٦ ﴿وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ هو الطريق القيم الذى لا أعوجاج فيه، ولا يضل سالكه.

بعد هذا التقرير يعرض اختلاف الفرق والأحزاب فى أمر عيسى:

٣٧ ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم...﴾ فى أمر عيسى، فاليهود قالوا: إنه ساحر، وقالوا: إنه ابن يوسف النجار، والنصارى اختلفت فرقهم فيه ﴿فويل للذين كفروا﴾ وهم المختلفون فى أمره ﴿من مشهد يوم عظيم﴾ وهو يوم القيامة وما يجرى فيه من الحساب والعقاب.

٣٨ ﴿أسمع بهم وأبصر...﴾ أى ما أقوى سمعهم وأبصارهم ﴿يوم يأتوننا﴾ أى: للحساب والجزاء. ﴿لكن الظالمون اليوم﴾ أى فى الدنيا ﴿في ضلال مبين﴾

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ
فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ
لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ
إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا
سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ
عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى
يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ
سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ
أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾
وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾
وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

٣٩ ﴿وأنذرهم يوم الحسرة...﴾ يوم تشتد الحسرات أنذرهم هذا اليوم الذي لا تنفع فيه الحسرات ﴿إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ وكأنما ذلك اليوم موصول بعدم إيمانهم، موصول بالغفلة التى هم فيها سادرون.

٤٠ ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون﴾ إلى الوارث الوحيد.

الدرس الثاني:

(قصة إبراهيم)

من الآيات رقم ٦٥/٤١

مدة الحفظ: يومان.

هذا الدرس حلقة من قصة إبراهيم تكشف عما في عقيدة الشرك من نكارة وكذب وضلال.

٤١ ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم...﴾ أي: اتل خبره على الناس ﴿إنه كان صديقا نبيا﴾ الصديق: الكثير الصدق، أو هو القوى التصديق لآيات الله.

٤٥/٤٢ ﴿إذ قال لأبيه...﴾ بهذا اللطف يتوجه إبراهيم إلى أبيه ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا﴾ فلا يجلب لك النفع ولا يدفع عنك الضر ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك﴾ وهو الوحى من قبل الله سبحانه، لم يصل إلى أبيه، ولذلك قال: ﴿فاتبعني أهدك صراطا سويا﴾ مستويا موصولاً إلى المطلوب منجيًا من المكروه ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾ أى لا تطعه ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصيا﴾ والعاصي حقيق بأن تسلب عنه النعم وتحل به النقم.

﴿يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾ أى على شركك وعصيانك لما آمرك به ﴿فتكون للشيطان وليا﴾ يعنى فلا يكون الشيطان لك مولى ولا ناصرًا ولا مغيثا.

ولكن هذه الدعوة اللطيفة لا تصل إلى القلب المشرك الصلب اليابس:

٤٦ ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم...﴾ أمعرض أنت عن تلك الأصنام ومنصرف إلى غيرها ﴿لئن لم تنته لأرجمنك﴾ أى: بالحجارة ﴿واهجرني مليا﴾ أى فارقنى زمانا طويلا.

ولم يغضب إبراهيم الحليم.

٤٧ ﴿قال سلام عليك...﴾ أي: تحية توديع ﴿سأستغفر لك ربي﴾ وكان منه هذا الوعد قبل أن يعلم أنه يموت على الكفر ﴿إنه كان بي حفيا﴾ كثير البر واللطف.

٤٨ ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله...﴾ أى أهاجر بدينى عنكم وعن معبوداتكم ﴿وأدعو ربي﴾ وحده ﴿عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا﴾ أي: خائبا.

٤٩ ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله...﴾ أى عندما ترك أرضه ووطنه وهاجر فى سبيل الله إلى أرض بيت المقدس ﴿وهبنا له إسحاق﴾ ابنه ﴿ويعقوب﴾ حفيده بدل الأهل الذين فارقهم ﴿وكلا جعلنا نبيا﴾ أى: كل واحد منهم جعلناه نبيا.

٥٠ ﴿ووهبنا لهم من رحمتنا...﴾ النبوة والمال والأولاد والكتاب ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ الثناء الحسن على ألسن العباد.

ثم يمضي السياق فيذكر موسى وهارون.

٥١ ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا...﴾ أى: جعلناه مختارًا، وأخلصناه ﴿وكان رسولا نبيا﴾ أرسله إلى عباده، فأنبأهم عن الله بشرائعه.

وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

٥٢ ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن...﴾ أى: كلمناه من جانب الطور عن يمين موسى (ويحتمل أن المراد يمين الجبل نفسه) ﴿وقربناه نجيا﴾ كل ذلك يبين فضل موسى بندائه وتقريبه إلى الله لدرجة الكلام.

٥٣ ﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾ أي من نعمتنا أخاه ﴿هارون نبيا﴾ وذلك حين سأل ربه قائلاً ﴿واجعل لي وزيرا من أهلي (٢٩) هرون أخي﴾

ثم يعود السياق إلى الفرع الآخر من ذرية إبراهيم.

فيذكر إسماعيل أبا العرب:

٥٤/ ٥٥ ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل...﴾ وهنا ينوه من صفات إسماعيل بأنه كان صادق الوعد وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة... ثم يثبت السياق أنه كان عند ربه مرضيا...

وأخيراً يختم السياق بذكر إدريس:

٥٦/ ٥٧ ﴿واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا﴾ وهو ذكره بهذا الثناء وأن الله رفعه مكانًا عليا. فأعلى قدره ورفع ذكره.

٥٨ ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين...﴾ المذكورين من أول السورة إلى هنا ﴿وممن حملنا مع نوح﴾ أى: من ذرية من حملنا ﴿ومن ذرية إبراهيم﴾ أى ومن ذرية إسرائيل، وهو يعقوب ومنهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وممن هدينا﴾ أى من جملة من هدينا إلى الإسلام ﴿واجتبينا﴾ أى اصطفينا من العباد حتى جعلناهم أنبياء ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا﴾ كانوا إذا سمعوا آيات الله بكوا وسجدوا

٥٩ ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة...﴾ بعيدون عن الله فتركوها وجحدوها ﴿واتبعوا الشهوات﴾ فعلوا كل ما تشتهيه أنفسهم من المحرمات ﴿فسوف يلقون غيا﴾ والغى الشرود والضلال، وعاقبة الشرود الضياع والهلاك.

ثم يفتح باب التوبه على مصراعيه:

٦٠/ ٦١ ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحا...﴾ فالتوبة التى تنشئ الإيمان والعمل الصالح... تنجى من ذلك المصير فلا يلقى أصحابها ﴿غيا﴾ إنما يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا. يدخلون للإقامة. الجنة التى وعد الرحمن عباده إياها. ووعد الله واقع لا يضيع.

ثم يرسم صورة للجنة ومن فيها:

٦٢/ ٦٣ ﴿لا يسمعون فيها لغوا...﴾ هو الهذر من الكلام الذى لا طائل تحته ﴿إلا سلاما﴾ ولكن يسمعون سلام بعضهم على بعض. أو سلام الملائكة عليهم ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ يأتيهم ما يشتهون من الطعام على مقدار ما يعرفون من الغداء والعشاء. وهذه الجنة نجعلها لأهل التقوى.

ويختم هذا الدرس بإعلان الربوبية المطلقة لله:

٦٤ ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك...﴾

سبب نزول هذه الآية: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ [يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟] قال فنزلت الآية: قال: كان هذا الجواب لمحمد رسول الله ﷺ ﴿له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك﴾ أى من الجهات والأماكن، أو من الأزمنة الماضية والمستقبله ﴿وما كان ربك نسيا﴾ أى لم ينسك وإن تأخر عنك الوحى، ولا ينسى شيئا.

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

٦٥ ﴿ربُّ السَّموات والأرض وما بينهما...﴾ . . فلا ربوبية لغيره، ﴿فاعبده واصطبر لعبادته﴾ . . . اعبده واصطبر على تكاليف العبادة. ﴿هل تعلم له سميًا﴾ هل تعرف له نظيرًا؟ تعالى الله عن السمي والنظير.

الدرس الثالث:

(البعث ومشاهد القيامة)

من الآية رقم ٦٦/٩٨

مدة الحفظ: يومان.

تعرض المقدمة هنا فى هذه الأرض، وتعرض نتيجتها هنالك فى العالم الآخر:

٦٦ ﴿ويقول الإنسان...﴾ والمراد به هنا الكافر ﴿أئذا ما متُّ لسوف أُخرج حيًا﴾ وهو اعتراض منشؤه غفلة الإنسان عن نشأته الأولى:

٦٧ ﴿أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا...﴾ ثم يعقب على هذا الإنكار والاستنكار بقسم تهديدى:

٦٨ ﴿فوربك لنحشرنهم...﴾ إلى المحشر بعد إخراجهم من قبورهم أحياء ﴿والشياطين﴾ أى: يحشرهم الله مع شياطينهم ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾ أى جاثين على ركبهم وهو مشهد ذليل للمتجبرين والمتكبرين.

٦٩ ﴿ثم لننزعن من كل شيعة...﴾ أى من كل فرقة التى تبعت دينا من الأديان ﴿أيهم أشد على الرحمن عتيًا﴾ ينزع من كل طائفة من طوائف الغى والفساد أعصاهم وأعتاهم، وهم قادتهم ورؤساؤهم فى الشر.

٧٠ ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليًا﴾ أى: إن هؤلاء هم أشد على الرحمن عتيا هم أولى بحريق النار.

٧١/ ٧٢ ﴿وإن منكم إلا واردها...﴾ ما من أحد من الناس إلا سوف يرد إلى النار ﴿كان على ربك حتما مقضيًا﴾ لا بد من وقوعه لا محالة ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ اتقوا ما يوجب النار وهو الكفر بالله ومعاصيه ﴿ونذر الظالمين فيها جثيًا﴾ يبقون جاثين على ركبهم لا يستطيعون الخروج.

٧٣ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا...﴾ يعيرون الذين آمنوا بفقرهم، ويعتزون بثرائهم ومظاهرهم فى عالم الفناء ﴿للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديًا﴾ إنه منطق الأرض. منطق المحجوبين عن الآفاق العليا فى كل زمان ومكان.

٧٤ ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن...﴾ القرن: الأمة والجماعة ﴿هم أحسن أثاثا﴾ الأثاث: المال أجمع ﴿ورءيا﴾ أى أحسن منظر لدى الناس من جهة حسن اللباس، أو حسن الأبدان وتنعمها.

٧٥ ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدًا...﴾ أى يخبط فى الدنيا على هواه، فإن الله تعالى جعل جزاءه أن يتركه فى ضلالته ويمده فيها. ﴿إما العذاب﴾ فى الدنيا بالقتل والأسر وإما يوم القيامة وما يحل بهم حينئذ من العذاب الأخروى ﴿فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا﴾ أى هؤلاء الذين افتخروا على المؤمنين.

٧٦ ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى...﴾ وذلك أن الخير يدعو إلى الخير، والله يجعل جزاء المؤمنين أن يزيدهم يقينا ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا﴾ انفع مما يتمتع به الكفار من النعم الدنيوية ﴿وخير مردًا﴾ المرد: المرجع والعاقبة.

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

ثم يستعرض السياق نموذجًا آخر من تبجح الكافرين:

٧٧/ ٨٠ ﴿أفرءيت الذي كفر بآياتنا...﴾ ألا أخبرك بقصة هذا الكافر الذى قال: ﴿وقال لأوتين مالاً وولدا﴾

سبب نزول هذه الآية: عن خباب بن الأرت قال: كان لى دين على العاص بن وائل فأتيته اتقاضاه فقال: لا والله حتى تكفر بمحمد، قلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: إنى إذا مت ثم بعثت، جئتنى وسيكون لى ثم مال وولد فأعطيك، فأنزل الله تعالى هذه الآية:

والقرآن يعجب من أمره، ويستنكر إدعاءه: ﴿أطلع الغيب﴾ فهو يعرف ما هنالك ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ فهو واثق من تحققه، ثم يعقب ﴿كلاً﴾ فهو التهديد والوعيد ﴿سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا﴾ فنسجله عليه ليوم الحساب فلا يُنسى ولا يقبل المغالطة ﴿ونرثه ما يقول﴾ أى نأخذ ما يخلفه مما يتحدث عنه من مال وولد ﴿ويأتينا فردا﴾ لا مال معه ولا ولد ولا نصير ولا سند.

ويستطرد السياق فى استعراض ظواهر الكفر والشرك.

٨١/ ٨٢ ﴿واتخذوا من دون الله آلهة...﴾ ليكونوا لهم أعوانًا ﴿كلاً سيكفرون بعبادتهم﴾ بل ستجحد هذه الأصنام عبادة الكفار لها يوم ينطقها الله سبحانه ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ تكون لهم ضداً عليهم وأعداء.

٨٣ ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين...﴾ أى سلطناهم عليهم تحركهم إى فعل المعاصى وتهيجهم وتغويهم.

٨٤ ﴿فلا تعجل عليهم...﴾ بأن تطلب من الله التعجيل بإهلاكهم بسبب تصميمهم على الكفر وعنادهم ﴿إنما نعد لهم عداً﴾ يعنى نعد الأيام والليالى والشهور والسنين إلى انتهاء آجالهم.

٨٥ ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن أى وافدين إلى جنته ودار كرامته.

٨٦ ﴿ونسوق المجرمين...﴾ نحثهم على السير طردًا ﴿إلى جهنم وردا﴾ الورد: المشاة العطاش، كالإبل ترد الماء.

٨٧ ﴿لا يملكون الشفاعة﴾ إلا لمن قال لا إله إلا الله مؤمنا بها لا يشرك بالله شيئا.

٨٨ ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا﴾ هو قول اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب أن الملائكة بنات الله.

٨٩ ﴿لقد جئتم شيئا إدا﴾ قلتم قولاً منكرًا.

٩٠ ﴿تكاد السموات يتفطرن منه...﴾ أى تتشقق ﴿وتنشق الأرض﴾ وتكاد أن تنشق الأرض ﴿وتخر الجبال﴾ تسقط وتنهدم ﴿هداً﴾ وتنهد هدا.

٩١/ ٩٢ ﴿أن دعوا للرحمن ولدا﴾ وذلك لبذاءة هذا القول ﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا﴾ لا يصلح ولا يليق به.

٩٣ ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا﴾ يأتى يوم القيامة مقرًا بالعبوديه خاضعا ذليلاً.

٩٤ ﴿لقد أحصاهم﴾ أى حصرهم وعلم عددهم ﴿وعدهم عداً﴾ ولا يتخلف أحد عن الحضور.

٩٥ ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾ وحده لا ناصر له ولا مال معه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾

٩٦ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ وفي الحديث الصحيح [إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إنى قد أحببت فلانا فأحبه، فينادى فى السماء ثم ينزل له المحبة فى أهل الأرض. وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل: إنى قد أبغضت فلانا، فينادى فى أهل السماء. ثم ينزل له البغضاء فى الأرض].

٩٧ ﴿فإنما يسرناه بلسانك...﴾ أى: يسرنا القرآن بإنزالنا له على لغتك، وفصلناه وسهلناه ﴿لتبشر به المتقين﴾ أى: المتلبسين بالتقوى، المتصفين بها ﴿وتنذر به قوما لدا﴾ ذوى خصومة شديدة.

٩٨ ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن...﴾ أي: من أمة وجماعة من الناس ﴿هل تحس منهم من أحد﴾ أى: هل تشعر بأحد منهم أو تراه ﴿أو تسمع لهم ركزا﴾ الركز: الصوت الخفى.

سورة طه

الدرس الأول:

(قصة موسى)

من الآية رقم ١/٩٨

مدة الحفظ: ستة أيام.

١ ﴿طه﴾ طا. ها مطلع رخى ندى. ويتلو هذين الحرفين حديث عن القرآن:

٢ ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ أي لتتعب بفرط تأسفك عليهم، وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا، فإن إيمانهم ليس لك.

٣ ﴿إلا تذكرة...﴾ لتذكر به من يوفقه الله للتقوى، وليس عليك جبرهم على الإيمان.

٤ ﴿تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى﴾ هذا إخبار للعباد ليقدروا القرآن حق قدره.

٥ ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ علا وارتفع على العرش ولا يعرف البشر كيف ذلك؟

٦ ﴿له ما في السموات وما في الأرض...﴾ مالك كل شئ ومدبره ﴿وما بينهما﴾ من الموجودات ﴿وما تحت الثرى﴾ أى: ما تحت التراب من شئ.

وعلم الله يحيط بما يحيط به ملكه:

٧ ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾ والأخفى من السر: هو ما حدث به الإنسان نفسه وأخطره بباله.

٨ ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ أى التى هى أحسن الأسماء لدلالتها على كل الكمال والجلال.

ثم يقص الله على رسوله حديث موسى:

٩ ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ أى: قصته مع فرعون وملئه، وفى سياق هذه القصة تسلية للنبى ﷺ لما يلاقيه من مشاق أحكام النبوة.

١٠ ﴿إذ رأى نارا...﴾ وكانت رؤيته للنار فى ليلة مظلمة ﴿فقال لأهله امكثوا﴾ أقيموا مكانكم ﴿إني آنست نارا﴾ رأيتها من بعيد ﴿لعلي آتيكم منها بقبس﴾ وهى شعلة من النار(يأخذه الرجل ليوقد به ناراً أخرى) ﴿أو أجد على النار هدى﴾ أى: هاديا يهدينى إلى الطريق ويدلنى عليها.

١٢/١١ ﴿فلما أتاها نودي...﴾ أي فلما أتى النار التى رآها ناداه الله تعالى قائلاً ياموسى ﴿إني أنا ربك فاخلع نعليك﴾ أمره بنزعهما ليكون حافيا ﴿إنك بالواد المقدس طوى﴾ المقدس: المطهر، طوى: اسم الوادى وهو من أرض سيناء.

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾

١٦/١٣ ﴿وأنا اخترتك...﴾ فيا للتكريم والاختيار ﴿فاستمع لما يوحى﴾: ويلخص ما يوحى فى ثلاثة أمور مترابطة:

﴿فاعبدني﴾ الاعتقاد بالوحدانية ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ أى التوجه بالعباده ﴿إن الساعة آتية﴾ والإيمان بالساعة، فاعمل لها الخير من عبادة الله والصلاة وأنه يكاد يخفيها، فعلم الناس بها قليل ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ بما تسعى فيه أعمالها ﴿فلا يصدنك عنها﴾ لا يصرفنك عن الإيمان بالساعة والتصديق بها ﴿من لا يؤمن بها﴾ من الكفرة ﴿واتبع هواه﴾ بالانهماك فى المحرم من اللذات الحسية الفانية ﴿فتردى﴾ أى: فتهلك.

ويتلقى موسى سؤالاً لا يحتاج إلى جواب:

٢٤/١٧ ﴿وما تلك بيمينك يا موسى..﴾ إنها عصاه. ولكن أين هو من عصاه؟ إنه يتذكر فيجيب: ﴿قال هي عصاي﴾ عصاه الحقيقية التى يعرفها ﴿أتوكأ عليها﴾ أتحامل عليها فى المشى عند الإعياء ﴿وأهش بها على غنمي﴾ لزجر الغنم ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ أى: حوائج، ومنافع العصا كثيرة معلومة ﴿قال ألقها يا موسى﴾ ووقعت المعجزة ﴿فإذا هي حية تسعى﴾ وخاف موسى وفزع وولى مدبرا ﴿قال﴾ سبحانه ﴿خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ سنعيدها بعد أخذك لها إلى حالتها الأولى ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ وهو أمر علوى آخر، ووضع موسى يده تحت إبطه ﴿تخرج بيضاء﴾ مضيئة كضوء الشمس والقمر ﴿من غير سوء﴾ من غير عيب ولا برَص ﴿آية أخرى﴾ أى: معجزة أخرى غير العصا ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾ أى بهاتين الآيتين فتشهد وقوعها بنفسك تحت بصرك وحسك ﴿اذهب إلى فرعون﴾ رسولاً منا إليه ﴿إنه طغى﴾ كفر وتجاوز الحد.

٣٥/٢٥ ﴿قال رب اشرح لي صدري﴾ وسعه ليحتمل أذى الناس وأعباء الرسالة ﴿ويسر لي أمري﴾ فأنت نصيرى وعونى وعضدى ﴿واحلل عقدة من لساني ﴿٢٧﴾ يفقهوا قولي﴾ وذلك لما كان أصابه، من اللثغ (حين عرض عليه التمرة والجمرة وهو مولود) فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه -كما سيأتى بيانه- ﴿واجعل لي وزيرا من أهلي ﴿٢٩﴾ هرون أخي﴾ وهذا أيضا سؤال من موسى -عليه السلام-، فى أمر خارجى عنه وهو مساعدة أخيه هارون له ﴿اشدد به أزري﴾ اى مهمتى ﴿وأشركه في أمري﴾ فى مشاورتى ﴿كي نسبحك كثيرا ﴿٣٣﴾ ونذكرك كثيرا﴾ قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعداً ومضطجعاً قوله ﴿إنك كنت بنا بصيرا﴾ أى فى اصطفائك لنا واعطائك إيانا النبوة.

وأجابه الله فيما سأله:

٣٧/٣٦ ﴿قال قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ من شرح الصدر، وتيسير الأمر، وحل العقدة، ونبوة هارون ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ كلام مستأنف بتذكيره نعم الله عليه، والمنّ: الإحساس والانفصال:

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

٣٨ ﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى﴾ إما مجرد الإلهام لها، أو فى النوم.

٣٩ ﴿أن اقذفيه في التابوت﴾ والتابوت هو صندوق من خشب أو غيره يطفو على الماء ﴿فاقذفيه في اليم﴾ أى: اطرحيه فى البحر ﴿فليلقه اليم بالساحل﴾ -واليم هنا هو نهر النيل- أمر الله تعالى النيل بإلقاء موسى على الشط قبالة منزل فرعون ﴿يأخذه عدو لي وعدو له﴾ فأخذه فرعون ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ لا يراه أحد إلا أحبه ﴿ولتصنع على عيني﴾ لتتربى بمرأى منى (ورعاية خاصة بك)

٤٠ ﴿إذ تمشي أختك...﴾ خرجت تمشى على الشاطئ لترى أين يستقر، فوجدت فرعون وامرأته يطلبان له مرضعة، فقالت لهما ﴿فتقول هل أدلكم على من يكفله﴾ أى: يربيه: فجاءت الأم فقبل ثديها، وكان لا يقبل ثدى مرضعة غيرها ﴿فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها﴾ والمراد السرور برجوع ولدها ﴿ولا تحزن﴾ بسبب يطرأ بعد ذلك ﴿وقتلت نفسا﴾ نفس القبطى الذى وكزه موسى فقضي عليه خطأ ﴿فنجيناك من الغم﴾ أى: الغم الحاصل معك من قتله خوفا من العقوبة ﴿وفتناك فتونا﴾ وخلصناك مما وقعت فيه من المحن قبل أن يصطفيك الله ﴿فلبثت سنين في أهل مدين﴾ هرب إليها موسى، فأقام بها عشر سنين كانت مهر امرأته ﴿ثم جئت على قدر يا موسى﴾ أى: فى وقت سبق فى قضائى وقدرى.

٤١ ﴿واصطنعتك لنفسي﴾ أى: اخترتك لإقامة حجتى، وجعلتك بينى وبين خلقى.

٤٢ ﴿اذهب أنت وأخوك...﴾ هارون ﴿بآياتي﴾ بمعجزاتى التى جعلتها لك آية، وهى التسع آيات ﴿ولا تنيا في ذكري﴾ أى: لا تضعفا ولا تفترا عن ذكر الله.

٤٣ ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ أى جاوز الحد فى الكفر والتمرد.

٤٤ ﴿فقولا له قولا لينا...﴾ لا خشونة فيه ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ حتى يمعن النظر فيما تبلغانه

٤٥ ﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا...﴾ أن يعجل ويبادر بعقوبتنا ويشتط فى أذيتنا.

٤٦ ﴿قال لا تخافا إنني معكما...﴾ بالنصر والمعونة على فرعون ﴿أسمع وأرى﴾ ولست بعيداً عنكما.

٤٧ ﴿فقولا إنا رسولا ربك...﴾ أرسلنا الله إليك ﴿فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ وأطلقهم من الأسر ﴿ولا تعذبهم﴾ كانوا عند فرعون فى عذاب شديد ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ هى العصا واليد ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ وسلم من سخط الله عزوجل ومن عذابه.

٤٨ ﴿إنا قد أوحي إلينا...﴾ من جهة الله سبحانه ﴿أن العذاب على من كذب وتولى﴾ الهلاك والدمار فى الدنيا، والخلود فى النار.

لقد أتيا فرعون والمشهد هنا يبدأ بما دار بينه وبين موسى -عليه السلام- من حوار:

٤٩ ﴿قال فمن ربكما يا موسى﴾ فأضاف الرب إليهما ولم يضفه إلى نفسه لعدم تصديقه لهما.

٥٠ ﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه...﴾ أى صورته وشكله.

٥١ ﴿قال فما بال القرون الأولى﴾ فإنها لم تقر بالرب الذى تدعو إليه يا موسى بل عبدت الأوثان ونحوهما من المخلوقات.

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

٥٢ ﴿قال علمها عند ربي...﴾ أى إن كل أعمالهم محفوظة عند الله فى اللوح المحفوظ، يجازى بها ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾ لا يضل: لا يخطئ.

٥٣ ﴿الذي جعل لكم الأرض مهدا...﴾ كالفراش ممهدة تعيشون عليها بيسر وسهولة ﴿وسلك لكم فيها سبلا﴾ طرقًا تسلكونها وسهلها لكم ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ هو ماء المطر ﴿فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى﴾ أى: ضروبا وأشباهًا من أصناف النبات المختلفة.

٥٤ ﴿كلوا وارعوا أنعامكم...﴾ يمتن الله تعالى بأن خلق ذلك النبات بأصنافه صالحًا للإنسان والأنعام المسخرة له ﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾ أصحاب العقول الراجحة.

٥٥ ﴿منها خلقناكم...﴾ أى من تراب الأرض ﴿وفيها﴾ أى: فى الأرض ﴿نعيدكم﴾ بعد الموت فتدفنون فيها، وتتفرق أجزاؤكم حتى تصير من جنس الأرض ﴿ومنها﴾ أى: من الأرض ﴿نخرجكم تارة أخرى﴾ أى: بالبعث والنشور.

٥٦ ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها...﴾ هى الآيات التسع المذكورة ﴿فكذب وأبى﴾ وأبى أن يجيبه إلى الإيمان.

٥٧ ﴿قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى﴾ وذكرالملعون الإخراج من الأرض لتنفير قومه عن إجابة موسى.

٥٨ ﴿فلنأتينك بسحر مثله...﴾ لنعارضنك بمثل ما جئت به من السحر ﴿فاجعل بيننا وبينك موعدا﴾ يوما معلومًا ومكانا معلوما ﴿لا نخلفه﴾ أى: لا نخلف ذلك الوعد ﴿نحن ولا أنت﴾ وفوض تعيين الموعد إلى موسى إظهاراً لكمال اقتداره ﴿مكانا سوى﴾ أى: مستويا ظاهراً ليظهر فيه الحق.

٥٩ ﴿قال موعدكم يوم الزينة...﴾ كان ذلك يوم عيد يتزينون فيه وقصد موسى ليجتمع الناس جميعا فتظهر الدعوة ﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾ ليكون الضوء غالبًا فلا يشكوا فى المعجزة.

٦٠ ﴿فجمع كيده...﴾ أى: جمع ما يكيد به من سحره وحيله، وجمع السحرة ﴿ثم أتى﴾ أى أتى الموعد.

٦١ ﴿قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا...﴾ قال ذلك لفرعون وملئه ﴿فيسحتكم بعذاب﴾ ليستأصلكم به ﴿وقد خاب من افترى﴾ خسر وهلك من افترى على الله أى كذب كان.

٦٢/ ٦٣ ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم...﴾ أى السحرة لما سمعوا كلام موسى تناظروا وتشاوروا وتجاذبوا أطراف الكلام فيما بينهم ﴿وأسروا النجوى﴾ أى: تناجوا فيما بينهم سراً من موسى قائلين ﴿إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم﴾ قالوا ذلك متأثرين بكلام فرعون، ومرددين لإذاعته والأرض هى أرض مصر ﴿بسحرهما﴾ الذي أظهراه ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ أى أنهما إن غلبا بسحرهما أهلكاكم وأخرجاكم من الأرض وتفردا بذلك ودانت لهما الرياسة.

٦٤ ﴿فأجمعوا كيدكم...﴾ ليكن عزمكم كلكم ﴿ثم ائتوا صفا﴾ ليكون أشد لهيبتهم ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ أى: من غلب. وهذا كله من قول السحرة بعضهم لبعض، وقيل: من قول فرعون لهم.

قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ
بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ
﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟
كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ
لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ
أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا
فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ
عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

٦٥ ﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي...﴾ أنت أولاً ﴿وإما أن نكون﴾ نحن ﴿أول من ألقى﴾ ما يلقيه، والمراد إلقاء العصى على الأرض.

٦٦ ﴿قال...﴾ لهم موسى ﴿بل ألقوا﴾ أمرهم بالإلقاء أولاً لتكون معجزته أظهر، وإظهاراً لعدم المبالاة لسحرهم ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه﴾ توهم هو وكذلك يتوهم من رآها أنها ﴿تسعى﴾ أى: تتحرك بسرعة كالأفاعى.

٦٧ ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ أى: أحس بالخوف من أن يغلب.

٦٨ ﴿قلنا لا تخف...﴾ فمعك الحق ومعهم الباطل ﴿إنك أنت الأعلى﴾ أنت متصل بالقوة الكبرى وهم يخدمون مخلوقًا بشريًا فانيا مهما يكن طاغية جباراً.

٦٩ ﴿وألق ما في يمينك...﴾ يعنى العصا ﴿تلقف ما صنعوا﴾ فهو سحر من تدبير ساحر وعمله والساحر لا يفلح فهو شأن كل مبطل أمام القائم على الحق.

وألقى موسى.. ووقعت المفاجأة الكبرى.

٧٠ ﴿فألقي السحرة سجدا...﴾ لأنهم علموا أن فعل موسى ليس من قبيل السحر.

٧١ ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم..﴾ أى: هل صدقتم قوله واتبعتموه على دينه من غير إذن لكم بذلك ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ أى هو أسحركم وأعلاكم درجة فى صناعة السحر، أو معلمكم وأستاذكم ﴿الذي علمكم السحر﴾ وفرعون كان يريد أن يدخل الشبهة على الناس حتى لا يؤمنوا ﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ من خلاف: هو قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، أو عكسه ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ أى على جذوعها ﴿ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى﴾ أراد لتعلمن هل أنا أشد عذابا لكم أم رب موسى.

ولكنه كان قد فات الأوان:

٧٢ ﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات...﴾ لن نختارك على ما جاءنا به موسى ﴿والذي فطرنا﴾ اي خلقنا، وقيل هو قسم، أى: والله الذى فطرنا لن نؤثرك ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ أى: فاصنع ما أنت صانع ﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ ولا سبيل لك علينا فيما بعدها.

٧٣ ﴿إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا...﴾ التى سلفت منا من الكفر وغيره ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ ويغفر لنا الذى أكرهتنا عليه من عمل السحر في معارضة موسى ﴿والله خير وأبقى﴾ خير منك ثوابًا وأبقى منك عقابا.

٧٤ ﴿إنه من يأت ربه مجرما...﴾ أى يلقى الله يوم القيامة، وهو مجرم ﴿فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ وعن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ خطب فأتى على هذه الآية ﴿إنه من يأت ربه مجرما﴾ قال النبى ﷺ [أما أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون، وأما الذين ليسوا من أهلها فإن النار تمسهم ثم يقوم الشفعاء فيشفعون، فتجعل الضبائر، فيؤتى بهم نهراً يقال له الحياة أو الحيوان (فينبتون كما ينبت العشب فى السيل).

٧٦/٧٥ ﴿ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات...﴾ مصدقًا به قد عمل الطاعات فهؤلاء لهم المنازل الرفيعة فى ﴿جنات عدن﴾ وذلك الأجر ﴿جزاء من تزكى﴾ تطهر من الكفر والمعاصى الموجبة للنار.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

وانتصر الحق فى الأرض كما يعرضه هذا المشهد.

٧٧ ﴿ولقد أوحينا إلى موسى...﴾ أن يخرج بعباد الله -بنى إسرائيل- ليلاً. فيضرب لهم طريقًا فى البحر يبسًا أي فى وسط البحر وهو بحر القلزوم (السويس) يابسًا وذلك أن الله تعالى أيبس لهم تلك الطريق حتى لم يكن فيها ماء ولا طين ﴿لا تخاف دركا﴾ أى آمنا من أن يدرككم العدو ﴿ولا﴾ أنت ﴿تخشى﴾ من فرعون أو من البحر.

٧٨ ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده...﴾ تبعهم ومعه جنوده ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ وقاد فرعون قومه إلى الضلال فى الحياة كما قادهم إلى الضلال في البحر.

وهنا يتوجه الخطاب إلى الناجين بالتذكير والتحذير:

٧٩/ ٨٢ ﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم...﴾ **لقد جاوزوا منطقة** الخطر ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ **ويشار إليها هنا وهى** مواعدة لموسى -عليه السلام- بعد خروجهم من مصر ﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ **وهذه نعمة من الله** ومظهرًا لعنايته بهم فى الصحراء الجرداء.

وإلى جانب التحذير والإنذار نفتح باب التوبة لمن يخطئ ويرجع:

﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾.

وهنا ينتهى مشهد النصر والتعقيب عليه فيسدل الستار حتى يرفع على مشهد المفاجأة الثانية إلى جانب الطور الأيمن:

٨٣ ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ وكانت المواعدة أن يوافى موسى وجماعة من وجوه قومه، فسار موسى بهم، ثم عجل من بينهم شوقًا إلى ربه، فقال الله له ما أعجلك؟ فرد عليه:

٨٤ ﴿قال هم أولاء على أثري...﴾ أى: هم بالقرب منى، واصلون بعدى ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ لتزداد رضا عنى بذلك.

٨٥ ﴿قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك...﴾ أى ابتليناهم واختبرناهم وألقيناهم فى فتنة ومحنة ﴿وأضلهم السامري﴾ بما أوقعهم فيه من عبادة العجل الذى عمله لهم السامرى.

وينهى السياق موقف المناجاة... ليصور انفعال موسى..

٨٦ وعاد موسى غضبان أسفا ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا﴾ وقد وعدهم الله بالنصر ودخول الأرض المقدسة فى ظل التوحيد. ويؤنبهم فى استنكار ﴿أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي﴾ عندئذ **يعتذرون:**

٨٧ ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا...﴾ **فلقد كان الأمر أكبر من طاقتنا!** ﴿ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها﴾ **وقد حملوا معهم أكداسًا من حلى المصريات كانت إعارة عند نسائهم فحملنها معهن. فهم يشيرون إلى هذه الأحمال. ويقولون: لقد قذفناها تخلصًا منها لأنها حرام فأخذها السامرى فصاغ منها عجلاً** ﴿فكذلك ألقى السامري﴾ ما معه، وصاغ لهم منه عجلاً ثم ألقى عليه قبضة من أثر الرسول. وهو جبريل.

معاني الكلمات:

فغشيهم: علاهم وغمرهم.

المَنّ: مادة صمغية حلوة كالعسل

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

٨٨ ﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار...﴾ وسبب هذا الخوار لأنه عمل فيه خروقًا، إذا دخلت الريح فى جوفه خار، ولم يكن فيه حياة. والخوار: صوت البقر. وفى بلاهة فكر وبلادة روح قالوا ﴿هذا إلهكم وإله موسى﴾ قالها السامري ﴿فنسي﴾ أى: فضل موسى ولم يعلم مكان إلهه.

ذلك فضلاً على وضوح الخدعة:

٨٩ ﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً...﴾ والمقصود أنه حتى لم يكن عجلاً حيًا يسمع قولهم ويستجيب له على عادة العجول البقرية وغيرذلك لقد نصح لهم هارون وهو نبيهم كذلك، والنائب عن نبيهم المنقذ ونبههم إلى أن هذا ابتلاء فقال:

٩٠ ﴿يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري...﴾

﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾ أى لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه، وخالفوا هارون فى ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه.

٩٢/٩٣ ﴿قال...﴾ موسى ﴿يا هارون ما منعك﴾ من اتباعى واللحوق بى عند أن وقعوا فى هذه الضلالة ودخلوا فى الفتنه ﴿أفعصيت أمري﴾ كيف خالفت أمرى لك بالقيام لله ومنابذة من خالف دينه، وأقمت بين هؤلاء الذين اتخذوا العجل إلها.

٩٤ ﴿قال يا بنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ كعقوبة لى منك، فإن لى عذرا هو ﴿إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل﴾ وذلك لأن هارون لو خرج لتبعه جماعة منهم، وتخلف مع السامرى عند العجل آخرون، وربما أفضى ذلك إلى القتال بينهم ﴿ولم ترقب قولي﴾ واعتذر إليه بقوله (أن القوم استضعفونى وكادوا يقتلونى).

٩٥ ﴿قال فما خطبك يا سامري﴾ أى: ما شأنك؟ أى: ما الذى حملك على ما صنعت؟

٩٦ ﴿قال بصرت بما لم يبصروا به..﴾ قيل: أراد أنه رأى جبريل على فرس فألقى فى ذهنه أن يقبض قبضة من أثر فرسه، وأن ذلك الأثر لا يقع على جماد إلا صار حيا ﴿فنبذتها﴾ فطرحتها في الحلى المذابة المسبوكة على صورة العجل ﴿وكذلك سولت لي نفسي﴾ أى: زينت.

ورغم تكاثر الروايات حول قول السامرى هذا، فإن القرآن لا يقرر هنا حقيقة ما حدث، إنما هو يحكى قول السامرى مجرد حكاية. ويقول الأستاذ: سيد قطب يرحمه الله (ونحن نميل إلى اعتبار هذا عذراً من السامرى وتملصًا من تبعة ما حدث).

وعلى أية حال فقد أعلنه موسى - عليه السلام- بالطرد:

٩٧ ﴿قال فاذهب...﴾ أى: فاذهب من بيننا، وأخرج عنا، فإن لك ما دمت حيا ﴿أن تقول لا مساس﴾ أمر موسى أن ينفى السامرى عن قومه وأمر بنى إسرائيل ألا يخالطوه عقوبة له ﴿وإن لك موعدا لن تخلفه﴾ أى: لن يخلفك الله ذلك الموعد، وهو يوم القيامة ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا﴾ الذى دمت وأقمت على عبادته ﴿لنحرقنه﴾ أى بالنار ﴿ثم لننسفنه في اليم نسفا﴾ لنذرينه فى البحر ليذهب به الريح.

٩٨ ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو...﴾ لا هذا العجل الذى فتنكم به السامرى ﴿وسع كل شيء علما﴾ وسع علمه كل شئ.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

الدرس الثانى: (مشاهد القيامة) من الآية (٩٩) إلى الآية (١٣٥)

مدة الحفظ: ثلاثة أيام.

٩٩ ﴿كذلك نقص عليك...﴾ كما قصصنا عليكم خبر موسى كذلك نقص عليك ﴿من أنباء ما قد سبق﴾ الحوادث الماضية فى الأمم الخالية ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكرا﴾ أى القرآن.

١٠٠ ﴿من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا﴾ يحمل إثمًا عظيمًا وعقوبة ثقيله بسبب إعراضه.

١٠١ ﴿خالدين فيه...﴾ فى جزائه وهو النار ﴿وساء لهم يوم القيامة حملا﴾ أى: بئس الحمل يوم القيامة.

١٠٢ ﴿يوم ينفخ في الصور...﴾ المراد نفخة البعث التى يحشر الناس بعدها للحساب ﴿ونحشر المجرمين﴾ هم المشركون والعصاة ﴿زرقا﴾ لأن سواد العين يتغير بالعطش إلى الزرقة.

١٠٣ ﴿يتخافتون بينهم...﴾ يتساررون، أى: يقول بعضهم لبعض سرًا ﴿إن لبثتم إلا عشرا﴾ عشر ليال، يستقصرون مدة مقامهم فى الدنيا، أو فى القبور.

١٠٤ ﴿نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة...﴾ أى أعدلهم قولاً، وأكملهم رأيا ﴿إن لبثتم﴾ ويدل على شدة الهول أى إنما كان لبثكم فيها قليلاً.

١٠٥ ﴿ويسألونك عن الجبال...﴾ عن حالها يوم القيامة ﴿فقل ينسفها ربي نسفا﴾ يقلعها قلعا من أصولها، بتفجيرها حتى تطير هكذا وهكذا.

١٠٦ ﴿فيذرها﴾ فيجعلها ﴿قاعا صفصفا﴾ كالأرض الملساء بلا نبات ولا بناء.

١٠٧ ﴿لا ترى فيها عوجا...﴾ أى انخفاض ﴿ولا أمتا﴾ أى ارتفاع كالمكان المرتفع.

١٠٨ ﴿يومئذ يتبعون الداعي..﴾ يتبع الناس داعى الله إلى المحشر ﴿لا عوج له﴾ فلا يقدرون علي أن يزيغوا عنه، بل يسرعون إليه ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ سكتت رهبة وخشية ﴿فلا تسمع إلا همسا﴾ والهمس: الصوت الخفى.

١٠٩ ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة...﴾ من شافع كائنا من كان ﴿إلا من أذن له الرحمن﴾ أى: إلا شفاعة من أذن الرحمن له أن يشفع ﴿ورضي له قولا﴾.

١١٠ ﴿يعلم ما بين أيديهم...﴾ من أمر الساعة ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الدنيا ﴿ولا يحيطون به علما﴾ لا تحيط علومهم بذاته ولا بصفاته، ولا بمعلوماته.

١١١ ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم...﴾ أى: ذللت وخضعت ﴿وقد خاب من حمل ظلما﴾ أى: خسر من حمل شيئا من الظلم، وقيل: هو الشرك.

١١٢ ﴿ومن يعمل من الصالحات..﴾ أى الأعمال الصالحة ﴿وهو مؤمن﴾ بالله ﴿فلا يخاف ظلما﴾ من أن يعاقب بغير ذنب ﴿ولا هضما﴾ أى النقص من ثواب حسناته.

١١٣ ﴿وكذلك أنزلناه...﴾ أى القرآن بلغة العرب ليفهموه وبينا فيه ضروبا من الوعيد تخويفا وتهديدا كى يخافوا الله. فيتجنبوا معاصيه، ويحذروا عقابه ﴿أو يحدث لهم ذكرا﴾ أى تنشئ مواعظ القرآن فى قلوبهم اعتبارًا واتعاظا، وقيل: ورعا.

فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

١١٤ ﴿فتعالى الله الملك الحق...﴾
أى تنزه وتقدس الملك الحق الذى هو حق ووعده حق، ووعيده حق، ورسله حق والجنة حق والنار حق وكل شئ منه حق وعدله تعالى أن لا يعذب أحداً قبل الإنذار وبعث الرسل ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ كان النبى ﷺ يبادر جبريل، فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي حرصًا منه على ما كان ينزل عليه منه. فنهاه الله عن ذلك، ومثله قوله تبارك وتعالى فى سورة القيامة ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ وقيل المعنى: ولا تلقه إلى الناس قبل أن يأتيك بيان تأويله ﴿وقل رب زدني علما﴾ أى: سل ربك زيادة العلم.

ثم تجئ قصة آدم، وقد نسى ما عهد الله به إليه:

١١٥ ﴿ولقد عهدنا إلى آدم...﴾
أمرناه ووصيناه، وهو نهيه عن الأكل من الشجرة ﴿فنسى﴾ ما عهد الله به إليه ﴿ولم نجد له عزما﴾ عندما وسوس إليه الشيطان فلانت عريكته، وفتر عزمه، وأدركه ضعف البشر.

١١٦ ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم...﴾ يذكر تعالى تشريف آدم وتكريمه وما فضله على كثير ممن خلق تفضيلا ﴿فسجدوا إلا إبليس﴾ أى امتنع واستكبر ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك﴾ يعني حواء عليهما السلام ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ فتتعب فى حياتك الدنيا فى الأرض ﴿إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى﴾ لك فى الجنة تمتعا بأنواع المعايش وتنعما بأصناف النعم ﴿وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ لا تعطش في الجنة، ولا يؤذيك الحر.

١٢٠ ﴿فوسوس إليه الشيطان﴾ قال لهما بنوع من الخفية ولم يزل بهما حتى أكلا من الشجرة عندما دخل الشيطان بإغوائه بالحياة الطويلة، وإلى الملك الطويل ﴿قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ أى لا يزول ولا ينقضى وكان ذلك كذب من إبليس ليستدرجهما إلى معصية الله

١٢١ ﴿فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما﴾ إنها مواضع العفة فى جسديهما ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ قال مجاهد: يرقعان كهيئة الثوب ليستر عورتهما وقيل: جعل يلصقان عليهما من ورق التين ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ أى: عصاه بالأكل من الشجرة فضل عن الصواب.

١٢٢ ﴿ثم اجتباه ربه...﴾ أى: اصطفاه وقربه، بعد أن تاب من المعصية ﴿فتاب عليه وهدى﴾ وهداه إلى التوبة.

١٢٣ ﴿قال اهبطا منها جميعا...﴾ انزلا من الجنة ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ فى أمر المعاش ونحوه ﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾ بإرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل﴾ فى الدنيا ﴿ولا يشقى﴾ فى الآخرة.

١٢٤ ﴿ومن أعرض عن ذكري...﴾ عن دينى، وتلاوة كتابى، والعمل بما فيه ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ عيشًا ضيقا ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ أى مسلوب البصر.

١٢٥ ﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا﴾ فى الدنيا.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

١٢٦ ﴿قال كذلك...﴾ أى مثل ذلك فعلت أنت ﴿أتتك آياتنا فنسيتها﴾ اعرضت عنها وتركتها، ولم تنظر فيها ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ تترك فى العمى والعذاب فى النار.

١٢٧ ﴿وكذلك نجزي من أسرف...﴾ الذى ينهمك فى الشهوات المحرمة ﴿ولم يؤمن بآيات ربه﴾ بل كذب بها ﴿ولعذاب الآخرة أشد﴾ أى: أفظع ﴿وأبقى﴾ أى: أدوم وأثبت لأنه لا ينقطع.

ويبدأ السياق فى جولة حول مصارع الغابرين:

١٢٨ ﴿أفلم يهد لهم...﴾ أفلم يتبين لأهل مكة خبر من ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم﴾ يتقلبون فى ديارهم، أو يمشون فى مساكن القرون الذين أهلكناهم ﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾ أى: لذوى العقول.

١٢٩ ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك..﴾ وهى وعد الله سبحانه بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الدار الآخرة.

١٣٠ ﴿فاصبر على ما يقولون...﴾ لا تحتفل بهم ﴿وسبح بحمد ربك﴾ وهى الصلوات الخمس ﴿قبل طلوع الشمس﴾ إشارة إلى صلاة الفجر ﴿وقبل غروبها﴾ فإنه إشارة إلى صلاة العصر ﴿ومن آناء الليل﴾ العشاء ﴿فسبح﴾ أى: فصلُ ﴿وأطراف النهار﴾ أى: المغرب والظهر ﴿لعلك ترضى﴾ ما ترضى به نفسك.

١٣١ ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم...﴾ لا تطل نظر عينيك (إلى ما أمددناهم به من متع الحياة) ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ زينتها وبهجتها ﴿لنفتنهم فيه﴾ ابتلاء منا لهم ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾ خير مما رزقهم فى الدنيا على كل حال.

١٣٢ ﴿وأمر أهلك بالصلاة..﴾ فأول واجبات الرجل المسلم أن يحول بيته إلى بيت مسلم ﴿واصطبر عليها﴾ على إقامتها كاملة ﴿لا نسألك رزقا﴾ أى لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ﴿نحن نرزقك﴾ ونرزقهم ﴿والعاقبة للتقوى﴾ أى: العاقبة المحمودة، وهى الجنة لأهل التقوى.

١٣٣ ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه...﴾ كما كان يأتى من قبله من الأنبياء. أى من الآيات التي قد اقترحناها عليه ﴿أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى﴾ التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب المنزلة.

١٣٤ ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله...﴾ أى: من قبل بعثة محمد ﷺ ﴿لقالوا﴾ يوم القيامة ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ أى: هلا كنت أرسلت إلينا رسولاً فى الدنيا ﴿فنتبع آياتك﴾ التى يأتى بها الرسول ﴿من قبل أن نذل﴾ بالعذاب فى الدنيا ﴿ونخزى﴾ بدخول النار.

١٣٥ ﴿قل كل متربص فتربصوا...﴾ أى: قل لهم يا محمد: كل واحد منا ومنكم متربص، أى: منتظر لما يؤول إليه الأمر، فتربصوا أنتم ﴿فستعلمون﴾ عن قريب ﴿من أصحاب الصراط السوي﴾ أى: فستعلمون في العاقبة من هو على الحق منى ومنكم ﴿ومن اهتدى﴾ من الضلالة ونزع عن الغواية.

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

سورة الأنبياء

الدرس الأول:

(جولة فى أرجاء الكون)

من الآية (١) إلى الآية (٣٥)

مدة الحفظ: ثلاثة أيام.

والسياق فى هذا الدرس يبدأ بمطلع قوى الضربات، يهز القلوب هزا وهو يلفتها إلى الخطر القريب وهى غافلة عنه:

١ ﴿اقترب للناس حسابهم...﴾ أى: وقت يوم القيامة، فما بقى من الدنيا أقل مما مضى ﴿وهم في غفلة معرضون﴾ وذلك لاشتغالهم بمتع الحياة غير متأهبين لها.

٢ ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث...﴾ وهو القرآن المنزل ﴿لاهية قلوبهم﴾ وقد كانوا يتناجون فيما بينهم ويتآمرون خفية ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ يقولون عن رسول الله ﷺ ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ لا يتميز عنكم بشئ ﴿أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ فكيف تجيبونه والذى جاء به هو السحر!!

عند ذلك وكل الرسول ﷺ أمره وأمرهم إلى الله المطلع على كل نجوى:

٤ ﴿قال ربي يعلم القول في السماء والأرض...﴾ فهو عالم بما تناجيتم به ﴿وهو السميع﴾ لكل ما يسمع ﴿العليم﴾ بكل معلوم.

٥ ﴿بل قالوا أضغاث أحلام...﴾ أى أن الذى يأتى به هو الرؤيا الكاذبة ﴿بل افتراه﴾ من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل ﴿بل هو شاعر﴾ وفى هذا التردد دليل أنهم جاهلون بحقيقة ما جاء به ﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ أى: كما أرسل موسى بالعصا وغيرها، وصالح بالناقة.

٦ ﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها...﴾ وسنة الله أن المكذبين عندما يطلبون معجزة ولا يؤمنوا بعدها ينزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة ﴿أفهم يؤمنون﴾ فكيف يؤمن هؤلاء لو أعطوا ما اقترحوا؟

٧ ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم...﴾ ولم نرسل ملائكة ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ وأهل الذكر: هم أهل العلم بهذا الأمر، فاسألوهم إن كنتم لا تعلمون أن رسل الله كانوا من البشر.

٨ ﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام...﴾ فالأنبياء كذلك لا يستغنون عن الطعام والشراب ﴿وما كانوا خالدين﴾ بل يموتون.

٩ ﴿ثم صدقناهم الوعد...﴾ وهى أيضا سنته تعالى فى إنجائهم ومن معهم ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ وإهلاك المسرفين الظالمين المكذبين.

فهى كذلك سنة جارية، كسنة اختيارهم، وهذه السنة يخوف الله بها المشركين:

١٠ ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا...﴾ يعنى القرآن ﴿فيه ذكركم﴾ أى: فيه شرفكم ﴿أفلا تعقلون﴾ أن الأمر كذلك فتؤمنون به تحصيلاً لذلك الفضل. أن معجزة القرآن معجزة مفتوحة للأجيال، وليست كالخوارق المادية التى تنقضى فى جيل واحد، ولا يتأثر بها إلا الذين يرونها من ذلك الجيل.

معاني الكلمات:

مُحدث : تنزيله بالوحى

وأسروا النجوى : بالغوا فى إخفاء تناجيهم

فيه ذكركم : موعظتكم، أو شرفكم وصيتكم.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوا ءَالِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

١١ ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة...﴾ والقصم: الهلاك، فالدمار يحل بالديار ﴿وأنشأنا بعدها قوما آخرين﴾ أى قومًا ليسوا منهم.
وننظر فنشهد حركة القوم في تلك القرى وبأس الله يأخذهم:

١٢ ﴿فلما أحسوا بأسنا...﴾ فرأوا عذابنا ﴿إذا هم منها يركضون﴾ يسارعون بالخروج من القرية ركضا وعدوا، وقد تبين لهم أنهم مأخوذون ببأس الله فقيل لهم:

١٣ ﴿لا تركضوا...﴾ لا تهربوا ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾ أى: إلى نعمكم التى كانت سبب بطركم وكفركم ﴿ومساكنكم﴾ وارجعوا إلى مساكنكم التى كنتم تسكنونها وتفتخرون بها ﴿لعلكم تسألون﴾ وهذا على طريقة التهكم والتوبيخ لهم.

١٤ ﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ اعترفوا على أنفسهم ولكن ماذا يجديهم الاعتراف حينئذ؟ ولكن فات الأوان.

١٥ ﴿فما زالت تلك دعواهم...﴾ أى: يدعون بها ويرددونها ﴿حتى جعلناهم حصيدا﴾ كما يحصد الزرع بالمنجل ﴿خامدين﴾ ميتون لا حراك بهم. وكان منذ لحظة يموج بالحركة.

١٦ ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ لم نخلقها عبثا ولا باطلا.

١٧ ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا...﴾ قيل: اللهوا الزوجة والولد ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ من عندنا ومن جهة قدرتنا لا من عندكم ﴿إن كنا فاعلين﴾ بل كل أفعالنا حق لا عبث فيه.

١٨ ﴿بل نقذف بالحق على الباطل...﴾ وكأنما الحق قذيفة فى يد القدرة، تقذف به على الباطل، فيشق دماغه ﴿فيدمغه﴾ فإذا هو هالك ذاهب ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ أى: العذاب فى الآخرة بسبب وصفكم لله بما يتقدس عنه.

١٩ ﴿وله من في السموات والأرض...﴾ وهذا عرض لنموذج من نماذج الطاعة والعبادة، فهم كلهم عبيدًا وملكًا ﴿ومن عنده﴾ يعنى: الملائكة ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ لا يتعاظمون ولا يأنفون عن عبادة الله سبحانه والتذلل له ﴿ولا يستحسرون﴾ أى: لا يتعبون.

٢٠ ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ لا يضعفون عن ذلك ولا يسأمون.

٢١ ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض...﴾ فليس الأمر كذلك فإن ما اتخذوها آلهة بمعزل عن ذلك لا تستطيع إحياء أحد ولا إماتة أحد.

٢٢ ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا...﴾ أى: لبطلتا ووجه الفساد أن ذلك يستلزم أن يكون كل واحد منهما قادر على الاستبداد بالتصرف، فيقع عند ذلك التنازع والاختلاف، ويحدث بسببه الفساد.

٢٣ ﴿لا يسأل عما يفعل...﴾ لقوة سلطانه وعظيم جلاله ﴿وهم﴾ العباد ﴿يسألون﴾ عما يفعلون.

٢٤ ﴿قل هاتوا برهانكم...﴾ على دعوي أنها آلهة ﴿هذا ذكر من معي وذكر من قبلي﴾ فانظروا هل فى واحد منها أن الله أمر باتخاذ إله سواه ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق﴾ لكونهم جاهلين للحق ﴿فهم معرضون﴾ عن قبول الحق.

٢٥ ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا...﴾ وفى هذا تقرير لأمر التوحيد.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ
إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ
بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم
بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ
﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ
جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا
مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ
رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ
يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ
آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ
الْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ
الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

ثم يعرض السياق لدعوى المشركين من العرب أن لله ولدا:

٢٦ ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا...﴾ هؤلاء القائلون من مشركى العرب فى صورة بنوة الملائكة لله. وعند مشركى اليهود فى صورة بنوة العزير لله. وعند مشركى النصارى فى صورة بنوة المسيح لله. وكلها من انحرافات الجاهلية ﴿سبحانه﴾ تنزيها له عن ذلك ﴿بل عباد مكرمون﴾ مكرمون بكرامته لهم مقربون عنده وهم الملائكة.

٢٧ ﴿لا يسبقونه بالقول...﴾ أى: لا يقولون شيئا حتى يقول، أو يأمرهم به ﴿وهم بأمره يعملون﴾ عاملون بما يأمرهم الله به.

٢٨ ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم...﴾

﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ أن يشفع الشافعون له، وهو رضا الله تعالى عنه، وهم أهل لا إله إلا الله ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ يخشونه حق خشيته لا يزالون منه خائفين.

٢٩ ﴿ومن يقل منهم إنى إله من دونه...﴾ أى: من الملائكة ﴿فذلك نجزيه جهنم﴾ كما نجزى غيره من المجرمين.

٣٠ ﴿أو لم ير الذين كفروا...﴾ ألم يعلموا ولم يتفكروا ﴿أن السموات والأرض كانتا رتقا﴾ أى كانت السموات واحدة ففتقت، وكانت الأرضون أرض واحدة ففتقت، ﴿ففتقناهما﴾ أى: فصلنا بعضهما من بعض ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾ والمعنى: أن الماء سبب حياة كل شئ حى فى الأرض ﴿أفلا يؤمنون﴾ مع وجود ما يقتضيه من الآيات الربانية.

٣١ ﴿وجعلنا فى الأرض رواسى...﴾ جبالا ثوابت ﴿أن تميد بهم﴾ لئلا تتحرك وتضطرب بهم ﴿وجعلنا فيها﴾ أى: فى الرواسى، أو فى الأرض ﴿فجاجا﴾ هى المسالك، وقال الزجاج: كل مخترق بين جبلين فهو فج ﴿سبلا﴾ طرقا نافذة ﴿لعلهم يهتدون﴾ إلى مصالح معاشهم.

٣٢ ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا...﴾ قيل: محفوظا بالنجوم من الشيطان ﴿وهم عن آياتها معرضون﴾ آياتها كالشمس والقمر ونحوهما لا يتدبرون فيها.

٣٣ ﴿وهو الذى خلق الليل والنهار...﴾ أى هذا فى ظلامه وسكونه وهذا بضيائه وأنسه ﴿كل فى فلك يسبحون﴾ أى يدورون. فهو يسير في فلكه كالسابح فى الماء.

٣٤ ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد...﴾ أى: دوام البقاء في الدنيا ﴿أفإن مت﴾ بأجلك المحتوم ﴿فهم الخالدون﴾ أى: إن مت فهم يموتون أيضا، لا شماتة فى الموت.

٣٥ ﴿كل نفس ذائقة الموت...﴾ أنه الموت نهاية كل حى، وعاقبة المطاف للرحلة القصيرة على الأرض. ﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ عن ابن عباس قال: نختبركم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال، أى لننظر كيف شكركم وصبركم ﴿وإلينا ترجعون﴾ لا إلى غيرنا فنجازيكم بأعمالكم.

وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

الدرس الثانى:

(استقبال المشركين للرسول ﷺ)

من الآية (٣٦) إلى الآية (٤٧)

مدة الحفظ: يوم واحد.

٣٦ ﴿وإذا رآك الذين كفروا...﴾

يعنى: المستهزئين من المشركين ﴿إن يتخذونك إلا هزوا﴾ سخرية ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ أى: يعيب آلهتكم ﴿وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾ فهم أحق بالعيب لهم، لأنهم كافرون بتوحيد الله.

ثم هم يستعجلون بما ينذرهم به الرسول ﷺ:

٣٧ ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ طبيعته التعجل فى الأمور ﴿سأريكم آياتي﴾ أى ستحل بكم نقماتى ﴿فلا تستعجلون﴾ فإنه نازل بكم لا محالة.

٣٨ ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ صادقين فى وعدكم - والخطاب للمسلمين- أى الوعد الذى تتلونه فى القرآن، وتخبروننا به أنه من عند الله.

فها هو ذا القرآن يرسم مشهداً من عذاب الآخرة ويحذرهم ما أصاب الذين قبلهم:

٤١/٣٩ ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار﴾ ها هم أولاء تنوشهم النار من كل جانب فيحاولون أن يكفوا النار عن وجوههم وعن ظهورهم، ولكنهم لا يستطيعون ردها، ولا هم يؤخرون عنها ولا هم يمهلون إلى أجل قريب. والسنة التى لا تتخلف هى مصير المستهزئين بالرسل فهو معروف وشهدت به مصارعهم.

أم إن لهم من يرعاهم بالليل والنهار؟

٤٢ ﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن...﴾ من يحفظكم مما يريد الرحمن إنزاله بكم من عقوبات الدنيا والآخرة ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ فلا يذكرونه ولا يخطرونه ببالهم، بل يعرضون عنه والسؤال هنا للإنكار، وللتوبيخ على غفلتهم عن ذكر الله وهو الذى يكلؤهم بالليل والنهار.

ثم يعيد عليهم السؤال فى صيغة أخرى:

٤٣ ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا...﴾ المعنى: بل ألهم آلهة تمنعهم من عذابنا ﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم﴾ فهم عاجزون فكيف يستطيعون أن ينصروا غيرهم ﴿ولا هم منا يصحبون﴾ أى: ولاهم يجارون من عذابنا.

وبعد هذا الجدل التهكمى، يضرب السياق عن مجادلتهم ويكشف عن علة لجاجتهم:

٤٤ ﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم...﴾ وهم أهل مكة ﴿حتى طال عليهم العمر﴾ فاغتروا بذلك وظنوا أنهم لا يزالون كذلك ﴿أفلا يرون﴾ أى: أفلا ينظرون فيرون ﴿أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ وهذا المشهد المعروض الذى يقع كل يوم فى جانب من جنبات الأرض حيث تطوى رقعة الدولة المتغلبة وتنحسر وتتقلص: ﴿أفهم الغالبون﴾ أى: فكيف يكونون غالبين لنا بعد نقصنا لهم أرضهم من أطرافها حتى نحصرهم فى بلدهم ثم نفتحها عليك وننقض أمرهم.

معاني الكلمات:

لا يكفون: لا يمنعون ولا يدفعون

بغتة: فجأة

فتبهتهم: تحيرهم وتدهشهم

فحاق: أحاط.

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

وهنا يؤمر الرسول ﷺ أن يلقى كلمة الإنذار:

٤٥ ﴿قل إنما أنذركم بالوحي...﴾ أخوفكم وأحذركم بالقرآن وذلك شأني وما بعثني الله به ﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون﴾ فليحذروا أن يكونوا هم الصم الذين لا يسمعون.

٤٦ ﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك...﴾ أى أقل شئ من العذاب ﴿ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ فإنهم يولون ويدعون على أنفسهم بالويل والهلاك ويعترفون عليها بالظلم.

٤٧ ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة...﴾ الموازين العادلة لوزن أعمالهم فى يوم القيامة ﴿فلا تظلم نفس شيئا﴾ أى: إنها موازين عادلة عدلاً مطلقا ﴿وإن كان مثقال حبة من خردل﴾ أى إن كان العمل غاية الخفة والحقارة ﴿أتينا بها﴾ أى أحضرناهم من حيث كانت ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ نتقن الحساب فلا يفوتنا شئ.

الدرس الثالث:
(أمة الرسل)
من الآية (٤٨) إلى الآية (٩٢)
مدة الحفظ: أربعة أيام.

٤٨ ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان...﴾ وهو التوراة لأن فيها الفرق بين الحلال والحرام ﴿وضياء﴾ أى فيها الهداية ﴿وذكرا﴾ يتعظون بما فيها.

٤٩ ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب...﴾ لأن الخشية تلازم التقوى ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ خائفون وجلون.

٥٠ ذلك شأن موسى وهارون ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ ذكر لمن تذكر به، وموعظة لمن اتعظ به، كثير البركة والخير ﴿أفأنتم له منكرون﴾ أى: كيف تنكرون كونه منزلا من عند الله مع اعترافكم بأن التوراة منزلة من عنده؟

٥١ ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل...﴾ آتيناه رشده وكنا عالمين بحاله وباستعداده لحمل الأمانه.

٥٢ ﴿إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل﴾ استنكر أن يعكفوا على عبادتها فكان جوابهم وحجتهم أن:

٥٣ ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ وهو جواب يدل على التحجر العقلى.

٥٤ ﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾

وعندما واجههم إبراهيم بهذه الطلاقة فى التقدير، وبهذه الصراحة فى الحكم، راحوا يسألون:

٥٥ ﴿قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين﴾ وهو سؤال المزعزع العقيدة، الذى لا يطمئن إلى ما هو عليه فأما إبراهيم فه مستيقن واثق عارف بربه:

٥٦ ﴿قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن...﴾ أى خلقهن وأبدعهن ﴿وأنا على ذلكم﴾ على ذلك الأمر ﴿من الشاهدين﴾ أى العالمين به المبرهنين عليه.

ثم يعلن إبراهيم لمن كان يواجههم من قومه بهذا الحوار:

٥٧ ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم...﴾ قال ذلك سراً وقيل أنه سمعه رجل منهم ويبدوا أنهم كانوا مطمئنين إلى أنه لن يستطيع لألهتهم كيداً. فتركوه.

معاني الكلمات:

مشفقون: خائفون حذرون.

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

٥٨ ﴿فجعلهم جذاذا...﴾ قطعا، بتكسير تلك الأصنام ﴿إلا كبيرا لهم﴾ أى: للأصنام ﴿لعلهم إليه﴾ أى: إلى إبراهيم ﴿يرجعون﴾ فيحاجهم بما سيأتى فيحجهم.

ولكنهم لم يسألوا أنفسهم ولا كبير أصنامهم بل:

٥٩ ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا...﴾ قالوا هذه المقالة عندما رجعوا من عيدهم. عندئذ تذكر الذين سمعوا إبراهيم:

٦٠ ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ قال هذا بعضهم مجيبا للمستفهمين بأن الفتى هو إبراهيم هو الذى يعيب آلهتهم.

٦١ ﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس...﴾ ليكون ذلك حجة عليه يستحلون بها منه ما قد عزموا على أن يفعلوه به ﴿لعلهم يشهدون﴾ فيحضرون عقابه.

٦٢ ﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾ فهم ما يزالون يصرون على أنها آلهة وهى مهشمة!!

٦٣ ﴿قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ وآلهتكم واضح فى هذا الجواب الساخر ولقد هزهم هذا التهكم قد هزهم هزا.

٦٤ ﴿فرجعوا إلى أنفسهم...﴾ أى رجع بعضهم إلى بعض ﴿فقالوا إنكم أنتم الظالمون﴾ ظالمين لأنفسهم بعبادة هذه الجمادات.

٦٥ ﴿ثم نكسوا على رءوسهم...﴾ رجعوا إلى جهلهم وعنادهم ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾

ومن ثم يجبههم إبراهيم بعنف وضيق على غير عادته وهو الصبور الحليم:

٦٦/٦٧ ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ﴿٦٦﴾ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ وهى قولة يظهر فيها ضيق الصدر، وغيظ النفس.

وأخذتهم العزة بالأثم كما تأخذ الطغاة دائما:

٦٨ ﴿قالوا حرقوه﴾ أى: حرقوا إبراهيم ﴿وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾ أى: انصروها بالانتقام من هذا الذى فعل بها ما فعل.

ولكن كلمة أخرى قد قيلت.. فأبطلت كل قول:

٦٩ ﴿قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾ فكانت بردًا وسلامًا على إبراهيم... ولا نسأل كيف؟ فالذى قال للنار كونى حارقة هو الذى قال لها: كونى بردًا وسلامًا.

٧٠ ﴿وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين﴾ خسارة ما بعدها خسارة، هكذا على وجه الإطلاق.

٧١ ﴿ونجيناه ولوطا...﴾ من أرض العراق، ولوط ابن أخى إبراهيم ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ وهى أرض بيت المقدس، مباركة لكثرة خصبها وثماها وأنهارها، ولأنها معادن الأنبياء، منها بعث الله أكثر الأنبياء.

٧٢ ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة...﴾ النافلة: الزيادة، وكان سأل الله أن يهب له ولدا، فوهب له إسحاق، ثم وهب لإسحاق يعقوب من غير دعاء ﴿وكلا جعلنا صالحين﴾ وكل واحد من هؤلاء الأربعة: إبراهيم، ولوط، وإسحاق، ويعقوب جعلناه صالحًا عاملاً بطاعة الله تاركًا لمعاصيه.

معانى الكلمات:

نكسوا: رجعوا

نافلة: عطية أو زيادة عما سأل.

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

٧٣ ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا...﴾ أى: رؤساء يقتدي بهم فى الخيرات ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ أى: يفعلوا الطاعات ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ فاعلين لما تأمرهم به، تاركين مانهاهم عنه.

٧٤ ﴿ولوطا آتيناه حكما وعلما...﴾ الحكم: النبوة، والعلم المعرفة بأمر الدين ﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ وهى إتيان الفاحشة مع الذكور جهرة وبلا حياء ﴿إنهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ أى: خارجين عن طاعة الله.

٧٥ ﴿وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين﴾ ... وكأنما الرحمه مأوى وملاذ يدخل الله فيها من يشاء، فإذا هو آمن ناعم مرحوم.

٧٦ ﴿ونوحا إذ نادى من قبل...﴾ أي من قبل هؤلاء الأنبياء المذكورين، دعا الله بإهلاك الظالمين من قومه ﴿فاستجبنا له﴾ دعاءه ﴿فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ أى من الغرق بالطوفان، والمراد بأهله: المؤمنون منهم.

٧٧ ﴿ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا...﴾ منعناه من القوم أن ينالوا بشئ من الأذى ﴿إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين﴾ أى لم نترك منهم أحداً.

ثم يفصل بعض الشئ فى حلقة من قصة داود وسليمان:

٧٨ ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث...﴾ قيل زرعًا، وقيل: كرما ﴿إذ نفشت فيه﴾ أى: تفرقت وانتشرت فيه، أى: فأكلت الشجر وأتلفته ﴿غنم القوم﴾ والنفش: أن تنتشر الغنم بالليل من غير راع ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ أى: حاضرين.

٧٩ ﴿ففهمناها سليمان...﴾ كان حكم داود وحكم سليمان فى القضية اجتهاداً منهما. وكان الله حاضراً حكمهما، فألهم سليمان حكمًا أحكم، وفهمه ذلك الوجه وهو أصوب. لقد اتجه داود فى حكمه إلى مجرد التعويض لصاحب الحرث. وهذا عدل فحسب.

ولكن حكم سليمان تضمن مع العدل البناء والتعمير (يدفع الغنم إلى صاحب الحرث فينتفع بها، ويدفع الحرث إلى صاحب الغنم ليقوم عليه حتى يعود كما كان. ثم يعيد كل منهما إلى صاحبه ما تحت يده) وهذا العدل الحى الإيجابى هو فتح من الله وإلهام يهبه من يشاء.

- وكان داود قد حكم فى البداية لصاحب الحرث أن يأخذ الغنم فى مقابل حرثه- ولقد أوتى داود وسليمان كلاهما الحكمة والعلم ﴿وكلا آتينا حكما وعلما﴾ فكان قضاء سليمان الأصوب. لأنه من نبع الإلهام ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن﴾ كان إذا سبح سبحت الجبال معه ﴿والطير﴾ يسبحن معه كذلك ﴿وكنا فاعلين﴾ يعنى ما ذكر من التفهيم، وإيتاء الحكم والتسخير.

٨٠ ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم...﴾ وهى الدروع ﴿لتحصنكم من بأسكم﴾ لتقيكم من حربكم، أو من وقع السلاح فيكم ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ لهذه النعمة التى أنعمنا بها عليكم؟

٨١ ﴿ولسليمان الريح...﴾ أى: وسخرنا له الريح ﴿عاصفة﴾ أى: شديدة الهبوب ﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ وهى أرض الشام.

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

٨٢ ﴿ومن الشياطين...﴾ أى: وسخرنا من الشياطين ﴿من يغوصون له﴾ فى البحار، ويستخرجون منها ما يطلبه منهم، والغواص: الذى يغوص فى البحر على اللؤلؤ ﴿ويعملون عملا دون ذلك﴾ أى: سوى ذلك، يراد بذلك المحاريب والتماثيل، وغير ذلك مما يسخرهم فيه. وكان الله لهم حافظا ﴿وكنا لهم حافظين﴾ أى: لأعمالهم أو حافظين من أن يهربوا أو يتمنعوا.

والآن نجئ إلى الابتلاء بالضراء فى قصة أيوب -عليه السلام-

٨٣ ﴿وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر...﴾ شدة المرض فى بدنه وهلاك أهله ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ فأخبر الله سبحانه باستجابته لدعائه.

٨٤ ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر...﴾ أى: شفاه الله مما كان به ﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ قيل: تركهم الله عز وجل له، وأعطاه مثلهم فى الدنيا وقد كان مات أهله جميعا إلا إمرأته، فأحياهم الله فى أقل من طرف البصر. وقيل: ولد له ضعف الذين أماتهم الله ﴿رحمة من عندنا﴾ لرحمتنا له ﴿وذكرى للعابدين﴾ ليصبروا كما صبر. لأن العابدين معرضون للابتلاء والبلاء والأمر جد لا لعب.

بعد ذلك يشير السياق مجرد إشارة إلى إسماعيل وإدريس وذى الكفل:

٨٥ ﴿وذا الكفل...﴾ الصحيح أنه رجل من بنى إسرائيل كان لا يتورع عن شئ من المعاصى، فتاب فغفر الله له، ليس بنبى، وقال جماعة هو نبى ﴿كل من الصابرين﴾ أى كل واحد من هؤلاء من الصابرين على القيام بما كلفهم الله به.

٨٦ ﴿وأدخلناهم فى رحمتنا...﴾ أى: فى الجنة، أو فى النبوة.

٨٧ ﴿وذا النون...﴾ وهو يونس ابن متى وهو الذى أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل ﴿إذ ذهب مغاضبا﴾ أى: ذهب مغاضبا لربه، وقيل: مغاضبا لقومه ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ قيل: معناها أنه وقع فى ظنه أن الله تعالى لا يقدر على معاقبته. وقيل المعنى: ظن أن الله لن يُقَدر عليه العقوبة ﴿فنادى فى الظلمات﴾ ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وكان نداؤه: هو قوله ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين﴾ اعتراف بذنبه وتوبة من خطيئته.

٨٨ ﴿ونجيناه من الغم...﴾ بإخراجنا له من بطن الحوت، قذفه إلى الساحل ﴿وكذلك ننجى المؤمنين﴾ أى نخلصهم من همهم بما سبق من عملهم، وما أعددناه لهم من الرحمة.

٨٩ ﴿رب لا تذرنى فردا...﴾ أي: منفرداً وحيداً لا ولد لى ﴿وأنت خير الوارثين﴾ فأنت حسبى إن لم ترزقنى ولدا فإنى أعلم أنك لا تضيع دينك، وأنه سيقوم من عبادك من تختاره للتبليغ.

٩٠ ﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه...﴾ أى: امرأته، قال ابن عباس: كانت عاقراً لا تلد فولدت وقيل: كان فى لسانها طول، فأصلحها الله وفى رواية كان فى خلقها شئ فأصلحها الله.

وكانت استجابة دعاء زكريا سريعة ومباشرة. ويختصر السياق تفصيلات كثيرة ليصل مباشرة إلى هذه الاستجابة.

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

أخيراً يذكر مريم بمناسبة ذكر ابنها عليه السلام:

٩١ ﴿والتي أحصنت فرجها...﴾ وهى مريم لم يمسسها بشر فصانته من كل مباشرة ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ يريد روح عيسى ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ فهى آية فذة واحدة في تاريخ البشرية جميعاً.

٩٢ ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة...﴾ أى إن هذا دينكم دين واحد لا اختلاف بين الأمم المختلفة فى التوحيد، وهى ملة الإسلام ﴿وأنا ربكم فاعبدون﴾ خاصة، لا تعبدوا غير كائنا ما كان.

الدرس الرابع:
(الساعة، وأشراطها)
الآية من ٩٢/١١٢
مدة الحفظ: يومان.

٩٣ ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم...﴾ أى: تفرقوا فرقا فى الدين حتى صاركالقطع المتفرقة، فهذا موحد، وهذا يهودى، وهذا نصرانى ﴿كل إلينا راجعون﴾ راجع إلينا بالبعث.

٩٤ ﴿فمن يعمل من الصالحات...﴾ بعض الأعمال الصالحة ﴿وهو مؤمن﴾ بالله ورسله واليوم الآخر ﴿فلا كفران لسعيه﴾ أى: لا جحود لعمله، ولا تضييع لجزائه ﴿وإنا له كاتبون﴾ أى: لسعيه حافظون.

والجزاء على العمل يتم فى الآخرة حتى ولو قدم منه قسط فى الدنيا. فالقرى التي هلكت بعذاب الاستئصال ستعود حتما لتنال جزاءها الأخير:

٩٥ ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ فهو يؤكد رجعتها إلى الله يوم القيامة للحساب والجزاء، وهناك معان أخرى، وهى كلها صحيحة تؤكد هذا المعنى.

ثم يعرض مشهداً من مشاهد القيامة يبدؤه بالعلامة التى تدل على قرب الموعد. وهو فتح يأجوج ومأجوج:

٩٦ ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج...﴾ والمراد: فتح السدّ الذى عليهم ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ يخرجون يسرعون المشى فى الأرض. وخروجهم من علامات الساعة.

وفى المشهد المعروض هنا يبرز عنصر المفاجأة التى أبهرت المفجوئين.

٩٧ ﴿واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا...﴾ لا تطرف من الهول الذي فوجئوا به، يقولون: ﴿يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا﴾ البعث والحساب فلم نستعد له ﴿بل كنا ظالمين﴾ ظالمين بالتكذيب وعدم الانقياد للرسل.

٩٨ ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله...﴾ وهى الأصنام ﴿حصب جهنم﴾ وقود جهنم وحصبها ﴿أنتم لها واردون﴾ والمخاطبون هم مشركو مكة دون غيرهم.

٩٩ ﴿لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها...﴾ لكنهم وردوها لأنهم لم يكونوا آلهة ﴿وكل فيها خالدون﴾ لا يخرجون منها.

١٠٠ ﴿لهم فيها زفير...﴾ والزفير: صوت نفس المغموم ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ قيل: لا يسمعون شيئاً.

١٠١ ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ ﴿وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ أى: دائمون، وفى الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الْحَجِّ

١٠٢ ﴿لا يسمعون حسيسها...﴾ الحس والحسيس: الصوت تسمعه من الشئ يمر قريبا منك ﴿وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ أى: دائمون وفى الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

١٠٣ ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر...﴾ أهوال يوم القيامة ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ على أبواب الجنة يهنئونهم ويقولون لهم ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ به فى الدنيا وتبشرون بما فيه ويختم المشهد بمنظر الكون الذى آل إليه:

١٠٤ ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب...﴾ والسجل الصحيفة، أى: طيًا كطىّ الصحيفة على ما يكتب فيها ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده...﴾ بدأناهم فى بطون أمهاتهم وأخرجناهم إلى الأرض حفاةعراة، كذلك نعيدهم يوم القيامة وعدًا علينا إنجازه والوفاء به، وهو الإعادة، إنا كنا قادرين على مانشاء.

ويعود السياق لبيان سنة الله فى وراثة الأرض:

١٠٥ ﴿ولقد كتبنا في الزبور...﴾ الزبور كتاب داود، وهو كتاب المزامير ﴿من بعد الذكر﴾ هو التوراة ﴿أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ قيل: هذا تبشير لأمة محمد ﷺ بوراثة أرض الكافرين.

١٠٦ ﴿إن في هذا لبلاغا...﴾ أى: فيما جرى ذكره في هذه السورة من الوعظ والتنبيه ﴿لقوم عابدين﴾ أى: مشغولين بعبادة الله مهتمين بها، ورأس العبادة الصلاة.

١٠٧ ﴿وما أرسلناك...﴾ يا محمد بالشرائع والأحكام ﴿إلا رحمة﴾ لجميع الناس. ومعنى كونه رحمة للكفار، أنهم آمنوا به من الخسف والمسخ والاستئصال.

وهنا يؤمر الرسول ﷺ بأن يواجه المكذبين المستهزئين:

١٠٨/١٠٩ ﴿قل إنما يوحى إلي...﴾ فهل أنتم متبعون على ذلك مستسلمون منقادون له ﴿فإن تولوا﴾ أى: أعرضوا عن الإسلام ﴿فقل﴾ لهم ﴿آذنتكم على سواء﴾ أى: أعلمتكم أنا وإياكم حرب، لا صلح بيننا كما أنكم حرب لى برئ منكم كما أنتم برآء منى ﴿وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ أى هو واقع لا محالة، ولكن لا علم لى بقربه ولا ببعده. فهو غيب من غيب الله. لا يعلمه إلا الله:

١١٠ ﴿إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون﴾ فأمركم كله مكشوف له.

١١١ ﴿وإن أدري لعله فتنة لكم...﴾ واختبار ليرى كيف صنعكم ﴿ومتاع إلى حين﴾ أى: وتمتيع إلى وقت مقدر تقتضيه حكمته. فهذا الإنذار يرد القلوب إلى اليقظة، ويعذر إليها بين يدى الله قبل فوات الأوان.

وهنا يتوجه الرسول ﷺ إلى ربه وقد أدى الأمانة، وبلغ الرسالة...

١١٢ ﴿قال رب احكم بالحق...﴾ وبذلك فوض الأمر إلى الله سبحانه ﴿وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ فهو يطلب حكمه الحق بينه وبين المستهزئين الغافلين، ويستعينه على كيدهم وتكذيبهم. وهو وحده المستعان.

وبهذا المقطع القوى تختم السورة كما بدأت بذلك المطلع القوى. فيتقابل طرفاها فى إيقاع نافذ قوى مثير عميق.

سورة الحج
المشهد الأول: (نداء عام)
من ١/ ٤٢
مدة الحفظ: ٣ أيام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

يبدأ المشهد الأول بمطلع عنيف رعيب ومشهد ترتجف لهوله القلوب. يبدأ بالنداء الشامل للناس:

١ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم...﴾ احذروا عقابه فاستتروا منه بطاعته، أى بفعل الواجبات، وترك المحرمات ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ وهى الزلزلة التى هى أحد أشراطها وتكون فى الدنيا قبل يوم القيامة، هذا قول الجمهور.، وقيل: هى الزلزلة المرافقة لنفخة القيامة.

ثم يأخذ. فى التفصيل. فإذا هو أشد رهبة:

٢ ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت...﴾ وذلك من شدة الهول ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ لنفس السبب أيضا ﴿وترى الناس سكارى﴾ أى كأنهم سكارى ﴿وما هم بسكارى﴾ حقيقة ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ ولذلك طاشت العقول، واضطربت الأفهام، فصاروا كالسكارى.

وهنالك من يتطاول فيجادل فى الله!!!

٣ ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم...﴾ فيزعم أنه قادر على البعث، بغير علم يعلمه ﴿ويتبع﴾ فيما يقوله ﴿كل شيطان مريد﴾ أى متمرد على الله.

٤ ﴿كتب عليه أنه من تولاه...﴾ فاتخذه وليا ﴿فأنه يضله﴾ أى: فشأن الشيطان أن يضله عن طريق الحق ﴿ويهديه إلى عذاب السعير﴾ يحمله على ما يصير به فى عذاب السعير.

٥ ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث...﴾ إن كان لديكم شك فانظروا فى أنفسكم ﴿فإنا خلقناكم من تراب﴾ فى ضمن خلق أبيكم آدم ﴿ثم﴾ خلقناكم ﴿من نطفة﴾ أى: من منىً ﴿ثم من علقة﴾ العلقة: الدم الجامد المتكون من المنى ﴿ثم من مضغة﴾ وهى: القطعة من اللحم تتكون من العلقة ﴿مخلقة﴾ مستبينة الخلق ظاهرة التصوير ﴿وغير مخلقة﴾ وهو طور قبل التخليق تكون المضغة فيه لم يستبن خلقها ﴿لنبين لكم﴾ كمال قدرتنا بتصريفنا أطوار خلقكم ﴿ونقر في الأرحام ما نشاء﴾ فلا يكون سقطا، أى: ونسقط بعضها فلا يتم حمله ﴿إلى أجل﴾ وهو وقت الولادة ﴿مسمى﴾ أى: محدد معين قدّره الله، وهو تسعة أشهر للمرأة، ولكل جنس من الحيوان أجل للحمل محدد ﴿ثم نخرجكم طفلا﴾ أي نخرجكم من بطون أمهاتكم ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ والأشد: هو كمال العقل، وكمال القوة والتمييز، قيل: وهو مابين الثلاثين إلى الأربعين ﴿ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ أى أخسه وأدونه، وهو الهرم والخرف حتى لا يعقل ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئا﴾ يصير -من بعد أن كان ذا علم- ليس له علم ولا فهم ﴿وترى الأرض هامدة﴾ لا تنبت شيئا ميتة يابسة كالنار إذا طفئت ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء﴾ ماء المطر ﴿اهتزت﴾ اهتز نباتها لكثرة قوته ﴿وربت﴾ ارتفعت، وقيل: انتفخت ﴿وأنبتت﴾ أى أخرجت ﴿من كل زوج بهيج﴾ أى: من كل صنف حسن، ولو مستحسن، والبهجة: الحسن.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ (٧) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ (٨) ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (٩) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (١٠) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ (١١) يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ (١٣) إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤) مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ (١٥)

٦ ﴿ذلك بأن الله هو الحق...﴾ الموجود الذى لا يتغير ولا يزول ﴿وأنه يحيى الموتى﴾ كما أحيا الأرض الهامدة ﴿وأنه على كل شيء قدير﴾ كما قدر على عجائب إحياء النبات.

٧ ﴿وأن الساعة آتية...﴾ أى: فى مستقبل الزمان ﴿لا ريب فيها﴾ لا شك فيها ولا تردد ﴿وأن الله يبعث من في القبور﴾ فيجازيهم بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

٨ ﴿ومن الناس من يجادل في الله﴾ أى: فى شأن الله. وهى فى كل من يتصدى لإغواء الناس وإضلالهم عن شرائعه الواضحة ﴿ولا كتاب منير﴾ البين الواضح.

٩ ﴿ثاني عطفه...﴾ عطف الرجل: جانباه من يمين وشمال، والمراد به: من يلوى عنقه مرحًا وتكبرًا ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ أى إن غرضه هو الإضلال عن السبيل ﴿له في الدنيا خزي﴾ الخزى: الذل ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ أى: عذاب النار المحرقة.

١٠ ﴿ذلك...﴾ العذاب ﴿بما قدمت يداك﴾ من الكفر والمعاصى ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ فلا يعذب عباده بغير ذنب.

ويمضى السياق إلى نموذج آخر من الناس:

١١ ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف...﴾ شاكٌ فى دينه على غير ثبات وطمأنينة كالذى هو على حرف الجبل يضطرب اضطرابًا ﴿فإن أصابه خير﴾ خير دنيوى من رخاء وعافية وخصب وكثرة مال ﴿اطمأن به﴾ ثبت على دينه واستمر على عبادته ﴿وإن أصابته فتنة﴾ مكروه فى أهله، أو ماله، أو نفسه ﴿انقلب على وجهه﴾ أى: ارتد ورجع إلى الكفر ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ فلا حظ له مما أعده الله للصالحين من عباده ﴿ذلك﴾ خسران الدنيا والآخرة ﴿هو الخسران المبين﴾ الواضح.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ قال المفسرون: نزلت فى أعراب كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدنية مهاجرين فإن أصاب الواحد منهم خير فى جسمه وكثرت أمواله وأولاده قال خيرًا، وإن أصابه وجع المدينه وذهب ماله وتأخرت عنه الصدقة قال: شرًا وينقلب على دينه. فأنزل الله الآية.

١٢ ﴿يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه...﴾ لأنه جماد لا يقدر على ضر ولا نفع ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ عن الحق والرشد، وقيل: البعيد الطويل.

١٣ ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه...﴾ فالأصنام لا نفع فيها بحال من الأحوال، بل هى ضرر بحت لمن يعبدها ﴿لبئس المولى ولبئس العشير﴾ فبئس الناصر هو له، وبئس الصاحب.

١٤ ﴿إن الله يفعل ما يريد﴾ فيثيب من يشاء ويعذب من يشاء.

أما من يفقد ثقته فى نصر الله فى الدنيا والآخرة فليفعل بنفسه ما يشاء...

١٥ ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة...﴾ من كان يظن أن لن ينصر الله محمد ﷺ ﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾ أى حيلة يصل بها إلى السماء ﴿ثم ليقطع﴾ أى ثم ليقطع النصر إن تهيأ له ﴿فلينظر هل يذهبن كيده﴾ وحيلته ﴿ما يغيظ﴾ من نصر الله للنبى ﷺ.

وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد (١٦) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد (١٧) ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء (١٨) ۩ هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم (١٩) يصهر به ما في بطونهم والجلود (٢٠) ولهم مقامع من حديد (٢١) كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق (٢٢) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٢٣)

بمثل هذا البيان لحالات الهدى والضلال، أنزل الله هذا القرآن ليهتدى به من يفتح له قلبه:

١٦ ﴿وكذلك أنزلناه آيات بينات...﴾ واضحات ظاهرة الدلالة على مدلولاتها ﴿وأن الله يهدي من يريد﴾ من يريد هدايته ابتداء، أو زيادة فيها لمن كان مهديا من قبل فأما الفرق المختلفة فى الاعتقاد فأمرها إلى الله :

١٧ ﴿إن الذين آمنوا...﴾ أى بالله وبرسوله وهم المسلمون ﴿والذين هادوا﴾ وهم اليهود المتنسبون إلى ملة موسى ﴿والصابئين﴾ فرقة معروفة لا ترجع إلى ملة من الملل المتنسبة إلى الأنبياء ﴿والنصارى﴾ هم المتنسبون إلى ملة عيسى ﴿والمجوس﴾ هم الذين يعبدون النار ﴿والذين أشركوا﴾ الذين يعبدون الأصنام ﴿إن الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾ يقضي بينهم ﴿إن الله على كل شيء شهيد﴾ لا يعزب عنه شئ من أفعال خلقه وأقوالهم وهو عليها شهيد.

والكون كله -فيما عداهم- يسجد لوجه الله:

١٨ ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات...﴾ وهم الملائكة ﴿ومن في الأرض﴾ من مؤمنى الإنس والجن والمراد بالسجود هنا: سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء ﴿والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾ وسجودها سجود الانقياد الكامل ﴿وكثير من الناس﴾ أى: ويسجد له كثير من الناس سجود الطاعة ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ أى: وكثير منهم يأبى ذلك فحق عليه العذاب ﴿ومن يهن الله﴾ أى: من أهانه الله بأن جعله كافراً شقيا ﴿فما له من مكرم﴾ يكرمه ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾ من الأشياء التى من جملتها الإكرام والإهانة.

ثم مشهد من مشاهد القيامة يتجلى فيه الإكرام والهوان:

١٩ ﴿هذان خصمان...﴾ أحدهما: اليهود والنصارى والصائبون، والخصم الآخر المسلمون، فهما فريقان مختصمان ﴿اختصموا في ربهم﴾ فى شأن ربهم أو فى ذاته، أو فى صفاته ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار﴾ سويت وجعلت لبوسًا لهم ﴿يصب من فوق رءوسهم الحميم﴾ والحميم: هو الماء الحار المغلى بنار جهنم.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ عن على قال: فينا نزلت هذه الآية وفي مبارزتنا يوم بدر.

٢٠ ﴿يصهر به ما في بطونهم...﴾ كما يصهر الحديد والنحاس والمعنى أن يذاب بذلك الحميم ما فى بطونهم من الأمعاء والأحشاء ﴿والجلود﴾ أى ويصهر به الجلود.

٢١ ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ المقامع: قطع من الحديد مهيأة للضرب بها.

٢٢ ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها...﴾ أى من النار ﴿من غم﴾ لأجل غم شديد من غموم النار ﴿أعيدوا فيها﴾ أى فى النار ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ أى أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق.

٢٣ ﴿يحلون فيها...﴾ أى يحليهم الله. أو الملائكة بأمره ﴿ولؤلؤا﴾ يحلون لؤلؤا ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ وهو ما كان محرمًا عليهم فى الدنيا حلال فى الآخرة.

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

٢٤ ﴿وهدوا إلى الطيب من القول...﴾ أى أرشدوا إليه ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ وهو الإسلام.

المشهد الثانى:

(بناء البيت، وشعائر الحج)

الآيات من ٢٤/٤١

مدة الحفظ: ٣ أيام.

يبدأ هذا المشهد بالحديث عن المشركين من قريش:

٢٥ ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله...﴾ أى: يمنعون من أراد الدخول فى دين الله وهو الإسلام. ﴿و﴾ يصدون عن ﴿المسجد الحرام﴾ قيل: المراد به المسجد نفسه، وقيل: الحرم كله، وقيل: المراد به مكه ﴿الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد﴾ والعاكف، وهو المقيم فيه الملازم له، والبادى: أي الواصل من البادية ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ الإلحاد: الميل عن الحق، وقيل: هو الشرك والقتل.

٢٦ ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم...﴾ بينا له ﴿مكان البيت﴾ ليبنيه للعبادة وأنزلناه فيه ﴿أن لا تشرك بي شيئا﴾ فللتوحيد أقيم هذا البيت منذ أول لحظة. وليطهره من الشرك وعبادة الأوثان لهؤلاء الطائفين بالبيت والقائمين فيه للصلاة والراكعين الساجدين.

ثم أمر الله إبراهيم -عليه السلام- إذا فرغ من إقامته أن يؤذن فى الناس بالحج:

٢٧ ﴿وأذن في الناس بالحج...﴾ وأن يدعوهم إلى بيت الله الحرام ووعده أن يلبى الناس دعوته من كل فج، رجالاً يسعون على أقدامهم ﴿وعلى كل ضامر﴾ الضامر البعير المهزول الذى أتعبه السفر ﴿يأتين﴾ أى: تأتى الإبل بالركبان للحج ﴿من كل فج عميق﴾ أى بعيد.

ويقف السياق عند بعض معالم الحج وغاياته:

٢٨ ﴿ليشهدوا منافع لهم...﴾ قيل: المراد بها المناسك، وقيل: التجارة والذبائح ﴿ويذكروا اسم الله...﴾ عند ذبح الهدايا والضحايا. والأيام المعدودات هى أيام النحر ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ وهى الإبل والبقر والغنم ﴿فكلوا منها﴾ فيسن الأكل من الهدى والأضحية. وقيل: يجب ﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ البؤس: شدة الفقر فينبغى إطعام الفقراء من الهدى.

٢٩ ﴿ثم ليقضوا تفثهم...﴾ أى: ليؤدوا إزالة وسخهم من طول الشعر والأظفار وذلك يوم العيد ﴿وليوفوا نذورهم﴾ التى نذروها من الذبائح من غير الهدى الذى هو من أركان الحج ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ وهذا الطواف هو طواف الإفاضة.

وسمى العتيق: لأن الله أعتقه من أن يتسلط عليه جبار، وقيل العتيق: الكريم.

٣٠ ﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه...﴾ الحرمات: ما وجب القيام به، وحرم التفريط فيه، فى الحج وغيره. وهذا التعظيم خير له فى الآخرة من التهاون بشئ منها ﴿وأحلت لكم الأنعام﴾ وهى الإبل والبقر والغنم ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ من المحرمات، وهى الميتة وما ذكر معها في سورة المائدة ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ الرجس: النجس ولا تزول نجاسة الشرك عن المشرك إلا بالإيمان كما أنها لا تزول النجاسة الحسية إلا بالماء ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ الباطل، والشرك بالله بأى لفظ كان.

حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من
السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق
﴿٣١﴾ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب
﴿٣٢﴾ لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت
العتيق ﴿٣٣﴾ ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم
الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد
فله أسلموا وبشر المخبتين ﴿٣٤﴾ الذين إذا ذكر الله وجلت
قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما
رزقناهم ينفقون ﴿٣٥﴾ والبدن جعلناها لكم من شعائر
الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت
جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها
لكم لعلكم تشكرون ﴿٣٦﴾ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا
الله على ما هداكم وبشر المحسنين ﴿٣٧﴾ إن الله
يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور ﴿٣٨﴾

٣١ ﴿حُنفاء لله...﴾ مائلين إليه - عن كل ما يعبد من دونه- ﴿غير مشركين به﴾ شيئا من الأشياء ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء﴾ سقط إلى الأرض ﴿فتخطفه الطير﴾ تخطف لحمه وتقطعه بمخالبها ﴿أو تهوي به الريح﴾ أي تقذفه وترمى به ﴿في مكان سحيق﴾ أى بعيد فى هوة ليس لها قرار.

٣٣ ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله...﴾ أعلام دينه، ويدخل الهدى فى الحج ومناسك الحج ومشاعره كلها في ذلك، وتدخل المساجد والعبادات أيضا ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ أى: فإن تعظيمها من تقوى القلوب.

وهذه الذبائح إنما يوجهها الإسلام إلى الله وحده.

٣٤ ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا...﴾ عيدا أو مكانا لذبح القرابين لله ﴿ليذكروا اسم الله﴾ وحده ويجعلوا نسكهم خاصا به ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أى: على ذبح ما رزقهم منها ﴿فإلهكم إله واحد﴾ هو الذى أنزل الديانات السماوية جميعا ﴿فله أسلموا﴾ بالانقياد لطاعته وعبادته ﴿وبشر المخبتين﴾ أى: المتواضعين الخاشعين المخلصين. بشرهم بما أعد الله لهم من جزيل ثوابه وجليل عطائه.

٣٥ ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم...﴾ أى: خافت أشد الخوف ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلايا والمحن فى طاعة الله ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أى: يتصدقون به وينفقونه فى وجوه البر، ويضعونه فى مواضع الخير.

ثم يبين شعائر الحج بنحر البدن:

٣٦ ﴿والبدن...﴾ هى الإبل المهداة إلى البيت، واختلفوا فى صحة إطلاق البدنة على البقرة ﴿لكم فيها خير﴾ أى: منافع دينية ودنيوية ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ أى: على نحرها ﴿صواف﴾ أى قائمة قد صفت أقدامها. والإبل تنحر قائمة على ثلاث معقولة الرجل الرابعة ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ واطمأنت على الأرض وسقطت بعد نحرها، وذلك عند خروج روحها ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾ القانع: الذى يرضى بما عنده ولا يسأل. والمعتّر: الذى يتعرض لك لتعطيه ﴿كذلك سخرناها لكم﴾ فصارت تنقاد لكم إلى مواضع نحرها، فتنحرونها وتنتفعون بها، بعد أن كانت مسخرة للحمل عليها والركوب على ظهرها والحلب لها، ونحو ذلك ﴿لعلكم تشكرون﴾ هذه النعمة التى أنعم الله بها.

﴿لن ينال الله لحومها...﴾ فإن اللحوم والدماء لا تصل إلى الله سبحانه. إنما تصل إليه تقوى القلوب ﴿كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم﴾ فقد هداكم إلى توحيده والاتجاه إليه ﴿وبشر المحسنين﴾ الذين يحسنون الصلة بالله.

وهكذا لا يخطوا المسلم فى حياته خطوة، ولا يتحرك فى ليله أو نهاره حركه، إلا وهو ينظر فيها إلى الله

٣٨ ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا...﴾ إن قوى الشر تعمل فى الأرض، والمعركة مستمرة بين الخير والشر والهدى والضلال والصراع قائم منذ أن خلق الله الإنسان.

وقبل أن يأذن الله للمؤمنين بالقتال آذنهم أنه هو سيتولى الدفاع عنهم فهم فى حمايته. وأنه يكره أعداءهم لكفرهم وخيانتهم ﴿إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

٣٩ ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا...﴾ والله سبحانه قد ضمن للمؤمنين الدفاع عنهم... ففيم إذنَ أذنَ لهم بالقتال؟ والجواب أن حكمة الله في هذا هى العليا.. فلقد شاء سبحانه أن يتم النصر عن طريقهم هم أنفسهم وأيضا لأن النصر السريع الهين سهل فقدانه وضياعه.

٤٠ ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق...﴾ المراد بالديار مكة ﴿إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ أى: لكن أخرجوا منها لقولهم ربنا الله ﴿ولولا دفع الله الناس﴾ لهدمت فى زمن موسى الكنائس، وفى زمن عيسى الصوامع والبيع، وفى زمن محمد ﷺ المساجد ﴿يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ أى فقاتلوا لإقامة ذكر الله ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ والمراد بمن ينصر الله: من ينصر دينه وأولياءه.

٤١ ﴿الذين إن مكناهم في الأرض..﴾ فحققنا لهم النصر، وثبتنا لهم الأمر.. ﴿أقاموا الصلاة﴾ فعبدوا الله ووثقوا صلتهم به واتجهوا إليه طائعين خاضعين مستسلمين ﴿وآتوا الزكاة﴾.. فأدوا حق المال، وانتصروا على شح النفس ﴿وأمروا بالمعروف﴾.. فدعوا إلى الخير والصلاح، ودفعوا إليه الناس.. ﴿ونهوا عن المنكر﴾.. فقاوموا الشر والفساد ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ أى مرجعها إلى حكمه.

المشهد الثالث:

(سنة الله فى الدعوات)

من الآية ٤٢/٥٧

مدة الحفظ: يومان

٤٢/٤٤ ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم...﴾ تسلية لرسول الله ﷺ وتعزية له، متضمنة للوعد له بإهلاك المكذبين له من الملأ من قريش ﴿قوم نوح وعاد وثمود ﴿٤٢﴾ وقوم إبراهيم وقوم لوط﴾ فهى سنة مطردة فى الرسالات كلها، قبل الرسالة الأخيرة أن يجئ الرسل بالآيات فيكذب بها المكذبون، فليس الرسول ﷺ بدعًا من الرسل حين يكذبه المشركون. والعاقبة معروفة.

ويفرد موسى بفقرة خاصة ﴿وكذب موسى﴾ وهنا يأتى سؤال للتهويل ﴿فكيف كان نكير﴾، والجواب معروف. فهو نكير مخيف! نكير الطوفان والخسف والتدمير والهلاك والزلازل والعواصف والترويع.

بعد ذلك يعمم فى عرض مصارع الغابرين:

٤٥ ﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة...﴾ فهي كثيرة تلك القرى المهلكة بظلمها ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ والعروش السقوف فإذا تهدم البنيان خرت العروش وسقط فوقها البنيان: ثم إلى جوارها الآبار المعطلة المهجورة والقصور المشيدة وهى خالية من السكان موحشة من الأحياء.

وبعد عرض هذه المشاهد يسأل فى استنكار.

٤٦ ﴿أفلم يسيروا في الأرض...﴾ إن مصارع الغابرين حيالهم شاخصة موحية، تتحدث بالعبر، وتنطق بالعظات ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ فتدرك ما وراء هذه الآثار ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ فتسمع أحاديث الأحياء عن تلك الدور المهدمة والآبار المعطلة والقصور الموحشة.

﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ أى: ليس الخلل في مشاعرهم ولكن فى عقولهم التى لا تدرك مواطن الحق ومواضع الاعتبار.

ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما
عند ربك كألف سنة مما تعدون (٤٧) وكأين من
قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير
(٤٨) قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين (٤٩) فالذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم (٥٠)
والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم
(٥١) وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى
ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان
ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم (٥٢) ليجعل
ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية
قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد (٥٣) وليعلم
الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به
فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط
مستقيم (٥٤) ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى
تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم (٥٥)

وبدلاً من التأمل فى تلك المصارع.. راحوا يستعجلون بالعذاب الذى أخره الله عنهم:

٤٧ ﴿ ويستعجلونك بالعذاب... ﴾ لأنهم كانوا منكرين لمجيئه أشد إنكار فاستعجالهم على طريقة الاستهزاء ﴿ ولن يخلف الله وعده ﴾ فمجيئه حتمى ﴿ وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ أى: إن المدة القصيرة عنده كالمدة الطويلة، فاليوم الواحد وألف سنة بالنسبة إلى قدرته سواء. ولذلك يمهلهم.

٤٨ ﴿ وكأين من قرية أمليت لها... ﴾ ولقد أملى الله للكثير من تلك القرى الهالكة فلم يكن هذا الإملاء منجيًا لها من المصير المحتوم والسنة المطردة فى هلاك الظالمين ﴿ ثم أخذتها وإلي المصير ﴾ أى أخذتهم بالعذاب ومرجع الكل إلى حكمى.

ثم يلتفت السياق بالخطاب إلى رسول الله ﷺ:

٤٩ ﴿ قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين ﴾ فيحدُد السياق وظيفة الرسول... ثم يأخذ فى تفصيل المصير:

٥٠ ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات... ﴾ فجزاؤهم ﴿ لهم مغفرة ﴾ لما سلف من ذنوبهم أو تقصيرهم ﴿ ورزق كريم ﴾ غير متهم ولا مهين.

٥١ ﴿ والذين سعوا في آياتنا... ﴾ وبذلوا غاية جهدهم فى تعطيل آيات الله عن أن تبلغ القلوب... هؤلاء فقد جعلهم مالكن للجحيم ويا لسوئها ملكية فى مقابل ذلك الرزق الكريم ﴿ أولئك أصحاب الجحيم ﴾.

والله يحفظ دعوته من كيد الشيطان أيضا:

٥٢/٥٣ ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته... ﴾ أى: فى تلاوته وقراءته، أى أن الشيطان أوقع فى مسامع المشركين ذلك من دون أن يتكلم به رسول الله ﷺ ولا جرى على لسانه أى لا يهولنك ذلك ولا يحزنك، فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء ﴿ فينسخ الله ما يلقي الشيطان ﴾ اى يبطله ويجعله ذاهبًا غير ثابت ﴿ ثم يحكم الله آياته ﴾ أى: يثبتها ﴿ والله عليم حكيم ﴾ أى: كثير العلم والحكمة فى كل أقواله وأفعاله ﴿ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة ﴾ أى: ذلك الإلقاء الذى يلقيه الشيطان فتنة، أى: ضلالة ﴿ للذين في قلوبهم مرض ﴾ أى شك ونفاق ﴿ والقاسية قلوبهم ﴾ هم المشركون ﴿ وإن الظالمين لفي شقاق بعيد ﴾ أى: عداوة شديدة.

٥٤ ﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك... ﴾ وليتحقق العارفون أن هذا القرآن هو الحق من ربك لأن تعرض الشيطان له بالدس فيه سنة عامة جرت لجميع الرسل السابقين.

٥٥ ﴿ ولا يزال الذين كفروا في مرية منه ﴾ أى فى شك منه حتى تباغتهم القيامة أو يأتيهم عذاب يوم يهلك الناس فيه، فتصير النساء كالعقم، أى كأنهن لم يلدن ﴿ حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم ﴾ إن هذا اليوم لا يعقب... إنه اليوم الأخير. إنه يوم القيامة. وقيل: لأن لا رحمة لهم فيه فلا يأتيهم بخير، وقيل: هو يوم حرب يقتلون فيه، كيوم بدر.

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟
لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ
ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى
ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ
﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

٥٧/٥٦ ﴿الملك يومئذ لله﴾ أى السلطان القاهر والاستيلاء التام لله وحده ﴿يحكم بينهم﴾ بين الناس فالذين آمنوا فى جنات النعيم، والكافرون المكذبون لآيات الله فى عذاب مهين.

المشهد الرابع:
(وعد الله الحق)
من الآية ٧٨/٥٨
مدة الحفظ: يومان.

يبدأ هذا الدرس بالحديث عن المهاجرين بعدما سبق الإذن لهم بالقتال ويبين ما أعده لهم من عوض عما تركوا من ديار وأموال:

٥٨ ﴿والذين هاجروا في سبيل الله...﴾ لا فى سبيل منافعهم الذاتية ثم قتلوا فى جهاد العدو أو ماتوا بانقضاء آجالهم علي فراشهم، ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا هو الجنة ونعيمها وإن الله لهو خير الرازقين فإنه يرزق بغير حساب.

٥٩ ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونه...﴾ إذ يجدون ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ﴿وإن الله لعليم﴾ بدرجات العاملين ﴿حليم﴾ عن تفريط المفرطين منهم لا يعاجلهم بالعقوبة.

فأما الذين يقع عليهم العدوان من البشر:

٦٠ ﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به...﴾ أى اقتص من الجانى بمثل ما جنى عليه ولم يزد فى العقوبه، ثم جُنى عليه ثانية ﴿لينصرنه الله﴾ لا محالة، أن الله كثير العفو والغفران للمؤمنين.

بعد ذلك يربط السياق بين وعد الله وسننه الكونية الكبرى:

٦١ ﴿ذلك بأن الله يولج الليل في النهار...﴾ والسياق يوجه النظر إلى تلك الظاهرة الكونية المكرورة التي يمر عليها الناس غافلين، وكذلك نصر الله لمن يقع عليه البغى وهو يدفع عن نفسه العدوان... إنه سنة مطردة كسنة إيلاج الليل فى النهار وإيلاج النهار في الليل.

ذلك مرتبط بأن الله هو الحق. فالحق هو المسيطر على نظام الكون:

٦٢ ﴿ذلك بأن الله هو الحق...﴾ فدينه حق، وعبادته، ونصره لأوليائه على أعدائه حق، ووعده حق، ﴿وأن ما يدعون من دونه﴾ وهى الأصنام ﴿هو الباطل﴾ لا ثبوت له ولا لكونه إلها ﴿وأن الله هو العلي﴾ أى: العالى على كل شئ، المتقدس عن الأشباه والأنداد ﴿الكبير﴾ أى: ذو الكبرياء والعظمة والجلال وذلك ضمان كاف لا نتصار الحق على العدل.

ويستطرد السياق فى استعراض دلائل القدرة فى مشاهد الكون:

٦٣ ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة...﴾ بما ينبت فيها من النبات ﴿إن الله لطيف﴾ يصل علمه إلى كل دقيق وجليل ﴿خبير﴾ بتدبير عباده وما يصلح لهم.

٦٤ ﴿له ما في السموات وما في الأرض...﴾ خلقًا وملكًا وتصرفًا، وكلهم محتاجون إلى رزقه ﴿وإن الله لهو الغني﴾ فلا يحتاج إلى شئ ﴿الحميد﴾ المستوجب للحمد فى كل حال والمستوجب للحمد فى كل لسان.

معاني الكلمات:

مدخلا: الجنة أو درجات رفيعة فيها
ثم بغي عليه: ظلم بمعاودة العقاب
يولج: يدخل.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

٦٥ ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض...﴾ من الدواب والشجر والأنهار وجعله لمنافعكم ﴿والفلك﴾ أى: وسخر لكم الفلك فى حال جريها فى البحر، ويمسك السماء كراهة أن تقع على الأرض إلا إذا شاء ذلك يوم القيامة، يوم يعطل الناموس الذى يعمله لحكمة ويعطله كذلك لحكمة.

وينتقل السياق من الكون إلى النفس، وعرض سنن الحياة والموت فى عالم الإنسان:

٦٦ ﴿وهو الذي أحياكم ثم يميتكم...﴾ والحياة الأولى معجزة، والموت سر آخر يعجز العقل البشرى عن تصور كنهه ﴿ثم يحييكم﴾ والحياة بعد الموت -وهى غيب من الغيب... ولكن هذا الإنسان لا يتأمل ولا يتدبر هذه الدلائل والأسرار ﴿إن الإنسان لكفور﴾.

وهنا يتوجه السياق بالخطاب إلى رسول الله ﷺ ليمضى في طريقه:

٦٧ ﴿لكل أمة جعلنا منسكا...﴾ أى لكل قرية من القرون الماضية وضعنا شريعة خاصة بحيث لا تتخطى كل أمة شريعتها الخاصة بها إلى غير شريعتها ﴿هم ناسكوه﴾ وهكذا فلا داعى إذن أن ينشغل رسول الله ﷺ فلكل أمة منسكًا هم ناسكوه، ومنهجًا هم سالكوه، كما يأمره أن يمضى على منهجه لا يتلفت ولا ينشغل بجدل المجادلين.

٦٨ ﴿وإن جادلوك...﴾ فلا ضرورة لإضاعة الوقت والجهد ﴿فقل الله أعلم بما تعملون﴾ فليكلهم إلى الله. فهو الذى يحكم بين المناسك والمناهج:

٦٩ ﴿الله يحكم بينكم يوم القيامة...﴾ وهو الحكم الذى لا يجادل فيه أحد، لأنه لا جدال فى ذلك اليوم ولا نزاع فى الحكم الأخير!

والله يحكم بعلم كامل، فلا تخفى عليه خافية فى العمل والشعور.

٧٠ ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض...﴾ وعلم الله الكامل الدقيق لا يخفى عليه شئ فى السماء ولا فى الأرض، ولا يتأثر بالمؤثرات التى تنسى وتمحو فهو كتاب يضم علم كل شئ

وهنا يكشف السياق عما فى منهج المشركين من عوج:

٧١ ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا...﴾ وهؤلاء إنما يعبدون آلهة من الأصنام والأوثان، أو من الناس أو الشيطان. وأعجب شئ أنهم وهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا ﴿وما ليس لهم به علم﴾ فهم يعبدونها لا عن علم و لا عن دليل يقتنعون به إنما هو الوهم والخرافة. ﴿وما للظالمين من نصير﴾ ينصرهم، ويدفع عنهم عذاب الله.

٧٢ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر...﴾ حتى ليكادون يثبون على الذين يتلونها ويبطشون بهم من شدة غيظهم منهم.

ومن ثم يواجههم القرآن الكريم بالتهديد والوعيد:

﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ المنكر الذى تنطوون عليه من ذلك البطش الذى تهمون به... ﴿النار﴾.. وهى الرد المناسب للبطش والمنكر ﴿وبئس المصير﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

ثم يعلن فى الآفاق إعلانا مدويًا عامًا.. يعلن عن ضعف الآلهة المدعاة.. الآلهة كلها... التى يتخذها الناس من دون الله.

٧٣ ﴿يا أيها الناس ضرب مثل...﴾ يبين لكم به ضلال المشركين ﴿فاستمعوا له﴾ إنه النداء العام، والنفير البعيد الصدى هذا المثل يضع قاعدة ويقرر حقيقة ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ لن يستطيعوا أن يخلقوا ذبابا واحدًا ولو اجتمعوا له وأعان بعضهم بعضا على خلقه وتصويره، وإن يسلبهم هذا الذباب شيئًا لا يستطيعون أن ينقذوه منه، فما أضعف الطالب والمطلوب، أى فما أضعف عابد الصنم ومعبوده. وخلق الذباب مستحيل كخلق الجمل والفيل.

٧٤ ﴿ما قدروا الله حق قدره...﴾ أى: ما عظموه حق تعظيمه، ولا عرفوه حق معرفته، حيث جعلوا هذه الأصنام شركاء له مع كون حالها هذا الحال ﴿إن الله لقوي عزيز﴾ بخلاف آلهة المشركين، فإنها جماد لا تنفع ولا تضر، ولا تقدر على شئ.

٧٥ ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا...﴾ كجبريل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل ﴿و﴾ يصطفى أيضا رسلا ﴿من الناس﴾ وهم الأنبياء، فيختار من الملائكة ملكًا يختص بإرساله إلى الأنبياء المصطفين من البشر فيرسل الملك إلى النبى، والنبى إلى الناس أو يرسل الملك لقبض أرواح مخلوقاته أو لتحصيل ما ينفعكم.

٧٦ ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم...﴾ أى يعلم ما يفعله رسله من الملائكة ومن الناس، فلا يقدرون على كتم شئ مما أمرهم بتبليغه، ولا بتبليغ شئ لم يأمر به.

والآن يتوجه بالخطاب إلى الأمة المسلمة لتنهض بتكاليف دعوتها:

٧٧ ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا...﴾ أى: صلوا الصلاة التى شرعها الله لكم ﴿واعبدوا ربكم﴾ أى: افعلوا جميع أنواع العبادة التى أمركم الله بها ﴿وافعلوا الخير﴾ أى: ما هو خير وأهمه الفرائض، ثم النوافل -ومن خير الخير نفع الناس ﴿لعلكم تفلحون﴾ أى تكونوا من الفائزين برحمة الله ورضوانه يوم القيامة.

٧٨ ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده...﴾ جاهدوا أعداء دينه جهادًا حقا. هو اختاركم من بين الأمم وحملكم أعباء دينه، وما جعل عليكم فيه من ضيق ما يصعب القيام به بل جعله يسرًا لا عسر فيه. هو دين أبيكم إبراهيم، وهو الذى سماكم المسلمين قبل نزول القرآن وسماكم الله كذلك فيه ليكون الرسول شهيدا عليكم يوم القيامة، ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ فأقيموا الصلاة وأدوا الزكاة وتمسكوا بالله، وثقوا به فى كل شئونكم، هو ناصركم وولى أمركم، فنعم المولى ونعم النصير.

وفى هاتين الآيتين يجمع المنهاج الذى رسمه الله لهذه الأمة ويلخص تكاليفها التى ناطها بها ويقرر مكانها الذى قدره لها، ويثبت جذورها فى الماضى والحاضر والمستقبل.

سورة المؤمنون

الدرس الأول:

(دلائل الإيمان فى النفس والآفاق)

من الآية ١/٢٨

مدة الحفظ: يوم واحد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾

يبدأ هذا الدرس بالوعد الصادق والقرار الأكيد بفلاح المؤمنين ويذكر صفاتهم ثم ينتقل إلى دلائل الإيمان:

١ ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ أى فاز المؤمنون الجامعون للصفات التالية:

٢/١١ ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ تستشعر قلوبهم رهبة الموقف فى الصلاة بين يدى الله ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ . . . لغو القول، ولغو العقل، ولغو الاهتمام والشعور. ولا ينفى هذا أن يروح المؤمن عن نفسه فى الحين بعد الحين ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ والزكاة طهارة للقلب من الشح، وطهارة للمال تجعل ما بقى منه بعده طيبا حلالاً ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ وهذه طهارة الروح والبيت والجماعة ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ فمن تجاوز زوجته أو مملوكته إلى غيرها فهو معتد ظالم آثم. وعد الدائرة المباحة، ووقع فى الحرمات، واعتدى على الأعراض التى لم يستحلها بنكاح ولا بجهاد.

﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ والأمانات كثيرة فى عنق الفرد وفى عنق الجماعة ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ فلا يفوتونها كسلاً، ولا يضيعونها إهمالاً، ولا يقصرون فى إقامتها، وإنما يؤدونها فى أوقاتها ﴿أولئك هم الوارثون﴾ الذين يرثون أعلى درجات الجنان هم فيها خالدون وتلك غاية الفلاح الذى كتبه الله للمؤمنين.

١٢/١٤ ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين..﴾ وهذا النص يشير إلى أطوار النشأة الإنسانيه ولا يحددها فيفيد أن الإنسان مر بأطوار مسلسلة، من الطين إلى الإنسان ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ أى ثابته فى الرحم الغائرة بين عظام الحوض المحمية بها من التأثر باهتزازات الجسم، ومن كثير مما يصيب الظهر والبطن. ومن النطفة إلى العلقه، أحال النطفة البيضاء إلى علقة حمراء ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ أى قطعة لحم غير مخلقة ﴿فخلقنا المضغة عظاما﴾ متصلبة لتكون عموداً للبدن ﴿فكسونا العظام لحما﴾ انبتنا اللحم على العظام بالمقدار الذى يليق به ﴿ثم انشأناه خلقا آخر﴾ أى نفخنا فيه الروح بعد أن كان جماداً ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ وليس هناك من يخلق سوى الله.

ثم يتابع السياق خطاه لاستكمال مراحل الرحلة:

١٥ ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾ والموت هو نهاية الحياة الأرضية، وبرزخ مابين الدنيا والآخرة.

١٦ ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ البعث المؤذن بالطور الأخير من أطوار تلك النشأة. وبعده تبدأ الحياة الكاملة.

وينتقل السياق إلى دلائل الإيمان فى الآفاق:

١٧ ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق...﴾ طوارق بعضها فوق بعض ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ وما كنا عن هذه السبع الطرائق وحفظها بغافلين، وحفظنا من في الأرض أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم، أو تميد بهم فى الأرض.

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

١٨ ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر..﴾ لا أكثر فيغرق ويفسد، ولا أقل فيكون الجدب ﴿فأسكناه في الأرض﴾ وما أشبه وهو مستكن فى الأرض بماء النطفة وهو مستقر فى الرحم ﴿في قرار مكين﴾ كلاهما مستقر بتدبير الله لتنشأ الحياة ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾... فيغور فى طبقات الأرض البعيدة بكسر أو شق فى الطبقات الصخرية.

ومن الماء تنشأ الحياة:

١٩ ﴿فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب...﴾ والنخيل والأعناب نموذجان من الحياة التى تنشأ بالماء فى عالم النبات كما ينشأ الناس من ماء النطفة فى عالم الإنسان ﴿لكم فيها﴾ أى فى هذه الجنات ﴿فواكه كثيرة﴾ تتفكهون بها وتطعمون منها.

٢٠ ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن...﴾ أى تنبت ثمرها وفيها الدهن وهو زيت الزيتون ﴿وصبغ للآكلين﴾ لأنه يصطبغ به وهو يغمس الآكل فيه اللقمه ويأكلها.

٢٢/٢١ ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة...﴾ فيستدل بخلقها وأفعالها على عظيم القدرة الإلهيه ﴿نسقيكم مما في بطونها﴾ فتحوله غدد اللبن إلى هذا السائل السائغ اللطيف ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ يجملها أولاً، ثم يخصص منها منفعتين: ﴿ومنها تأكلون (٢١) وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ ويربط السياق بين حمل الإنسان على الأنعام وحمله على الفلك بوصفهما مسخرين بنظام الله الكونى، الذى ينظم وظائف الخلائق جميعا.

الدرس الثانى:

(حقيقة الإيمان التى جاء بها الرسل)

من الآية ٥٢/٢٣

مدة الحفظ: ثلاثة أيام.

٢٤/٢٣ ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه...﴾ فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده لا إله غيره، أفلا تخافون بطشه من الشرك به؟ فقال الأشراف ممن كفروا من قومه ليس نوح إلا بشراً مثلكم يريد أن يسود عليكم بدعوى الرسالة، ولو شاء الله إرسال رسول لأرسل ملكا من عنده. ثم يحيلون الأمر إلى السوابق المألوفة لا إلى العقل المتدبر: ﴿ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾

٢٥ ﴿إن هو إلا رجل به جنة...﴾ أى: جنون فهو لا يدرى ما يقول ﴿فتربصوا به حتى حين﴾ أى إلى أن يأخذه الموت، ويرجكم منه ومن دعوته.

٢٦ ﴿قال رب انصرني...﴾ عليهم فانتقم منهم بما تشاء وكيف تريد ﴿بما كذبون﴾ أى: بسبب تكذيبهم إياى.

٢٧ ﴿فأوحينا إليه أن اصنع الفلك...﴾ والفلك وسيله للنجاة من الطوفان، ولحفظ بذور الحياة السليمة ﴿بأعيننا﴾ بحفظنا وكلاءتنا ﴿ووحينا﴾ تعليمنا إيام لكيفية صنعها ﴿فإذا جاء أمرنا﴾ بالعذاب ﴿وفار التنور﴾ والتنور بيت النار الذى ينضج فيه الخبز، جعل فوران الماء فيه علامة بدر الطوفان ﴿فاسلك فيها من كل زوجين اثنين﴾ ذكر وأنثى ﴿وأهلك﴾ أى وأسلك أهلك ﴿إلا من سبق عليه القول منهم﴾ من الله تعالى بإهلاكه منهم ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ بالدعاء بإنجائهم ﴿إنهم مغرقون﴾ مقضى عليهم بالأغراق.

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

ويمضى السياق فى تعليم نوح -عليه السلام- كيف يشكر نعمة ربه:

٢٨/ ٢٩ ﴿فإذا استويت...﴾ علوت ﴿أنت ومن معك﴾ من أهلك وأتباعك ﴿على الفلك﴾ راكبين عليه ﴿فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين﴾ فهكذا يحمد الله، وهكذا يتوجه إليه. ﴿وقل رب أنزلني منزلا مباركا﴾ أمره الله أن يقولها عند دخوله فى السفينه وعند خروجه منها ﴿وأنت خير المنزلين﴾ هذا ثناء منه على الله عز وجل.

ثم يعقب على القصة كلها:

٣٠ ﴿إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين﴾ وفى قصة نوح ألوان من الابتلاء له ولقومه ولأبنائه القادمين..

ويمضى السياق يعرض مشهداً آخر:

٣١ ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ قال اكثر المفسرين هم عاد قوم هود.

٣٢ ﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ ذات الكلمة الواحدة التى قالها من قبله نوح... فماذا كان الجواب؟

٣٣ ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم...﴾ قالوا نفس المقالات.. فالاعتراض المكرور هو الاعتراض على بشرية الرسول: ﴿يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ وذلك يستلزم عندهم أنه لا فضل له عليهم.

٤٣ ﴿ولئن أطعتم بشرا مثلكم...﴾ فأنتم مغبونون بترككم آلهتكم واتباعكم إياه من غيرفضيلة له عليكم.

٣٥ ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا...﴾ إنكم لمبعوثون من جديد ومحاسبون على ما قدمتم وأخرتم؟ ذلك ليس بمعقول.

٣٦ ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾ أى بعد إخراجكم للوعد الذى توعدون.

٣٧ ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا...﴾ لا الحياة الآخرة التى تعدنا بها ﴿نموت ونحيا﴾ فى الدنيا لا غير.

وأيضًا يتهمون رسلهم بالافتراء على الله:

٣٨ ﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا...﴾ فلا أصل لما يقول.

عندئذ لم يجد الرسول إلا أن يستنصر ربه:

٣٩ ﴿قال رب انصرني...﴾ انصرنى عليهم وانتقم لى منهم.

وعندئذ وقعت الاستجابه:

٤٠ ﴿قال عما قليل...﴾ أى بعد مدة قليلة من الزمان ﴿ليصبحن نادمين﴾ على ما وقع منهم من التكذيب والعناد والإصرار على الكفر.

ولكن حيث لا ينفع الندم، ولا يجدى المتاب:

٤١ ﴿فأخذتهم الصيحة بالحق...﴾ صاح بهم جبريل صيحة واحدة مع الريح التى أهلكهم الله بها فماتوا جميعا ﴿فجعلناهم غثاء﴾ والغثاء ما يجرفه السيل، لا خيرفيه ملقى بلا احتفال ولا اهتمام.

ويزيدهم على هذه المهانة ﴿فبعدا للقوم الظالمين﴾ أى هلاكًا لهم.

ويمضى السياق بعد ذلك فى استعراض القرون:

٤٢ ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين﴾ أى من أوجدنا بعد إهلاكهم عاداً أهل قرون آخرين كقوم صالح وقوم إبراهيم وقوم لوط وقوم شعيب.

ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ﴿٤٣﴾ ثم أرسلنا رسلنا تترا
كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم
أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ﴿٤٤﴾ ثم أرسلنا موسى وأخاه
هارون بآياتنا وسلطان مبين ﴿٤٥﴾ إلى فرعون وملإيه
فاستكبروا وكانوا قوما عالين ﴿٤٦﴾ فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا
وقومهما لنا عابدون ﴿٤٧﴾ فكذبوهما فكانوا من المهلكين
﴿٤٨﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ﴿٤٩﴾ وجعلنا
ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين
﴿٥٠﴾ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما
تعملون عليم ﴿٥١﴾ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم
فاتقون ﴿٥٢﴾ فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم
فرحون ﴿٥٣﴾ فذرهم في غمرتهم حتى حين ﴿٥٤﴾ أيحسبون أنما
نمدهم به من مال وبنين ﴿٥٥﴾ نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون
﴿٥٦﴾ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴿٥٧﴾ والذين هم
بآيات ربهم يؤمنون ﴿٥٨﴾ والذين هم بربهم لا يشركون ﴿٥٩﴾

٤٣ ﴿ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ لا تتقدم ولا تتأخر آجالها المكتوبة لها.

٤٤ ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترا...﴾ تتواتر واحدًا بعد واحد، ويتبع بعضهم بعضا مرسلين إلى تلك الأمم. ﴿فأتبعنا بعضهم بعضا﴾ أى: فى الهالك بما ننزل بهم من العذاب ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ وهى ما يتحدث به الناس ﴿فبعدا لقوم لا يؤمنون﴾ أى هلاكًا لهم بلا عودة.

ثم يحمل قصة موسى فى الرسالة والتكذيب:

٤٨/٤٥ ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون...﴾ إلى فرعون وقومه بمعجزاتنا وحجة بينة، فاستكبروا عن الإيمان بهما إذ كانوا قوما متكبرين، وكانت حجتهم أن قالوا أنؤمن لرجلين مثلنا وقومهما لنا عابدون. فكذبوهما، فكانوا من الذين أهلكناهم والاعتراض ذاته كان على بشرية الرسل!!

وإشارة مجملة إلى عيسى ابن مريم وأمه:

٤٩/ ٥٠ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب...﴾ أى التوراة ﴿لعلهم يهتدون﴾ يهتدون بها إلى الحق ويعملون بما فيها من الشرائع ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ علامة على قدرتنا، إذ أولدناها إياه بدون أن يمسها بشر، وآويناهما إلى مكان عال فى قرار وماء نابع من الأرض ويجدان فيه الرعاية والإيواء.

ثم يتوجه بالخطاب إلى أمة الرسل وكأنما هم مجتمعون فى صعيد واحد:

٥١ ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات...﴾ ما يستطاب ويستلذ من الحلال ﴿واعملوا صالحا﴾ موافقا للشرع ﴿إني بما تعملون عليم﴾ لا يخفى عليه شئ منه، وإنى مجازيكم على حسب أعمالكم ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ ملة واحده، وهو دعاء جميع الأنبياء إلى عبادة الله وحده لا شريك له فالزموه ﴿فاتقون﴾ أى: لا تفعلوا ما يوجب العقوبة عليكم منى، بأن تشركوا بى غيرى

الدرس الثالث:
(حال الناس بعد أمة الرسل)
من الآية ٩٨/٥٣
مدة الحفظ: ثلاثة أيام

يبدأ هذا الدرس بتصوير حال الناس، تلك الحال التى جاء الرسول الأخير فوجدهم عليها:

٥٦/٥٣ ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا...﴾ فتوزعوا أمرهم بينهم واختلفوا فرقًا، كل حزب بما لديهم فرحون، لتوهمهم أنه الحق اليقين ﴿فذرهم في غمرتهم حتى حين﴾ أي اتركهم فى جهلهم وحيرتهم، ولا يضيق صدرك بتأخير العذاب عنهم، أو حتى يموتوا فيعذبوا فى النار ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين﴾ بل لا يشعرون أن هذا فتنة لهم لنرى إلى أى حد ينتهون. بل هو استدراج لهم ليزدادوا إثمًا.

٥٩/٥٧ ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ قد أصابه فهؤلاء المؤمنون يشفقون من ربهم خشية وتقوى، هم للحق وهم يؤمنون بآياته، ولا يشركون به. وهم ينهضون بتكاليفهم وواجباتهم.

معانى الكلمات:

وآويناهما : صيرناهما وأوصلناهما
فتقطعوا أمرهم : تفرقوا فى أمر دينهم
غمرتهم : جهالتهم وضلالتهم.

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾

٦٠ ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ وسبب الوجل هو أنهم يخافون ألا يقبل منهم ذلك علي الوجه المطلوب.

٦١ ﴿أولئك يسارعون في الخيرات...﴾ يبادرون بها ﴿وهم لها سابقون﴾ وهم يسبقون الناس إلى فعلها.

عن عائشة -رضى الله عنها- أنها قالت: يا رسول الله ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ هو الذى يسرق ويزنى ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: [لا يابنت الصديق! ولكنه الذى يصلى ويصوم ويتصدق، وهو يخاف الله عز وجل] «أخرجه الترمذي»

٦٢ ﴿ولا نكلف نفسا إلا وسعها...﴾ فلقد شرع الله التكاليف وفق ما يعلم من استعداد النفوس إنما يغفل الغافلون لأن قلوبهم فى غمرة عن الحق:

٦٣ ﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا...﴾ فى غفلة عن هذا الكتاب أو عن الأمر الذى عليه المؤمنون ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ ولهم أعمال رديئة لم يعملوها من دون ما هم عليه، أى: قد كتبت عليهم أعمال سيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة، لتحق عليهم كلمة العذاب.

ثم يرسم مشهد انتباههم على الكارثة الباغتة:

٦٤ ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب...﴾ أى: المتنعمين منهم ﴿إذا هم يجأرون﴾ بالصراخ يستغيثون ويولولون ويقال لهم حينئذ:

٦٥/ ٦٧ ﴿لا تجأروا اليوم...﴾ لتبكيتهم وإقناطهم وقطع أطماعهم ﴿إنكم منا لا تنصرون﴾ لا تمنعون من عذابنا ولا ينفعكم جزعكم ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم﴾ أى: في الدنيا، وهى آيات القرآن ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ اى ترجعون وراءكم معرضين عن سماع القرآن ﴿مستكبرين به﴾ أى: بحرم البيت الحرام، اشتهر أهل مكة بالاستنكار به، وافتخارهم بولايته والقيام به ﴿سامرا تهجرون﴾ لأنهم كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون، وكان عامة سمرهم ذكر القرآن والطعن فيه، والهجر - بالفتح- الهذيان، أى: تهذون فى شأن القرآن.

وينتقل السياق بهم فيعود بهم إلى الدنيا من جديد:

٦٨/ ٧٤ ﴿أفلم يدبروا القول..﴾ أفلم يتدبروا القرآن ليعلموا ببداهة أنه الحق، ﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ أم لم يعرفوه بالصدق والاستقامة فهم له منكرون ﴿أم يقولون به جنة﴾ قد أصابه الجنون؟ بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون لأنه يخالف شهواتهم ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ ميولهم المنبعثة عن شهواتهم ﴿لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ لأن أمر الكون لا يقوم على الباطل ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ بكتاب فيه وعظهم فهم عنه معرضون ﴿أم تسألهم خرجا﴾ أجرا علي إصلاحهم فأجر ربك خير ﴿وهو خير الرازقين﴾ وإنك لتدعوهم إلى صراط ﴿مستقيم﴾ وإن الكافرين بالآخرة ﴿عن الصراط لناكبون﴾ لمائلون. أى منحرفون إلى طريق الضلال.

﴿ولو رحمنهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغينهم يعمهون ﴿٧٥﴾ ولقد أخذنهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴿٧٦﴾ حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون ﴿٧٧﴾ وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصر والأفئدة قليلا ما تشكرون ﴿٧٨﴾ وهو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون ﴿٧٩﴾ وهو الذى يحيى ويميت وله اختلف اليل والنهار أفلا تعقلون ﴿٨٠﴾ بل قالوا مثل ما قال الأولون ﴿٨١﴾ قالوا أءذا متنا وكنا ترابا وعظما أءنا لمبعوثون ﴿٨٢﴾ لقد وعدنا نحن وءاباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أسطير الأولين ﴿٨٣﴾ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ﴿٨٤﴾ سيقولون لله قل أفلا تذكرون ﴿٨٥﴾ قل من رب السموت السبع ورب العرش العظيم ﴿٨٦﴾ سيقولون لله قل أفلا تتقون ﴿٨٧﴾ قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ﴿٨٨﴾ سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴿٨٩﴾﴾

٧٥/ ٧٧ ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر...﴾ أى: من قحط وجدب ﴿للجوا في طغيانهم﴾ أى: لتمادوا فى طغيانهم وضلالهم ﴿يعمهون﴾ يترددون ويخبطون ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ قيل: هو الجوع الذى أصابهم فى سنى القحط ﴿فما استكانوا لربهم﴾ أى: ما خضعوا ولا تذللوا، بل أقاموا على التمرد على الله ﴿وما يتضرعون﴾ وما يخشعون لله فى الشدائد.

وهذه صفة عامة لذلك الصنف من الناس، القاسية قلوبهم، الغافلين عن الله. ﴿حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد﴾ قيل: هو عذاب الآخرة، وقيل: قتلهم يوم بدر بالسيف ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾ أى متحيرون لا يدرون ما يصنعون.

ثم يجول معهم جولة أخرى علها توقظ وجدانهم:

٧٨ ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار...﴾ امتن الله عليهم بنعمة السمع والبصر ﴿والأفئدة﴾ وهى قلوبهم التى يفقهون بها ليسمعوا المواعظ، وينظروا العبر، ويتفكروا بالأفئدة، فلم ينتفعوا بشئ من ذلك ﴿قليلا ما تشكرون﴾.

٧٩ ﴿وهو الذي ذرأكم في الأرض...﴾ أى بثكم فيها كما تبث الحبوب فتنبت ﴿وإليه تحشرون﴾ أى: تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم.

٨٠ ﴿وهو الذي يحيي ويميت...﴾ على جهة الانفراد والاستقلال ﴿وله اختلاف الليل والنهار﴾ يتعاقبان ويختلفان فى الإضاءة والإظلام، وقيل تكرّرهما يومًا بعد يوم، وليلة بعد ليلة ﴿أفلا تعقلون﴾ كنه قدرته، وتتفكرون فى ذلك.

وهنا يحكى مقولاتهم عن البعث والحساب:

٨١ ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾ أى: آباؤهم والموافقون لهم فى دينهم. أو المراد الأمم السابقه:

٨٢ ﴿قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ مجرد استبعاد لم يتعلقوا فيه بشئ من الشبه.

٨٣ ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل...﴾ أى: وعدنا هذا البعث، ووعده آباؤنا ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أى: ما هذا إلا أكاذيب الأولين التى سطروها فى الكتب.

وهنا يصحح الاضطراب فى العقيدة ويردهم إلى التوحيد الخاص:

٨٤/ ٨٧ ﴿قل لمن الأرض ومن فيها...﴾ فهو سؤال عن ملكية الأرض ﴿سيقولون لله﴾ ولكنهم مع ذلك لا يذكرون هذه الحقيقة وهم يتوجهون بالعبادة لغير الله ﴿قل أفلا تذكرون﴾ ويجئ سؤال آخر عن الربوبية المدبرة ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ فمن هو رب هؤلاء ﴿سيقولون لله﴾ ولكنهم مع ذلك لا يخافون صاحب العرش ﴿قل أفلا تتقون﴾.

٨٨/ ٨٩ ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء...﴾ الملكوت: الملك ﴿وهو يجير﴾ يغيث غيره إذا شاء ويمنعه ﴿ولا يجار عليه﴾ أى: لا يمنع أحد أحدًا من عذاب الله، ولا يقدر على نصره وإغاثته من الله ﴿قل فأنى تسحرون﴾ كيف يخيل لكم الحق باطلا، والصحيح فاسدًا.

معاني الكلمات:

فما استكانوا : فما خضعوا

مبلسون : متحيرون آيسون

ذرأكم : خلقكم وبثكم بالتناسل

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

وفى اللحظة المناسبة يجئ تقرير حقيقة ما جاء به الرسول ﷺ

٩٢/٩٠ ﴿بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون﴾ ثم يفصل فيما هم كاذبون: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله﴾ ... ثم يأتى بالدليل الذى ينفى دعواهم ﴿إذا لذهب كل إله بما خلق﴾ مستقلاً بما خلقه ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ بغلبة سيطرته وتصريفه على الكون الذى لا يبقى ولا تنظيم إلا بناموس واحد، وتصريف واحد، وتدبير واحد ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ أى: من الشريك والولد ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أى: هو مختص بعلم الغيب والشهادة ﴿عما يشركون﴾ والمعنى: أنه سبحانه متعال عن أن يكون له شريك فى الملك.

٩٥/٩٣ ﴿قل رب إما تريني ما يوعدون..﴾ ورسول الله فى مناجاة من أن يجعله الله مع القوم الظالمين حين يحل بهم العذاب الأليم، ويتحقق ما يوعدون، ولكن هذا الدعاء فى التوقى، وتعليم لمن بعده ألا يأمنوا مكر الله، والله قادر على أن يحقق ما وعد به الظالمين فى حياة الرسول ﷺ ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾ ولقد رأه بعض ما وعدهم فى غزوة بدر. ثم فى الفتح العظيم.

٩٦ ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة..﴾ أى ادفع بالخصلة التى هى أحسن من غيرها، وهى الصفح والإعراض عما يفعله الكفار ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ أى: ما يصفونك به مما أنت على خلافه، أو بما يصفون من الشرك والتكذيب.

٩٧ ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ ورغم عصمته ﷺ من الشياطين فاستعاذته هذه هى زيادة فى التوقى، وزيادة فى الالتجاء إلى الله ثم نتبعه فى قولها.

٩٨ ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ فإنهم إذا حضروا الإنسان لم يكن لهم عمل إلا الوسوسة والإغراء على الشر والصرف عن الخير ويحتمل أن تكون الاستعاذة من حضورهم إياه ساعة الوفاة.

الدرس الرابع:
(من مشاهد القيامة)
من الآية ١١٨/٩٩
مدة الحفظ: يومان.

٩٩ ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت...﴾ إنه مشهد الاحتضار، وإعلان التوبة عند مواجهة الموت، وطلب الرجعة إلى الحياة ﴿قال رب ارجعون﴾ لتدارك ما فات. ﴿لعلي أعمل صالحا﴾ فى الدنيا إذا رجعت إليها.

فإذا الرد على هذا الرجاء المتاخر: ﴿كلا إنها كلمة هو قائلها﴾ ولو أجيب إلى ذلك لما حصل منه الوفاء ﴿ومن ورائهم برزخ﴾ أى من أمامهم وبين أيديهم حاجز بين الموت والبعث ﴿إلى يوم يبعثون﴾ فلا هم من أهل الدنيا ولا هم من أهل الآخرة. إنما هم فى ذلك البرزخ بين بين، إلى يوم يبعثون.

١٠٤/١٠١ ﴿فإذا نفخ في الصور...﴾ فإذا بعث الموتى للحساب فلا تنفعهم أنسابهم، ولا يسأل بعضهم بعضا لا شتغال كل منهم بنفسه. فمن ثقلت موازين أعمالهم فهم الفائزون، ومن خفت فأولئك الذين أضاعوا أنفسهم. تحرق وجوههم النار وهم فيها متقلصة شفاهم عن أسنانهم من شدة شعورهم بالاحتراق.



أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟
رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ
أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا
وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ
ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ
سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾
إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَـٰلَ
كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا
ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ النُّورِ

وهنا يعدل عن أسلوب الحكاية إلى أسلوب الخطاب والمواجهة:

١٠٥ ﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون﴾ وكأنما يخيل إليهم -وقد سمعوا هذا السؤال- أنهم مأذونون فى الكلام- مسموح لهم بالرجاء:

١٠٦ ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا...﴾ أى: غلبت علينا لذاتنا وشهواتنا، فسمى ذلك شقوة، لأنه يؤول إلى الشقاء ﴿وكنا قوما ضالين﴾ بتلك الشقوة.

١٠٧ ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا...﴾ إلى ما كنا عليه من الكفر ﴿فإنا ظالمون﴾ وهو إعتراف تتجلى فيه المرارة والشقوة... ولكن كأنما هم قد تجاوزوا حدهم وأساءوا أدبهم، فلم يكن مأذونا لهم فى غير الإجابة على قدر السؤال، فهم يزجرون زجراً عنيفًا قاسيا:

١٠٨ ﴿قال اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ اخرسوا واسكتوا سكوت الأذلين المهانين، فإنكم لتستحقون ما أنتم فيه من العذاب الأليم والشقاء المهين.

١١١/١٠٩ ﴿إنه كان فريق من عبادي...﴾ وهم المؤمنون يدعون الله بالرحمة والمغفرة ﴿فاتخذتموهم سخريا﴾ أى هزوا بالقول ﴿حتى أنسوكم ذكري﴾ أى نسيتم ذكر الله لشدة اشتغالكم بالاستهزاء ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ فى الدنيا ﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون﴾ أى جازيتهم على صبرهم بفوزهم اليوم.

وبعد هذا الرد القاسى يبدأ فى استجواب من جديد:

١١٣/١١٢ ﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين﴾ وإن الله -سبحانه- ليعلم. ولكنه سؤال لاستصغار أمر الأرض، واستقصار أيامهم فيها ﴿قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين﴾ وهى إجابة الضيق واليأس والأسى والقنوط:

١١٤ ﴿قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون﴾ ثم عودة إلى الترذيل والتعنيف على تكذيبهم بالآخرة: والرد إنكم لم تلبثوا إلا قليلاً بالقياس إلى ما أنتم مقبلون لو كنتم تحسنون التقدير.

١١٥ ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ فحكمة البعث من حكمة الخلق. محسوب حسابها، ومقدر وقوعها، ومدبر غايتها.

وتنتهى سورة الإيمان بتقرير القاعدة الأولى للإيمان.. التوحيد.. وإعلان الخسارة الكبرى لمن يشركون بالله.

١١٦ ﴿فتعالى الله...﴾ أى تنزه عن أن يخلق شيئا عبثا ﴿الملك﴾ الذي يحق له الملك على الإطلاق ﴿الحق﴾ وملك غيره زائل فان ﴿لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ فكيف لا يكون إلها وربا لما هو دون العرش الكريم من المخلوقات.

١١٧ ﴿ومن يدع مع الله إلها آخر...﴾ يقول سبحانه متوعداً من أشرك غيره وعبد معه سواء ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ أى الله يحاسبه على ذلك ثم أخبر ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾.

١١٨ ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ هذا إرشاد من الله تعالى إلى هذا الدعاء وهو اتجاه إلى الله فى طلب الرحمة والغفران.

معاني الكلمات:

غلبت علينا: استولت علينا. ملكتنا.

شقوتنا: شقاوتنا أو لذاتنا

سخريا: مهزوءا بهم.

سورة النور

الدرس الأول: (حديث الإفك)

من الآية ١/٢٦

مدة الحفظ: ثلاثة أيام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

يبدأ هذا الدرس بإعلان حاسم ومطلع قوى صريح جازم ويتبعه ببيان حد الزنا:

١ ﴿سورة...﴾ أى: هذه سورة ﴿أنزلناها﴾ والسورة آيات مسرودة لها مبدأ ومختم ﴿وفرضناها﴾ أوجبناها وألزمناكم العمل بها ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ لما اشتملت عليه من الأحكام لعلكم تعتبرون.

٢ ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة...﴾ وهذه الآية ناسخة لآية الحبس، وآية الأذى، اللتين فى سورة النساء ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ﴿١٥﴾ واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما﴾ والخطاب هنا للائمة، ومن قام مقامها. وقيل للمسلمين أجمعين، والإمام ينوب عنهم ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ أى رحمة ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فلا تعطلوا الحدود ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ زيادة فى التنكيل، وشيوع العار عليهما، وإشهار فضيحتهما.

٣ ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة...﴾ والمقصود زجر المؤمنين عن نكاح الزوانى بعد زجرهم عن الزنى وهذا أرجح الأقوال ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ فلا يحل للمسلم العفيف أن يتزوج امرأة غير عفيفة وهو يعلم والعكس أيضا وهى تعلم.

٤ ﴿والذين يرمون المحصنات...﴾ والشتم لهذه الفاحشة قذفا. والمراد بالمحصنات: النساء العفيفات المؤمنات. ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ يشهدون عليهم بوقوع الزنا منهم ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ أى: اجلد كل واحد منهما هذا العدد ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا﴾.

أى: فاجمعوا لهم بين الأمرين: الجلد وترك قبول الشهادة ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾ فقد تجاوزوا الحد بالمعصية.

٥ ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا...﴾ ما أفسدوه بتلافى الضرر الذى سببوه فإن الله يغفر لهم ويرحمهم.

٦/٩ ﴿والذين يرمون أزواجهم...﴾ الزوج الذي يقذف زوجته بالزنا يجب عليه أن يشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فى قذفه إياها.

ويقول فى الخامسة إن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.

وإن رغبت الزوجة فى درء الحد عنها عندئذ تحلف بالله أربع مرات أنه كاذب فيما رماها به، وتحلف يمينا خامسة بأن غضب الله عليها إن كان صادقا وهى كاذبه... بذلك يدرأ عنها الحد.

وقد عقب على هذا التخفيف والتيسير ومراعاة الأحوال والظروف بقوله:

١٠ ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته...﴾ لنال الكاذب منهما عذاب عظيم ﴿وأن الله تواب حكيم﴾ يتوب على من تاب إليه ورجع، حكيم فيماشرع لعباده.

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

١١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ...﴾ سبب نزول هذه الآية: إلى الآية رقم ٢٠: أخرج البخارى ومسلم وأهل السنن وغيرهم حديث عائشة الطويل فى سبب نزول هذه الآيات، وحاصله: أنها خرجت من هودجها تلتمس عقدًا لهما انقطع، فرحلوا وهم يظنون أنها فى هودجها، فرجعت وقد ارتحل الجيش والهودج معهم، فأقامت فى ذلك المكان، ومر بها صفوان بن المعطل، وكان متأخرًا عن الجيش فأناخ راحلته وحملها عليها، فلما رأى ذلك أهل الإفك اتهموها بالفاحشة، وقالوا ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ وهم عبد الله بن أُبى رأس المنافقين، وزيد بن رفاعه، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثه، وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم. ثم سارع -سبحانه- بتطمين المسلمين من عاقبة هذا الكيد ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ خير. فهو يكشف عن الكائدين للإسلام فى شخص رسول الله ﷺ أما الذين خاضوا فى الإفك ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ﴾ بسبب تكلمه به ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ هو عبد الله بن أبى، وقيل: هو حسان.

١٢ ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ...﴾ كان يجب عليهم أن يستبعدوا سقوط أنفسهم فى مثل هذه الحمأة ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ كذب ظاهر مكشوف

١٣ ﴿لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ...﴾ وهم لم يفعلوا فهم كاذبون إذن ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ﴾ الخائضون فى الإفك ﴿عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

والله يحذرهم أن يعودوا لمثله أبدًا:

١٤ ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ فأدركهم بفضله ورحمته ولم يمسهم بعقابه وعذابه.

١٥ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ...﴾ يرويه بعضكم عن بعض ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ كالذى يردد إشاعات ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ أى: شيئا يسيرا لا يلحقكم فيه إثم ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ عظيم ذنبه وعقابه.

١٦ ﴿وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا...﴾ وهذا عتاب لجميع الذين خاضوا فى إشاعة الإفك ﴿سُبْحَانَكَ﴾ للتعجب من أولئك ﴿هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ والبهتان: هو أن يقال فى الإنسان ما ليس فيه.

١٨/١٧ ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا...﴾ مدة حياتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فإن الإيمان يقتضى عدم الوقوع فى مثله ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾ لتعلموا بذلك، وتتأدبوا بآداب الله ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما تبدونه وتخفونه ﴿حَكِيمٌ﴾ فى تدبيراته لخلقه.

ثم يمضى فى التعقيب على حديث الإفك:

١٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ...﴾ أن يتفشى الزنا وينتشر ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هم المحصنون العفيفون من أهل الإيمان ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ بإقامة الحد عليهم ﴿وَالآخِرَةِ﴾ بعذاب النار ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ إلا ما علمكم به وكشفه لكم من أمر هؤلاء الذين لا يبغون لكم إلا السوء.

ومرة أخرى يذكر المؤمنين بفضل الله عليهم ورحمته:

٢٠ ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ...﴾ لعاجلكم بالعقوبة.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) ﴾

وهنا يصور الله لهم عملهم بأنه اتباع للشيطان ويحذرهم ما يقودهم إليه من مثل هذا الشر المستطير:

٢١ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان... ﴾ أى: لا تتبعوا مسالكه ومذاهبه ولا تسلكوا طرائقه التى يدعوكم إليها ﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه ﴾ أى: الشيطان ﴿ يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ ومن اتبع الشيطان صار مقتديا به، يطيعه فيما يأمر به ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء ﴾ فنور الله الذى يشرق فى القلب يطهره ويزكيه. والله يسمع ويعلم، فيزكى من يستحق التزكية، ويطهر من يعلم فيه الخير والاستعداد ﴿ والله سميع عليم ﴾ سميع لما يقولونه وعليم بجميع المعلومات.

تجئ الدعوة إلى الصفح والمغفرة:

٢٢ ﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى... ﴾

نزلت فى أبى بكر -رضى الله عنه- بعد نزول القرآن ببراءة الصديقة. وقد عرف أن مسطح بن أثاثه كان ممن خاضوا فيه. وهو قريبه ﴿ أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين ﴾ وكان مسطح ذا قرابة لأبى بكر، مهاجراً، مسكينا ﴿ وليعفوا ﴾ عن ذنبهم الذى أذنبوه ﴿ وليصفحوا ﴾ بالإغضاء عن الجانى ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ بسبب عفوكم وصفحكم ﴿ والله غفور رحيم ﴾ فكيف لا يقتدى العباد بربهم فى العفو والصفح.

٢٣ ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات... ﴾ ومنهن عائشة -رضى الله عنها- واللاتى لا تخطر الفاحشة ببالهن فهو من أهل هذه الآية ﴿ لعنوا في الدنيا والآخرة ﴾ والمراد باللعنة: الابعاد عن رحمة الله.

٢٤ ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم... ﴾ فى ذلك اليوم بما تكلموا به ﴿ وأيديهم وأرجلهم ﴾ بما عملوا فى الدنيا، الله سبحانه ينطقها بالشهادة عليهم ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ بذنوبهم التى اقترفوها.

٢٥ ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق... ﴾ يعطيهم الله جزاءهم عليها موقراً لا شك فى ثبوته. ﴿ ويعلمون أن الله هو الحق المبين ﴾ فى ذاته وصفاته وأفعاله.

٢٦ ﴿ الخبيثات للخبيثين... ﴾ مختصة بهم لا تتجاوزهم ﴿ و ﴾ كذا ﴿ الخبيثون للخبيثات ﴾ لا يتجاوزونهن وهكذا قوله ﴿ والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ وما كانت عائشة إلا طاهرة، ولذلك فهى تستحق هذا الحب العظيم من الرسول المعصوم. أولئك الطيبون والطيبات ﴿ مبرءون مما يقولون ﴾ بفطرتهم وطبيعتهم ﴿ لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ مغفرة عما يقع من أخطاء ورزق كريم. دلالة على كرامتهم عند ربهم.

الدرس الثانى:
(الوقاية من الجرائم)
من الآية ٢٧/ ٣٤
مدة الحفظ: يومان

٢٧ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا... ﴾ وتعلموا أنه قد أذن لكم بالدخول ﴿ وتسلموا على أهلها ﴾ يقول: السلام عليكم أأدخل؟ مرة أو مرتين أو ثلاثا ﴿ ذلكم خير لكم ﴾ من الدخول بغتة ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ والمراد بالتذكر الاتعاظ، والعمل بما أمروا به.

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩) قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)

فإن لم يكن في البيوت أحد فلا يجوز اقتحامها بعد الاستئذان، لأن لا دخول بغير إذن:

٢٨ ﴿فإن لم تجدوا فيها أحدا...﴾ والاستئذان لا يبيح الدخول، ومتى يجوز ذلك؟ ﴿حتى يؤذن لكم﴾ فإن لم يأذن أهل البيت فلا دخول كذلك. ويجب الانصراف دون تلكؤ: ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم﴾ ارجعوا دون أن تجدوا فى أنفسكم غضاضة.

فللناس أسرارهم وأعذارهم ولهم وحدهم تقدير ذلك ﴿والله بما تعملون عليم﴾ فهو المطلع على خفايا القلوب.

٢٩ ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة...﴾ وهى كما ذكرنا بعاليه ﴿فيها متاع لكم﴾ أي استمتاع ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ وفيه وعيد لمن لم يتأدب بآداب الله فى دخول بيوت الغير.

٣٠ ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم...﴾ وهنا حكم النظر على العموم لقطع ذرائع الزنى التى منها النظر ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ عما يحرم عليهم ﴿ذلك﴾ الغض والحفظ ﴿أزكى لهم﴾ أطهر من دنس الريبة وأطب من التلبس بهذه الدنيئة ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ وعيد لمن لم يغض بصره أو لم يحفظ فرجه.

٣١ ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن...﴾ فلا يرسلن بنظراتهن الجائعة المتلصصة أو الهاتفة المثيرة، ولا يحن فروجهن إلا فى حلال طيب ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ قال ابن عباس: ظاهر الزينة هو الكحل والسوار والخضاب والخاتم ونحو ذلك فإنه يجوز للمرأة أن تبديه.

وعن ابن عمر وابن عباس (الوجه والكفان) ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ الخمر: جمع خمار، وهو ما تغطى به المرأة رأسها والجيوب: جمع جيب، وهو موضع القطع من الدرع والقميص من حيث يدخل الرأس ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ أى: زينتهن الباطنه كالتى فى الشعر أو على الصدر ﴿إلا لبعولتهن﴾ أى أزواجهن ﴿أو نسائهن﴾ فأما غير المسلمات فلا. لأنهن قد يصفن لأزواجهن وإخواتهن، وأبناء ملتهن مفاتن نساء المسلمين وعوراتهن لو أطلعن عليها، ويستثنى كذلك ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾ قيل: من الإناث فقط، وقيل: من الذكور كذلك. لأن الرقيق ليس عند شهوة إلى سيدته. والأولى أولى. ويستثنى ﴿التابعين غير أولي الإربة من الرجال﴾ وهم الذين لايشتهون النساء لسبب من الأسباب كالعنة والبلاهة والجنون. ويستثنى ﴿الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ وهم الأطفال الذين لا يثير جسم المرأة فيهم الشعور بالجنس ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ قال الزجاج: وسماع هذه الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها ﴿لعلكم تفلحون﴾ أى تفوزون بسعادة الدنيا والآخرة. وفى النهاية يرد القلوب كلها إلى الله، ويفتح لها باب التوبة مما ألمت به قبل نزول هذا القرآن: ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ بذلك يثير الحساسية برقابة الله، وعطفه ورعايته، وعونه للبشر فى ضعفهم أمام ذلك الميل الفطرى العميق الذى لايضبطه مثل الشعور بالله، وبتقواه.

وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣) وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٣٤) ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦)

٣٢ ﴿وأنكحوا الأيامى منكم...﴾ والأيامى هم الذين لا أزواج لهم من الجنسين... والمقصود هنا الأحرار ﴿والصالحين من عبادكم﴾ عبيدكم ﴿وإمائكم﴾ مملوكاتكم، والصلاح: هو الإيمان. ولا يجوز أن يكون الفقر عائقا عن التزويج، فالرزق بيد الله وقد تكفل الله بإغنائهم ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ فمن تزوج يغنيه الله، يغنيه بغنى النفس ﴿والله واسع﴾ ذو سعة لاينقص من سعة ملكه غنى من يغنيه عن عباده ﴿عليم﴾ بمصالح خلقه.

٣٣ ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا...﴾ أى: ليطلب العفة عن الزنى والحرام من لا يجد تكلفة النكاح من المهر والنفقة أو لم يجد زوجا مناسبًا ﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾ أى: يرزقهم رزقًا يستغنون به ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم﴾ والكتاب أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه -على دفعات- فإذا أداه فهو حر ﴿إن علمتم فيهم خيرا﴾ والخير هو القدرة علي الأداء ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ وهنا يجب له نصيب من مال الزكاة. ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ المراد بالفتيات هنا: الإماء، والبغاء: الزنى بأجر، وهذا مختص بزنى النساء ﴿إن أردن تحصنا﴾ كانوا يكرهونهن وهن يردن التعفف ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ وهو ما تكسبه الأمة بفرجها باعتبار أن عادتهم كانت كذلك ﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ لهن، فربما لا تخلو فى تضاعيف الزنى عن شائبة مطاوعة بحكم الجبلة البشرية.

٣٤ ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات..﴾ واضحات لا تدع مجالاً للغموض والتأويل ﴿ومثلا من الذين خلوا من قبلكم﴾ وهو عرض لمصائر الغابرين الذى انحرفوا عن نهج الله ﴿وموعظة للمتقين﴾ الذين تستشعر قلوبهم رقابة الله فتخشى وتستقيم.

الدرس الثالث

(نور الله... وآداب تتبع)

الآيات رقم: ٤٥/٣٥

مدة الحفظ: يومان.

٣٥ ﴿الله نور السموات والأرض...﴾ والله جعل السماوات والأرض منيرتين باستقامة أحوال أهلهما، وكمال تدبيره عزوجل لمن فيهما ﴿مثل نوره﴾ نوره الفائض عنه، والذى جعله فى قلب عبده المؤمن ﴿كمشكاة﴾ وهى: مثل الشباك المسدود ﴿فيها مصباح﴾ وهو السراج ﴿المصباح في زجاجة﴾ المصباح فى قنديل من الزجاج، والقنديل كأنه كوكب مصنوع من جوهر الدر، يتوقد من زيت شجرة مباركة هى شجرة الزيتون يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار ﴿زيتونة﴾ ثمرتها إدام، ودهان، ودباغ، ووقود ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ لا يسترها عن الشمس شئ لا فى حال شروقها ولا فى حال غروبها ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ لصفائه وجودته ﴿نور على نور﴾ المصباح نور والزجاجة نور ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ أى يبين الأشياء بنظائرها وأشباهها تقريبا لها.

٣٦ ﴿في بيوت...﴾ وهى المساجد ﴿أذن الله أن ترفع﴾ تبنى عالية وتعظم ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ بالأذان والتسبيح وسائر الأذكار ﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال﴾ بأوائل النهار وأواخره، وذلك فى صلاة الصبح والعصر.

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ
ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾
لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ
بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا
وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن
فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ
يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ
عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى
سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾

٣٧ ﴿رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله...﴾ في هذه البيوت تتسق معها القلوب الوضيئة الطاهرة، المسبحة الواجفة، المصلية الواهبة قلوب الرجال الذين لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴿وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ فهم مع الشغل لتحصيل الكسب والثراء لا يغفلون عن أداء حق الصلاة، وأداء حق العباد في الزكاة ﴿يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ تتقلب فلا تثبت على شئ من الهول والكرب والاضطراب.

٣٨ ﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله...﴾ ورجاؤهم لن يخيب فى فضل الله ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ من فضله الذى لا حدود له فى مقابل ذلك النور المتجلى فى السموات والأرض.

٣٩ ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة...﴾ يلتمع التماعًا كاذبا، فيتبعه صاحبه الظامئ ﴿يحسبه الظمآن ماء﴾ وهو يتوقع الرى غافلاً عما ينتظره هناك... وفجأة يتحرك المشهد حركة عنيفة.. يصل فلا يجد ماء يرويه إنما يجد المفاجأة المذهلة ﴿ووجد الله عنده﴾ الله الذى كفر به وجحده، فكيف وهو يجد الله القوى المنتقم الجبار؟ ﴿فوفاه حسابه﴾ هكذا فى سرعة عاجلة ﴿والله سريع الحساب﴾ تعقيب يتناسق مع المشهد الخاطف المرتاع.

٤٠ ﴿أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب...﴾ وتتراكم الظلمات بعضها فوق بعض، حتى ليخرج يده أمام بصره فلا يراها لشدة الرعب والظلام ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ فمن لم يتصل بهذا النور فهو فى ظلمة لا انكشاف لها، وفى مخالفة لا أمن فيها.

وهنا مشهد الإيمان والهدى والنور فى الكون الفسيح:

٤١ ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض...﴾ إن الإنسان ليس مفردًا فى هذا الكون الفسيح، فإنه من حوله، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته، وحيثما امتد به النظر أو طاق به الخيال.. إخوان له من خلق الله، لهم طبائع شتى، وصور شتى، ولكنهم يلتقون فى الله ويتوجهون إليه، ويسبحون بحمده ﴿والله عليم بما يفعلون﴾.

٤٢ ﴿ولله ملك السموات والأرض...﴾ فلا التجاء إلا إليه، ولا ملجأ من دونه، ولا مفر من لقائه ولا عاصم من عقابه، ﴿وإلى الله المصير﴾.

٤٣ ﴿ألم تر أن الله يزجي سحابا...﴾ يسوق السحاب سوقًا رقيقًا إلى حيث يشاء ﴿ثم يؤلف بينه﴾ أى: بين أجزائه فيضم بعضه إلى بعض، ويجمعه بعد تفرقه ليقوى ويتصل ويكثف ﴿ثم يجعله ركاما﴾ أى متراكما يركب بعضه بعضا ﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾ أى: المطر يخرج من داخل السحاب ﴿وينزل من السماء﴾ من جهة العلو ﴿من جبال فيها﴾ من قطع عظام تشبه الجبال ﴿من برد﴾ أى: ينزل من تلك القطع العظام بردًا، ﴿فيصيب به﴾ بما ينزل من البرد ﴿من يشاء﴾ أن يصيبه من عباده ﴿ويصرفه عن من يشاء﴾ منهم ﴿يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾ أى يكاد ضوء البرق الذى فى السحاب من شدة بريقه وزيادة لمعانه يخطف أبصارهم.

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

٤٤ ﴿يقلب الله الليل والنهار...﴾ أى: يعاقب بينهما، وقيل: بالحر والبرد ﴿إن في ذلك لعبرة﴾ العبرة الدلالة الواضحة التى يكون بها الاعتبار ﴿لأولي الأبصار﴾ كل من له بصر يبصر به فيعقل آيات الله.

٤٥ ﴿والله خلق كل دابة من ماء...﴾ الدابة: كل ما دب على الأرض من الحيوان ﴿من ماء﴾ من نطفة، وهى المنى ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ وهى الحيات والحوت والدود ونحو ذلك ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ الإنسان والطير ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾ كالسرطان والعناكب وكثير من الحشرات وكالجمادات.

الدرس الرابع

(أدب المؤمنين وسوء أدب المنافقين)

٥٧/٤٦

مدة الحفظ: (يومان)

٤٦ ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات...﴾ وما فرطنا فى الكتاب من شئ ﴿والله يهدي من يشاء﴾ بتوفيقه للنظر الصحيح وإرشاده إلى التأمل الصادق ﴿إلى صراط مستقيم﴾ إلى طريق مستوٍ لا عوج فيه فيتوصل بذلك إلى نعيم الجنة.

٤٧ ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا...﴾ ويقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم صحيح ﴿ثم يتولى فريق منهم﴾ من هؤلاء المنافقين، فلا يطيعون رسول الله ﷺ فيما يأمرهم من الجهاد وغيره ﴿من بعد ذلك﴾ أى: من بعد ما صدر عنهم ما نسبوه إلى أنفسهم من دعوى الإيمان والطاعة: ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ الإشارة بقوله أولئك راجع إلى من تولى.

٤٨ ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم...﴾ أى ليحكم الرسول بينهم ﴿إذا فريق منهم معرضون﴾ عن المحاكمة إلى الرسول.

٤٩ ﴿وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين﴾ فلقد كانوا يعلمون أن حكم الله ورسوله لا يحيد عن الحق.

٥٠ ﴿أفي قلوبهم مرض...﴾؟ وهذا السؤال الأول للإثبات فمرض القلب جدير بأن ينشئ هذا الأمر ﴿أم ارتابوا﴾؟ والسؤال الثانى للتعجب. فهل هم يشكون فى حكم الله وهم يزعمون الإيمان؟ ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ والسؤال الثالث للاستنكار والتعجب من أمرهم الغريب.

٥٢/٥١ ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا...﴾ فهم السمع والطاعة بلا تردد ولا جدال ولا انحراف ﴿وأولئك هم المفلحون﴾. المفلحون لأن الله هو الذى يدبرأمورهم، وينظم علاقاتهم، ويحكم بينهم بعلمه وعدله ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾ وأدب الطاعة مع الله ورسوله، مع خشية الله وتقواه، أدب رفيع.

٥٣ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم...﴾ أى: لئن أمرتهم بالخروج إلى الجهاد ﴿ليخرجن﴾ ومعنى جهد أيمانهم طاقة ما قدروا أن يحلفوا، فرد الله عليهم، فقال ﴿قل لا تقسموا﴾ أى: لا تحلفوا على ما تزعمونه من الطاعة والخروج إلى الجهاد إن أمرتم به ﴿طاعة معروفة﴾ أى طاعة معروفة أولى بكم من إيمانكم ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ من الأعمال، أى فلماذا تقسمون إن كنتم صادقين؟

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

لهذا يعود فيأمرهم بالطاعة. الطاعة الحقيقية لا طاعتهم تلك المعروفة المفهومة!

٥٤ ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول...﴾ ﴿فإن تولوا﴾ وتعرضوا، أو تنافقوا ﴿فإنما عليه ما حمل﴾ من تبليغ الرساله وقد قام به وأداه ﴿وعليكم ما حملتم﴾ وهو أن تطيعوا وتخلصوا. وقد نكصتم عنه ولم تؤدوه: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ إلى المنهج القويم المؤدى إلى الفوز والفلاح ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ فليس مسئولا عن إيمانكم، وليس مقصراً إذا أنتم توليتم.

٥٥ ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات...﴾ ذلك وعد الله. ووعد الله حق. ولن يخلف الله وعده ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾ أى: هذا ما يلزمهم فعله لكى أوفي لهم بالوعد المذكور ﴿ومن كفر بعد ذلك﴾ أى: من كفر هذه النعم بعد ذلك الوعد الصحيح ﴿فأولئك﴾ الكافرون ﴿هم الفاسقون﴾ أى: الكاملون فى الفسق، وهو الخروج عن الطاعة، والطغيان فى الكفر.

٥٦ ﴿وأقيموا الصلاة...﴾ فهذه هى العدة.. الاتصال بالله وتقويم القلب بإقامة الصلاة ﴿وآتوا الزكاة﴾ بالاستعلاء على الشح وتطهير النفس والجماعة بإيتاء الزكاة ﴿وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾ وطاعة الرسول والرضى بحكمه، وتنفيذ شريعة الله فى الصغيرة والكبيرة ﴿لعلكم تر في الأرض: من الفساد والانحدار والخوف والقلق والضلال وفى الأخرة: من الغضب والعذاب والنكال.

٥٧ ﴿لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض...﴾ أى: لا تظن أنهم يفوتوننى إن أردت أن أوقع بهم العذاب ﴿ومأواهم النار ولبئس المصير﴾ فلا عليكم من قوة الكافرين، فأنتم أقوياء بإيمانكم.

الدرس الخامس
(آداب الاستئذان)
٦٤/٥٨
مدة الحفظ:(يومان)

يعود هذا الدرس للحديث آداب الاستئذان في داخل البيوت، إلى جانب عن الاستئذان من مجلس الرسول ﷺ:

٥٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم...﴾ وهم العبيد والإماء ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ وهم الأطفال الذكور والإناث ﴿ثلاث مرات﴾ ثلاث أوقات فى اليوم والليلة وقيل المراد: ثلاثة استئذانات كلما استأذنوا، أى لا يزيد على ثلاث ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ لأنه وقت القيام عن المضاجع، وطرح ثياب النوم ﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ وذلك عند انتصاف النهار، فإنهم قد يتجردون عن الثياب لأجل القيلولة ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ وذلك وقت التجرد عن الثياب والخلوة بالأهل ﴿ثلاث عورات لكم﴾ وسماها ﴿عورات﴾ لانكشاف العورات فيها. وفى هذه الأوقات الثلاثة لابد أن يستأذن الخدم، وأن يستأذن الصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم كى لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم. وهو أدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية، مستهينين بآثاره النفسية.

ويعقب على الآية بقوله ﴿والله عليم حكيم﴾ لأن المقام مقام علم الله، ومقام حكمته.

وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴿٥٩﴾ والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ﴿٦٠﴾ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴿٦١﴾

٥٩ ﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم... ﴾ كما استأذن الذين من قبلهم من الكبار. ويعقب على الآية بنفس التعقيب فى الآية السابقة ﴿ والله عليم حكيم ﴾.

ولقد سبق الأمر كذلك بإخفاء زينة النساء منعًا لإثارة الفتن والشهوات. فعاد يستثنى من النساء القواعد وهن العجائز:

٦٠ ﴿ والقواعد من النساء... ﴾ العجائز اللاتى قعدن عن الحيض والولد من الكبر ﴿ اللاتي لا يرجون نكاحا ﴾ أى: لا يطمعن فيه لكبرهن ﴿ فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ﴾ إذ لا رغبة للرجال فيهن وهى الثياب التى تكون على ظاهر البدن، لا الثياب التى على العورة ﴿ غير متبرجات بزينة ﴾ أي غير مظهرات للزينه ﴿ وأن يستعففن خير لهن ﴾ وهذا الأفضل أن لا يضعن ثيابهن ﴿ والله سميع عليم ﴾ كثير السماع والعلم بليغهما.

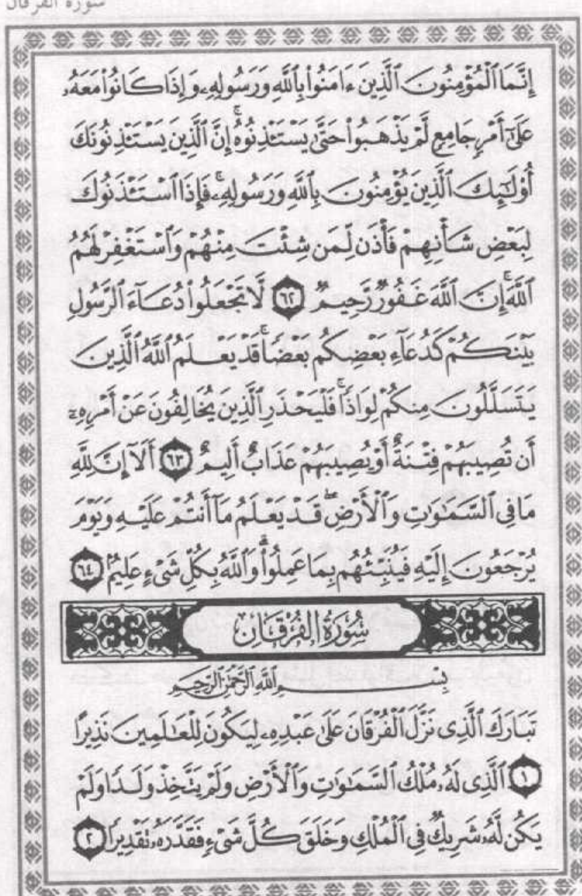
ثم يمضى فى تنظيم العلاقات والارتباطات بين الأقارب والأصدقاء:

٦١ ﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج... ﴾ روى أنهم كانوا يأكلون من هذه البيوت المذكورة – دون استئذان– ويستصحبون معهم العمى والعرج والمرضى ليطعموهم... الفقراء منهم... فتحرجوا أن يطعموا وتحرج هؤلاء أن يصحبوهم دون دعوة من أصحاب البيوت أو إذن.

فقد كانت حساسيتهم مرهفة. فكانوا يحذرون دائما أن يقعوا فيما نهى الله عنه، فأنزل الله هذه الآية، ترفع الحرج عن الأعمى والمريض والأعرج، وعن القريب أن يأكل من بيت قريبه وأن يصحب معه أمثال هؤلاء المحاويج. ولأن الآية آية تشريع، فنلحظ فيها دقة الأداء اللفظى والترتيب الموضوعى، كما تلمح فيها ترتيب القرابات. فهى تبدأ ببيوت الأبناء والأزواج ولا تذكرهم بل تقول الآية ﴿ من بيوتكم ﴾ فيدخل فيها بيت الإبن وبيت الزوج، فبيت الإبن بيت لأبيه، وبيت الزوج بيت لزوجته، وتليها بيوت الآباء، فبيوت الأمهات. فبيوت الإخوة.

فبيوت الأخوات. فبيوت الأعمام، فبيوت العمات فبيوت الأخوال، فبيوت الخالات.. ويضاف إلى هذه القرابات الخازن على مال الرجل فله أن يأكل مما يملك مفاتحه بالمعروف ولا يزيد على حاجة طعامه. ويلحق به بيوت الأصدقاء. ليلحق صلتهم بصلة القرابة. عند عدم التأذى والضرر فقد يسر الأصدقاء أن يأكل أصدقاؤهم من طعامهم دون استئذان.

ثم يبين الحالة التى يجوز عليها الأكل: ﴿ ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا ﴾ فقد كان من عادات بعضهم فى الجاهلية ألا يأكل طعامًا على انفراد. بعد ذلك يبين آداب دخول البيوت التى يؤكل فيها ﴿ فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ﴾ وهكذا ترتبط قلوب المؤمنين بربهم فى الصغيرة والكبيرة ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ وتدركون ما فى المنهج الإلهى من حكمة ومن تقدير.


إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه
على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستئذنوه إن الذين يستئذنونك
أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استئذنوك
لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم
الله إن الله غفور رحيم (٦٢) لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين
يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره
أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (٦٣) ألا إن لله
ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم
يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم (٦٤)

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا
(١) الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم
يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا (٢)

وينتقل السياق إلى تنظيم العلاقات بين الأسرة الكبيرة... أسرة المسلمين... ورئيسها وقائدها محمد ﷺ:

٦٢ ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله...﴾ لا الذين يقولون بأفواههم ثم لا يحققون مدلول قولهم، ولا يطيعون الله ورسوله. ﴿وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ والأمر الجامع هو الأمر الهام الذى يقتضى اشتراك الجماعة فيه، لرأى أو حرب أو عمل من الأعمال النافعة. فلا يذهب المؤمنون حتى يستأذنوا إمامهم ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت﴾ فيدع له الرأى إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن، فيرفع الحرج عن عدم الإذن.

٦٣ ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا...﴾ عن ابن عباس: كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظامًا لنبيه ﷺ وقوله ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا﴾ قال مقاتل بن حيان: هم المنافقون كان يثقل عليهم الحديث فى يوم الجمعه، ويعنى بالحديث الخطبة، فيلوذون ببعض أصحاب محمد ﷺ حتى يخرجوا من المسجد، وكان لا يصلح للرجل أن يخرج من المسجد إلا بإذن من النبى ﷺ فى يوم الجمعة، وكان إذا أراد أحدهم الخروج أشار بأصبعه إلى النبى ﷺ فيأذن له من غير أن يتكلم الرجل كان الرجل منهم إذا تكلم والنبى يخطب بطلت جمعته. وقوله ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أى عن أمر رسول الله ﷺ هو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ أى فى قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ أى فى الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك.

سورة الفرقان

الدرس الأول

(المشركون وتطاولهم على الله ورسوله)

٢٠/١

مدة الحفظ: يومان

٢/١ ﴿تبارك الذي نزل الفرقان...﴾ والتبارك البركة الكثيرة من كل خير. وقال الفراء: إن ﴿تبارك﴾ و (تقدس) فى العربية واحد، ومعناها: العظمة والفرقان: القرآن، يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال، وفى موضع التكريم لرسوله ﷺ يصفه بالعبودية ﴿على عبده﴾ ويرسم الغاية من تنزيل الفرقان ﴿ليكون للعالمين نذيرا﴾ منذراً للإنس والجن ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ دون غيره ﴿ولم يتخذ ولدا﴾ فيه رد على النصارى واليهود ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ فيه رد على طوائف المشركين من الوثنية وأهل الشرك الخفى ﴿وخلق كل شيء﴾ من الموجودات ﴿فقدره تقديرا﴾ بحكمته علي ما أراد، وهيأه لما يصلح له وقدر له تقديرا من الأجل والرزق.

معانى الكلمات:

يتسللون منكم: يخرجون منكم تدريجا فى خفية.

لواذا: يستتر بعضهم ببعض فى الخروج

يخالفون عن أمره: يعرضون أو يصدون عنه

فتنة: بلاء ومحنة فى الدنيا.

فقدره: فهيأه لما يصلح له ويليق به.

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (٣) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٦) وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (٨) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٩) تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا (١٠) بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١)

٣ ﴿واتخذوا من دونه آلهة...﴾ أى: اتخذ المشركون لأنفسهم آلهة غير الله تعالى. ويجرد آلهتهم المدعاة من كل خصائص الألوهية فهم ﴿لا يخلقون شيئا﴾ والله خلق كل شئ ﴿وهم يخلقون﴾... يخلقهم عبادهم - بمعنى يصنعونهم- ويخلقهم الله بمعنى يوجدهم ﴿ولا يملكون لأنفسهم﴾ فضلا عن أن يملكوا لعبادهم ﴿ضرا ولا نفعا﴾ والذى لا يملك لنفسه النفع قد يسهل عليه الضر. ﴿ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا﴾ فماذا لهم بعد ذلك من خصائص الألوهية؟

٤ ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه...﴾ فهذا القرآن نوعٌ من الكذب اختلقه محمد من عند نفسه ﴿وأعانه عليه﴾ أي: على الاختلاق والافتراء ﴿قوم آخرون﴾ يعنون بعض اليهود والنصارى ﴿فقد جاءوا ظلما وزورا﴾ ظلما هائلا عظيما وكذبا ظاهرا.

٥ ﴿وقالوا أساطير الأولين...﴾ أى قالوا: إن هذا القرآن أحاديث الأولين وما سطروه من الأخبار والخرافات ﴿اكتتبها﴾ أي: استكتبها من أناس آخرين ﴿فهي تملى عليه﴾ ليحفظها من أفواه من يمليها عليه ﴿بكرة وأصيلا﴾ غدوة وعشيا. وقيل المعني: دائما فى جميع الأوقات.

٦ ﴿قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض﴾ ولكن باب التوبه مفتوح، والرجوع عن الإثم ممكن ﴿إنه كان غفورا رحيما﴾ لا يعجل عليكم بعقوبة، لأنه كثير المغفرة والرحمة.

٨/٧ ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق...﴾ ماله بشراً يتصرف تصرفات البشر؟ وهم يرونه واحداً منهم من لحم ودم. وهم لا يوحى إليهم ﴿لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا﴾ طلبوا أن يكون مصحوبًا بملك يعضده ويساعده ويصدقه ويشهد له بالرسالة ﴿أو يلقى إليه كنز﴾ وهذا اقتراح ثان ليستغنى به عن طلب الرزق ﴿أو تكون له جنة يأكل منها﴾ أى بساتن ليكون له بذلك مزية علينا ﴿وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ مغلوبا على عقله بالسحر وهى كلمة ظالمة فاحشة.

٩ ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال...﴾ ليتوصلوا بها إلى تكذيبك، والأمثال: هى الأقوال النادرة والاقتراحات الغريبة ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ إلى القدح في نبوة هذا النبى الكريم.

١٠ ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك...﴾ الذى اقترحوه ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا﴾ القصر: البيت من الحجارة، وبيت الطين.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك﴾ عن ابن عباس قال: لما عير المشركون رسول الله ﷺ بالفاقه وقالوا: (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق) حزن رسول الله ﷺ فنزل جبريل عليه السلام- من عند ربه معزيًا له. ثم جاء من بعد ذلك رضوان خازن الجنة يعرض عليه مفاتيح خزائن الدنيا. فتواضع رسول الله ﷺ وقال: الفقر أحب إلى وأن أكون عبداً صابرا.. وقد أراه جبريل بعد ذلك منازله فوق منازل الأنبياء فى الجنة.

١١ ﴿بل كذبوا بالساعة...﴾ وهذا التكذيب يجعلهم لا ينتفعون بالدلائل ولا يتأملون فيها ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا﴾ أى ناراً مشتعلة متسعرة يعذب فيها.

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

١٤/١٢ ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا..﴾ فالنار هنا تنظر فترى أولئك المكذبين بالساعة تراهم من بعيد فإذا هى تتغيظ وتزفر فيسمعونها وهى تتحرق عليهم ﴿وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا﴾ ووصف المكان بالضيق للدلالة على زيادة الشدة وتناهى البلاء ﴿مقرنين﴾ قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالجوامع مصفدين بالحديد ﴿دعوا هنالك ثبورا﴾ فالهلاك أمنية المتمنى، والمنفذ الوحيد للخلاص من هذا الكرب الذى لا يطاق. ثم ها هم أولاء يسمعون جواب الدعاء. يسمعون تهكمًا ساخرًا مريرًا ﴿لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا﴾ فهلاك واحد لا يجدى شيئا ولا يكفى شيئا وفى هذا الموقف المكروب يعرض ما أعد للمتقين: يعرض فى أسلوب تهكم كذلك ساخر.

١٦/١٥ ﴿قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون...﴾ أذلك الكرب الفظيع خير؟ أم جنة الخلد التى وعدها الله للمتقين ﴿لهم فيها ما يشاءون﴾ من النعيم ﴿كان على ربك وعدا مسئولا﴾ يسألونه الوفاء به وهو مجيبهم إليه.

ثم يمضى مستطردًا يعرض مشهدًا آخر من مشاهد الساعة:

١٨/١٧ ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله..﴾ قد يكونون هم الأصنام. وقد يكونون هم الملائكة والجن. ﴿فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل﴾ أكان ضلالهم بدعوتكم لهم إلى عبادتك، أم هم ضلوا عن سبيل الحق بأنفسهم إذ عبدوكم. والجواب هو الإنابة من هؤلاء (الآلهة) الإنابة لله الواحد القهار. وتنزيهه عن ذلك الافتراء ﴿قالوا سبحانك﴾ للتعجب مما قيل لهم ﴿ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ أى ما ينبغى لأحد أن يعبدنا فإنا عبيد لك فقراء إليك، ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ أى طال عليهم العمر حتى نسوا الذكر، أى نسوا ما أنزلته إليهم على ألسنة رسلك من الدعوة إلى عبادتك وحدك لا شريك لك ﴿وكانوا قوما بورا﴾ أى: لا خير فيهم.

وقال الله سبحانه مخاطبًا المشركين:

١٩ ﴿فقد كذبوكم بما تقولون...﴾ ها قد كذبكم المعبودون فى قولكم إنها آلهة ﴿فما تستطيعون صرفا﴾ أى صرفًا للعذاب الذى عذبهم الله به ﴿ولا نصرا﴾ ولا يجدون أحدًا ينصرهم من عذاب الله.

ثم يعود السياق إلى الرسول ﷺ ليواسيه ويسليه:

٢٠ ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ أى: لأنهم بشر لا يستغنون عن حاجتهم البشرية، أي: فكذلك أنت يا محمد، فليس ذلك ما نعًا من أن تكون رسولاً من عند الله، فلماذا يقولون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ أى اختبرنا بعضكم ببعض، وبلونا بعضكم ببعض، لنعلم من يطيع ومن يعصى، ولهذا قال: ﴿أتصبرون وكان ربك بصيرا﴾ فليثبت من يثبت على هذا الابتلاء وكان ربك بصيرًا بالطبائع والقلوب والمصائر والغايات.

معاني الكلمات:

تغيظا: صوت غليان كصوت المتغيظ

نسوا الذكر: غافلين عن دلائل الوحدانية

قوما بورا: هالكين. أو فاسدين

صرفا: دفعًا للعذاب.

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا
﴿٢١﴾ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ
هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا
وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴿٢٤﴾ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴿٢٦﴾ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ
يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ
فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ
وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ
يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا
وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ
وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾

الدرس الثانى:
(تطاول المشركين، ومشاهد القيامة)
٤٤/٢١
مدة الحفظ: يومان.

٢١ ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا...﴾ فقد كانوا يستبعدون أن يكون الرسول بشراً وكانوا يطلبون لكى يؤمنوا أن تنزل عليهم الملائكة، أو أن يروا الله سبحانه وتعالى عيانا فيخبرهم بأن محمداً رسول من عنده ﴿لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا﴾ لقد استكبروا وطغوا طغيانا كبيراً.

٢٣/٢٢ ﴿يوم يرون الملائكة...﴾ ولكنها رؤية عند الموت أو عند الحشر ﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ ففى هذا الوقت قد حرمهم الله فيه البشرى ﴿ويقولون حجرا محجورا﴾ أى حراماً وهى جملة اتقاء للشر وللأعداء كانوا يقولونها استبعاداً لأعدائهم وتحرزا من أذاهم ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ فإذا كل ما عملوا فى الدنيا من عمل صالح هباء.

٢٤ ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا...﴾ أى أفضل منزلاً فى الجنة ﴿وأحسن مقيلا﴾ مستقرون مستروحون ناعمون فى الظلال.

وهنا يرسم مشهداً آخر يوم يتحقق اقتراحهم بنزول الملائكة إليهم:

٢٦/٢٥ ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام...﴾ وهذه الآية وغيرها فى القرآن يقرر أن أحداثا فلكية ضخمة ستتم فى ذلك اليوم، وفى هذا اليوم تتشقق السماء بالغيوم وأنزلت الملائكة بصحائف أعمال العباد ﴿ونزل الملائكة تنزيلا﴾ جماعة منهم بعد جماعة ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ الملك المطلق فى ذلك اليوم للرحمن وهو يوم على الكافرين شديد، لما ينالهم فيه من العقاب.

٢٩/٢٧ ﴿ويوم يعض الظالم على يديه...﴾ فلا تكفيه يد واحدة يعض عليها ﴿يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا﴾ فسلكت طريقة، لم أفارقه، ولم أضل عنه ﴿يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا﴾ ويشمل كل صاحب سوء يصد عن سبيل الرسول ويضل عن ذكر الله ﴿لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني﴾ لقد كان شيطانًا يضل، أو كان عونًا للشيطان ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾ بعد أن جعله مضلاً.

٣٠ ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾ لقد هجروا القرآن الذى نزله الله على عبده لينذرهم ويبصرهم. وإن ربه ليعلم، ولكنه دعاء يشهد به ربه على أنه لم يأل جهداً، ولكن قومه لم يستمعوا لهذا القرآن. فيسليه ربه ويعزيه. فتلك هى السنة الجارية قبله فى جميع الرسالات:

٣١ ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين...﴾ فلا تجزع يا محمد فإن هذا دأب الأنبياء قبلك، واصبر كما صبروا ﴿وكفى بربك هاديا ونصيرا﴾ يهدى عباده، وينصرهم على الأعداء، أي فكذلك سوف يصنع الله لك.

٣٢ ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة...﴾ قال الكافرون هلا نزل هذا القرآن دفعة واحدة ولم ينزل حسب الحوادث وغفلوا أننا نزلناه مفرقًا حسب الحوادث الطارئة ﴿لنثبت به فؤادك﴾ حيالها ولذلك فرقناه تفريقا ﴿ورتلناه ترتيلا﴾ أى: آية بعد آية.

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾
الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ
نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا
وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا
لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ
الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ
كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ
لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ
مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

ويمضى فى تثبيت الرسول ﷺ وتطمينه علي إمداده بالحجة البالغة:

٣٣ ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق...﴾ إنهم ليجادلون بالباطل، والله يرد عليهم باطلهم بالحق الذى يدمغه ﴿وأحسن تفسيرا﴾ الواضح الذى لا يتلبس به الباطل.

٣٤ ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم...﴾ ومشهد الحشر على الوجوه فيه من الإهانة والتحقير والانقلاب، ما يقابل التعالى والاستكبار والإعراض عن الحق. وهو مشهد يذل كبرياءهم ويزلزل عنادهم ﴿أولئك شر مكانا وأضل سبيلا﴾ ذم لهم لدعواهم علي رسول الله.

ثم يجول بهم جولة في مصارع المكذبين من السابقين:

٣٥/ ٤٠ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب...﴾ إنها أمثلة مختصرة سريعة ترسم مصائر المكذبين فهذا موسى يؤتى الكتاب ويرسل معه أخوه هارون وزيراً ومعينا. ويؤمر بمواجهة ﴿القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ ذلك أن فرعون وملأه كانوا مكذبين بآيات الله. وترسم الآية مصيرهم ﴿فدمرناهم تدميرا﴾.

وهؤلاء قوم نوح ﴿لما كذبوا الرسل أغرقناهم﴾ وهم كذبوا نوحا وحده، فلما كذبوه كانوا قد كذبوا الرسل جميعا ﴿وجعلناهم للناس آية﴾ فإن آية الطوفان لا تنسى على الدهر. وعاد وثمود وأصحاب الرس والقرون الكثيرة بين ذلك ومن القرية التى أمطرت مطر السوء -وهى قرية لوط- كلها تسير سيرة واحدة وتنتهى نهاية واحدة ﴿وكلا ضربنا له الأمثال﴾ للعظة والاعتبار ﴿وكلا تبرنا تتبيرا﴾ وكانت عاقبة التكذيب هى التحطم والتفتيت والدمار.

وينتهى السياق بمصرع قوم لوط وهم يمرون عليه فى سدوم فى رحلة الصيف إلى الشام. وقد أهلكها الله بمطر بركانى من الأبخرة والحجارة فدمرها تدميرا. ويقرر في نهايته أن قلوبهم لا تعتبر ولا تتأثر لأنهم لا ينتظرون البعث ﴿بل كانوا لا يرجون نشورا﴾ وذلك هو السبب فى عدم اتعاظهم.

٤١ ﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا...﴾ أى بدل الإيمان بك والتفكر فيما جئتهم به ينصرفون إلي السخرية قائلين ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾.

٤٢ ﴿إن كاد ليضلنا عن آلهتنا...﴾

أى: إنه قد كاد أن يصرفنا عن آلهتنا فنترك عبادتها ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ أى: حبسنا أنفسنا على عبادتها، ولم نُطِعْهُ في اجتنابها ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ الذى يستحقونه ويستوجبونه بسبب كفرهم ﴿من﴾ هو ﴿أضل سبيلا﴾ أى: أبعد طريقًا عن الحق والهدى، أهم أم المؤمنون؟ ويلتفت الخطاب إلى رسول الله ﷺ يعزيه عن عنادهم:

٤٣ ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه...﴾ أطاع هواه طاعة كطاعة الإله، لا يهوى شيئا إلا اتبعه ﴿أفأنت تكون عليه وكيلا﴾ حفيظا وكفيلاً حتى ترده إلى الإيمان وتخرجه من الكفر ولست تقدر على ذلك ولا تطيقه، وإنما عليك البلاغ.

معاني الكلمات:

فدمرناهم: فأهلكناهم.

وأصحاب الرس: البئر -قتلوا نبيهم ودسوه فيها

لا يرجون نشورا: لا يتوقعون بعثا.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

٤٤ ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون...﴾ لأن قلة منهم كانت تجنح إلى الهدى.

الدرس الثالث
(جولة في مشاهد الكون)
٤٥/٦٢

مدة الحفظ: يوم واحد.

٤٥ ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل...﴾ والظل يتحرك مع حركة الأرض في مواجهة الشمس ﴿ولو شاء لجعله ساكنا﴾ فلو كانت الأرض ثابته لسكن الظل فوقها لا يمتد ولا يقبض ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾ لأن الظل يزيد بها وينقص، ويمتد ويتقلص.

٤٦ ﴿ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا﴾ فإذا طلعت الشمس صار الظل مقبوضا وخلفه في الجو شعاع الشمس ﴿قبضا يسيرا﴾ على تدريج، قليلاً بقدر ارتفاع الشمس.

٤٧ ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباسا...﴾ والليل يستر الأشياء والأحياء فتبدو هذه الدنيا وكأنها تلبس الليل وتتشح بظلامه فهو ﴿لباسا﴾. والنوم انقطاع عن الحس والوعي والشعور. فهو ﴿سباتا﴾. ثم يتنفس الصبح وتنبعث الحركة، وتدب الحياة في النهار.

فهو ﴿نشورا﴾ من ذلك الموت الصغير.

٤٨ ﴿وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته...﴾ هو لا غيره من الآلهة الباطلة. أي: أرسل الرياح مبشرات بالمطر متقدمة عليه وهو الرحمة وهي بين يديه ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهورا﴾ لا يأتي ماء السماء على شئ متنجس إلا طهره ﴿لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا﴾ فيلقى على الحياة ظلا خاصًا. ظل الطهارة فالله سبحانه أراد الحياة طاهرة نقية وهو يغسل وجه الأرض بالماء الطهور.

٤٩ ﴿لنحيي به بلدة ميتا...﴾ نحييها بالماء وبإخراج النبات من المكان الذي لا نبات فيه ﴿ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا﴾ أي نسقى ذلك الماء. والأناسي: جمع إنسان.

٥٠/٥٢ ﴿ولقد صرفناه بينهم ليذكروا...﴾ ليتفكروا ويعتبروا ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا﴾ أي: رسولا ينذرهم. كما قسمنا المطر بينهم ﴿فلا تطع الكافرين﴾ بل اجتهد في الدعوة واثبت فيها ﴿وجاهدهم به جهادا كبيرا﴾ واتل عليهم ما فيه لتهتز قلوبهم هزًا ويزلزل أرواحهم زلزالاً كبيرا.

٥٣ ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات...﴾ أى أرسلها وأفاض أحدهما إلى الآخر. فالفرات: الماء الشديد العذوبة ﴿وهذا ملح أجاج﴾ أي بليغ الملوحة ﴿وجعل بينهما برزخا﴾ البرزخ: الحاجز بينهما ويمنعهما التمازج ﴿وحجرا محجورا﴾ سترًا مستورًا يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر.

٥٤ ﴿وهو الذي خلق من الماء بشرا...﴾ من ماء النطفة خلق إنسانا ﴿فجعله نسبا وصهرا﴾ فهو ابتداء أمره ولد نسيب، ثم يتزوج فيصير صهرًا. ثم يصير له أصهار وأختان وقرابات وكل ذلك من ماء مهين ﴿وكان ربك قديرا﴾.

٥٥ ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم...﴾ إن عبدوه ﴿ولا يضرهم﴾ إن يتركوه ﴿وكان الكافر على ربه ظهيرا﴾ يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله.

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

٥٦ ﴿وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا﴾ أى: بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين. مبشراً بالجنة لمن أطاع الله ونذيرا بين يدى عذاب شديد لمن خالف أمر الله.

٥٧ ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر...﴾ ما أسألكم عليه من القرآن من أجر، أو على تبليغ الرسالة ﴿إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا﴾ لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليفعل.

٥٨ ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت...﴾ الحى هو الذى يوثق به فى المصالح، ولا حياة على الدوام إلا الله سبحانه ﴿وسبح بحمده﴾ أى: نزهه عن صفات النقصان ﴿وكفى به بذنوب عباده خبيرا﴾ الخبير المطلع على الأمور.

٥٩ ﴿الذي خلق السموات والأرض وما بينهما...﴾ والأيام الستة التى خلق فيها السموات والأرض لا يعلم مقدارها إلا هو. أما الاستواء على العرش فهو معنى الاستعلاء والسيطرة. ومع الاستعلاء والسيطرة والرحمة الكبيرة الدائمة ﴿الرحمن﴾ ومع الرحمة الخبرة ﴿فاسئل به خبيرا﴾ الخبرة المطلقة التى لا يخفى عليها شئ فإذا سألت الله، فإنما تسأل خبيرا.

٦٠ ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن...﴾ أى: لا نعرف الرحمن ولا نقر به ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ أى لمجرد قولك ﴿وزادهم نفورا﴾ نفوراً عن الدين وبعداً عنه. ويرد على تطاولهم هذا بتمجيد الله:

٦١ ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا...﴾ والبروج منازل الكواكب السيارة ومداراتها الفلكية الهائلة وسميت بروجا: وهى القصور العالية ﴿وجعل فيها سراجا﴾ أى شمساً متقدة ﴿وقمرا منيرا﴾ ينير الأرض إذا طلع، لكنه غير متقد.

٦٢ ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة...﴾ أحدهما يخلف الأخر ﴿لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا﴾ وعن ابن عباس: يقول فى الآية: من فاته شئ من الليل أن يعمله أدركه بالنهار أو من النهار أدركه بالليل.

الدرس الخامس
(صفات عباد الرحمن)
٧٧/٦٢

مدة الحفظ: يومان.

٦٧/٦٣ ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا...﴾ الهون: السكينة والوقار دون تكبر ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ فلا يجهلون مع من يجهل وهذا السلام هو: سلام المتاركة، لا خير فيها ولا شر. ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ إنهم يقضون ليلهم سجداً على وجوههم، وقياماً على أقدامهم، فى الصلاة والتهجد ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما﴾ أى لازم دائم ﴿إنها ساءت مستقرا ومقاما﴾ أى: بئس المستقر النار، وبئس مكان الإقامة هى ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ وهذه هى سمة الإسلام أيضا ينظم هذا الجانب، فيجعل الاعتدال سمة من سمات الإيمان ﴿وكان بين ذلك قواما﴾

معانى الكلمات:

استوى على العرش : استواء يليق بكماله

وزادهم نفورا : تباعداً عن الإيمان

كان غراما : لازما أو ممتداً كلزوم الغريم.

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا
صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ
فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي
لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

٦٨ ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر...﴾ لا يصرفون الدعاء لغير الله ﷻ فيتخذوه ربا من الأرباب ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله﴾ أى حرم قتلها ﴿إلا بالحق﴾ أى: بما يحق أن تقتل به النفوس وهى: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس ﴿ولا يزنون﴾ لا يستحلون الفروج المحرمة بغير زواج، ولا ملك يمين ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أى: شيئا مما ذكر ﴿يلق﴾ فى الأخرة ﴿أثاما﴾ والأثام العقاب.

٦٩ ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة...﴾ أى: يكرر عليه ويغلظ ﴿ويخلد فيه مهانا﴾ أى حقيراً ذليلاً.

٧٠ ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا...﴾ أى: جزاؤه على ما فعل من هذه الصفات القبيحة ما ذكر ﴿إلا من تاب﴾ فى الدنيا إلى الله عز وجل من جميع ذلك، فإن الله يتوب عليه ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ يمحو عنهم المعاصى ويثبت لهم مكانها طاعات.

٧١ ﴿ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا﴾ أى: من تاب عما اقترف وعمل عملاً صالحا بعد ذلك، فإنه يرجع إلى الله رجوعًا صحيحًا قويًا. وهو الذى حقق توبته بالأعمال الصالحة.

٧٢ ﴿والذين لا يشهدون الزور...﴾ أى لايشهدون الشهادة الكاذبة، أو لا يحضرون الزور ولا يشاهدونه، والزور هو الكذب والباطل ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾ أى: معرضين عنه.

٧٣ ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم...﴾ أى: بالقرآن، أو بما فيه موعظة وعبرة ﴿لم يخروا عليها صما وعميانا﴾ ولكنهم أكبوا عليها، سامعين مبصرين، وانتفعوا بها.

٧٤ ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين...﴾ أى: اجعلهم لنا موضع سرور بتوفيقنا وإياهم لطاعتك.

وقرة العين برد دمعها، لأنه دليل السرور والضحك ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾ أى: قدوة يقتدى بنا فى الخير.

٧٥ ﴿أولئك يجزون الغرفة...﴾ الغرفة: الدرجة الرفيعة، وهى أعلى منازل الجنة وأفضلها ﴿بما صبروا﴾ بسبب صبرهم علي مشاق التكليف ﴿ويلقون فيها تحية وسلاما﴾ يحيى بعضهم بعضا، ويرسل إليهم الرب سبحانه بالسلام، والملائكة تحييهم وتسلم عليهم، وتدعو لهم بالسلامة من الآفات.

٧٦ ﴿خالدين فيها...﴾ مقيمين فيها من غير موت ﴿حسنت مستقرا ومقاما﴾ أى: حسنت الغرفة مستقراً يستقرون فيه، ومقامًا يقيمون به، وهذا مقابل ما تقدم من قوله: ساءت مستقراً ومقاما.

٧٧ ﴿قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم...﴾ بين سبحانه أنه غنى عن طاعة الكل. أى: أىّ مبالاة يبالى بكم لولا أنكم تدعونه وتعبدونه ﴿فقد كذبتم﴾ بالتوحيد ﴿فسوف يكون لزاما﴾ أى فسوف يكون جزاء التكذيب لازما لكم. والمراد: ما لزم المشركين يوم بدر، وقيل: هو عذاب الآخرة.

معانى الكلمات:

لم يخروا: لم يسقطوا ولم يقعوا

ما يعبأ بكم: ما يكترث وما يبالى بكم.

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم ﴿١﴾ تلك آيات الكتاب المبين ﴿٢﴾ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴿٣﴾ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴿٤﴾ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ﴿٥﴾ فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون ﴿٦﴾ أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴿٧﴾ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿٨﴾ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴿٩﴾ وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين ﴿١٠﴾ قوم فرعون ألا يتقون ﴿١١﴾ قال رب إني أخاف أن يكذبون ﴿١٢﴾ ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون ﴿١٣﴾ ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون ﴿١٤﴾ قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون ﴿١٥﴾ فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين ﴿١٦﴾ أن أرسل معنا بني إسرائيل ﴿١٧﴾ قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين ﴿١٨﴾ وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين ﴿١٩﴾

سورة الشعراء:

(الدرس الأول)

المقدمة

من الآية رقم ١/١٩

مدة الحفظ: يوم واحد.

١/٢ ﴿طسم ﴿١﴾ تلك آيات الكتاب المبين﴾ القرآن البين الظاهر معانيه.

٣ ﴿لعلك باخع نفسك...﴾ باخع: أى قاتل نفسك ﴿ألا يكونوا مؤمنين﴾ وهذا يصور مدى ما كان يعانيه رسول الله ﷺ من تكذيبهم.

٤ ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية..﴾ أى: معجزة تلجئهم إلى الإيمان.

ولكنهم لم يفطنوا إلى هذه الحكمة فكان يعرضون عما يتنزل عليهم:

٥ ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين﴾ فهم يعرضون عن الرحمة التى تتنزل عليهم ويرفضونها.

٦ ﴿فقد كذبوا...﴾ أى بالذكر الذى يأتيهم، تكذيبًا صريحًا، ولم يكتفوا بمجرد الإعراض، ﴿فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون﴾ والأنباء: هو ما يستحقونه من العقوبة آجلا وعاجلاً، جزاء استهزائهم.

٧/٩ ﴿أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم...﴾ ومعجزة إخراج النبات الحى من الأرض، وجعله زوجًا ذكرًا وأنثى، تتكرر حولهم فى كل لحظة ﴿أولم يروا﴾ والأمر لا يحتاج إلى أكثر من رؤية ﴿إن في ذلك لآية﴾ وهى دلالة بينة على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ أى سبق علمى فيهم أنهم سيكونون هكذا ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾

الدرس الثانى

(قصة موسى عليه السلام)

من الآية رقم ١٠/٦٨

مدة الحفظ: ثلاثة أيام

١٠/١٧ ﴿وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين﴾ ﴿قوم فرعون ألا يتقون﴾ وهذا هو المشهد الأول: مشهد التكليف بالرسالة وهو يبدأ بإعلان صفة القوم ﴿القوم الظالمين﴾ جمعوا بين الكفر الذى ظلموا به أنفسهم، وبين المعاصى التى ظلموا بها غيرهم ﴿ألا يتقون﴾ ألا يخافون عقاب الله سبحانه وتعالى.

﴿قال رب إني أخاف أن يكذبون﴾ أى: يكذبوا بالرسالة ﴿ويضيق صدري﴾ وهذا سبب خوفه ﴿ولا ينطلق لساني﴾ بتأدية الرسالة ﴿فأرسل إلى هرون﴾ ليكون معى رسولاً مؤازرًا معاونا ﴿ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون﴾ وهو قتله للقبطى فخاف أن يقتلوه به ﴿قال كلا فاذهبا بآياتنا﴾ أى أنت وأخوك ولا تخف من القبط ﴿إنا معكم مستمعون﴾ أراد سبحانه تقوية قلوبهما وأنه متول لحفظهما ونصرهما ﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ وقيل إن كل واحد منا رسول رب العالمين ﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ هذا مضمون الرسالة. أى: أطلقهم من خدمتك وحصرك ليخرجوا معى من مصر.

١٨/١٩ ﴿قال ألم نربك فينا وليدا﴾ ربيناك صغيرا، ولم نقتلك فيمن قتلنا من الأطفال ﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ أى: فمتى كان هذا الذى تدعيه من أمر النبوة ﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ عدد عليه النعم، ثم ذكر له ذنوبه وأراد بالفعلة قتل القبطى ﴿وأنت من الكافرين﴾ للنعمة، حيث قتلت رجلاً من أصحابى.

قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ﴿٢٠﴾ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين ﴿٢١﴾ وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل ﴿٢٢﴾ قال فرعون وما رب العلمين ﴿٢٣﴾ قال رب السموت والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴿٢٤﴾ قال لمن حوله ألا تستمعون ﴿٢٥﴾ قال ربكم ورب ءابائكم الأولين ﴿٢٦﴾ قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴿٢٧﴾ قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴿٢٨﴾ قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين ﴿٢٩﴾ قال أولو جئتك بشيء مبين ﴿٣٠﴾ قال فأت به إن كنت من الصدقين ﴿٣١﴾ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ﴿٣٢﴾ ونزع يده فإذا هي بيضاء للنظرين ﴿٣٣﴾ قال للملإ حوله إن هذا لسحر عليم ﴿٣٤﴾ يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون ﴿٣٥﴾ قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حشرين ﴿٣٦﴾ يأتوك بكل سحار عليم ﴿٣٧﴾ فجمع السحرة لميقت يوم معلوم ﴿٣٨﴾ وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ﴿٣٩﴾

٢٢/٢٠ ﴿قال فعلتها إذا وأنا من الضالين...﴾ أى: من الجاهلين قبل أن يأتيه العلم الذى علمه الله ﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾ إلى مدين ﴿فوهب لي ربي حكما﴾ أى: نبوة، أو علمًا ﴿وجعلني من المرسلين﴾ أى: أكرمنى بأن جعلنى أحد أنبيائه المرسلين ﴿وتلك نعمة تمنها عليّ أن عبدت بني إسرائيل﴾ أتَمُن علىّ أن ربيتنى وليداً وأنت قد استعبدت بنى إسرائيل وقتلهم وهم قومى. مما اضطر أمى أن تلقينى فى التابوت، فتقذف بالتابوت فى الماء.

٢٦/٢٣ ﴿قال فرعون وما رب العالمين...﴾ أى: أى شئ هو؟ ﴿قال﴾ موسى هو ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ فأجابه بما يدل على القدرة الإلهية ﴿إن كنتم موقنين﴾ بشئ من الأشياء ﴿قال﴾ فرعون ﴿لمن حوله ألا تستمعون﴾ معجبا لهم من ضعف المقالة. وهذا من اللعين مغالطة. ﴿قال ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ وهجم بها موسى على فرعون بصفة أخرى من صفات رب العالمين.

ويرمى فرعون موسى فى تهكم بالجنون:

٢٧ ﴿قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ ليوقعهم فى الحيرة مظهراً أنه مستخف بما قاله موسى وكأنه يقول أن أسأله عن شئ وهو يجيبنى بغيره.

ويمضى موسى فى طريقه يصدع بكملة الحق:

٢٨ ﴿قال رب المشرق والمغرب وما بينهما...﴾ وموسى يدعوهم إلى التدبر والتفكر بهذين المشهدين المعروضين للأنظار كل يوم ولاتنتبه إليها القلوب لكثرة تكرارها وشدة ألفتها ﴿إن كنتم تعقلون﴾ أنت يا فرعون ومن معك من أهل العقول.

وهنا ينهى فرعون الحوار مع موسى بالتهديد الغليظ بالبطش الصريح:

٢٩ ﴿قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ وهو هنا رجع لاستخدام القوة لإكراه موسى على ترك رسالته.

غير أن التهديد لم يفقد موسى رباطة جأشه:

٣٣/٣٠ ﴿قال أو لو جئتك بشيء مبين﴾ يبين لك صدق دعواى؟ قال: هاته إن كتب من الصادقين. فألقى عصاه فإذا هى ثعبان، وأخرج يده من تحت إبطه فإذا هى بيضاء تتلألأ نوراً.

وقد أحس فرعون بضخامة المعجزة وقوتها، فأسرع يقاومها ويدفعها:

٣٧/٣٤ ﴿قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم...﴾ يريد أن يخرجكم من دياركم بسحره فماذا تشيرون به على؟ قالوا أرجئه وأخاه لوقت آخر وابعث في المدائن من يجمع لك السحرة الماهرين.

وهنا يسدل الستار على هذا المشهد ليرفع على مشهد السحرة يحشدون:

٣٩/٣٨ ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ هو يوم الزينة أى: يوم عيدهم ﴿وقيل للناس هل أنتم مجتمعون﴾ ليشاهدوا ما يكون من موسى والسحرة.

معانى الكلمات:

عبدت بني إسرائيل: اتخذتهم عبيداً لك

أرجه وأخاه: أخر أمرهما ولا تعجل بعقوبتهما.

هل أنتم مجتمعون: حث على الاجتماع واستعجال لهم.

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ
لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا
أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

٤٠ ﴿لعلنا نتبع السحرة...﴾ نتبعهم في دينهم ﴿إن كانوا هم الغالبين﴾ أظهروا كأنهم على الحياد استخفافًا بعقول قومهم.

ثم يجئ مشهد السحرة بحضر. فرعون قبل المباراة:

٤١/ ٤٢ ﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا...﴾ أى جزاء تجزينا به من مال أو جاه ﴿إن كنا نحن الغالبين﴾ فوافقهم فرعون على ذلك ﴿قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين﴾ أى: نعم لكم ذلك عندى مع زيادة عليه، وهى كونكم من المقربين لدىّ -أغراهم بالمناصب.

٤٣/ ٥١ ﴿قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون﴾ أراد أن يقهرهم بالحجة، ويظهر لهم أن ما جاء به ليس من الجنس الذى أرادوا معارضته. وبدأوا الجولة باسم فرعون وعزته ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا﴾ عند الإلقاء ﴿بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون﴾ والمراد بالعزة العظمة ﴿فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾ ووقعت المفاجأة المذهلة التى لم يكن يتوقعها كبار السحرة. عندئذ لا يملكون أنفسهم من الإذعان للحق الواضح الذى لايقبل جدلاً.

﴿فألقي السحرة ساجدين﴾ لأنهم علموا بعدما شاهدوا أنه صنع صانع حكيم، ليس من صنيع البشر، فآمنوا بالله وسجدوا له، وأجابوا دعوة موسى وقبلوا نبوته ﴿قالوا آمنا برب العالمين (٤٧) رب موسى وهرون﴾ فيه تبكيت لفرعون بأنه ليس برب، وأن الرب فى الحقيقة هو هذا وأنه رب العالمين ﴿قال﴾ فرعون ﴿آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ وجن جنونه ولجأ إلى التهديد البغيض بالعذاب والنكال ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ وكأنه اعتراف بأن موسى كبيرهم ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ أى اليد اليمنى مع الرجل اليسرى أو عكسه ﴿ولأصلبنكم أجمعين﴾ إنها الحماقة التى يرتكبها كل طاغية، حينما يحس بالخطر علي عرشه أو شخصه.

أما كلمة الفئة المؤمنة التى رأت النور: ﴿قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون﴾ أى: لا ضرر علينا وليكن فى هذه الأرض ما يكون فالمطمع الذى نرجوه ﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ جزاء ﴿أن كنا أول المؤمنين﴾... وأن كنا نحن السابقين...

٥٢/ ٦٠ ﴿وأوحينا إلى موسى...﴾ أن اخرج ببنى إسرائيل من مصر ليلاً وإن قوم فرعون لمقتفون لآثاركم ليمنعوكم. وأرسل فرعون بعد هزيمة السحرة فى المدائن حاشدين للجيوش، قائلا: إن بنى إسرائيل لطائفة قليلة العدد ﴿وإنهم لنا لغائظون﴾ وقد أتت ما سبب لنا الغيظ ﴿وإنا لجميع حاذرون﴾ فلا بد من إبادتهم قبل أن يتفاقم شرهم ويفتنوا الناس بسحرهم ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون﴾ وجردناهم من كنوزهم وأموالهم ﴿كذلك وأورثناها بني إسرائيل﴾ ﴿فأتبعوهم مشرقين﴾ فلما خرج موسى بقوته اتبعهم جنود فرعون فى الصباح بمكر من فرعون وبطر. ولحقوهم حال كونهم وقت الشروق، وقيل: داخلين نحو المشرق.

معاني الكلمات:

تلقف: تبتلع بسرعة

ما يأفكون: ما يقلبونه عن وجهه للتمويه

لشرذمة: لطائفة قليلة

فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦٨) وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣)

ويجئ المشهد الحاسم الأخير:

٦١/ ٦٨ ﴿فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى...﴾ أى: لما تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه، وظن أصحاب موسى أن فرعون سيلحقهم ولا طاقة لهم به ﴿قال﴾ موسى ﴿كلا إن معي ربي﴾ إن معى ربى بالنصر والهداية ﴿سيهدين﴾ أى يدلنى على طريق النجاة فلا تخافوا. فأوحينا إليه أن اضرب بعصاك البحر فتفلق إلى أقسام فكان كل قسم منه كالجبل العظيم ووقعت المعجزة، وتحقق الذى يقول عنه الناس: مستحيل. لأنهم يقيسون سنة الله على المألوف المكرور.

ووقف فرعون مع جنوده مبغوتًا مشدوهًا بذلك المشهد الخارق. وتم تدبير الله. فخرج بنو إسرائيل من الشاطئ الأخر. بينما كان فرعون وجنوده بين فرقى الماء أجمعين. وقد قربهم الله لمصيرهم المحتوم: ﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾ أى قربناهم إلى البحر، والآخرون: فرعون وقومه ﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ يعنى فرعون وقومه ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ فإنه لم يؤمن منهم إلا قليل كآسية امرأة فرعون ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ أى: المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه.

الدرس الثالث
(قصة إبراهيم -عليه السلام-)
٦٩/١٠٤

مدة الحفظ: يوم واحد.

٦٩/ ٧١ ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم...﴾ والحلقة التى تعرض هنا من قصة إبراهيم -عليه السلام- هى حلقة الرسالة إلى قومه. وإبراهيم الذى يزعمون أنهم ورثته، وأنهم يتبعون ديانته. اتله عليهم وهو يستنكر ما كان يعبده أبوه وقومه ﴿إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون﴾. وهو كان يعلم أنهم يعبدون الأصنام، ولكنه أراد إلزامهم الحجة ﴿قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين﴾ وهنا فى قولتهم أنها أصنامٌ فهذا سخف لأنهم ينحتونها من الحجر. ويأخذ إبراهيم يوقظ قلوبهم الغافية، وينبه عقولهم المتبلدة:

٧٢ ﴿قال هل يسمعونكم إذ تدعون...﴾ فإن كانت صماء لا تسمع فهل هى تملك النفع والضر؟ ﴿أو ينفعونكم أو يضرون﴾.

ولم يجب القوم بشئ، وهم لا يملكون الحجة لدفع ما يقول:

٧٣ ﴿قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾ فعكفنا عليها وعبدناها! وهو جواب مخجل ولكن المشركين لم يخجلوا أن يقولوه. قال إبراهيم أفرأيتم ما تعبدون أنتم وما كان يعبدة آباؤكم، إنهم أعدائى إلا رب العالمين ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ يرشدنى إلى مصالح الدين والدنيا وقد وصف الخليل ربه بما يستحق العبادة لأجله ﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾ فيهئ لى مقومات حياتى ﴿وإذا مرضت فهو يشفين (٨٠) والذي يميتني ثم يحيين﴾ والمغفرة للذنب، كلها نعم يجب أن يُشكر المنعم بها بجميع أنواع الشكر ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ رب هب لى كمالاً في العلم والعمل استعد به للقيام على صراطك ﴿وألحقني بالصالحين﴾.

معانى الكلمات:

فِرْق: قطعة من البحر.

وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

٨٤ ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ الذين يأتون بعدى إلى يوم القيامة.

٨٥ ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ وقد دعا ربه -من قبل- أن يلحقه بالصالحين.

٨٦ ﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ وهو هنا يستغفر لأبيه بناء على موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.

٨٧/ ٨٩ ﴿ولا تخزني يوم يبعثون ﴿٨٧﴾ يوم لا ينفع مال ولا بنون ﴿٨٨﴾ إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ ويتبين هنا مدى شعوره بهول اليوم الآخر، ومدى حيائه من ربه، وخشيته من الخزى أمامه ونستشف من قوله ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ مدى إدراكه لحقيقة ذلك اليوم فليس هناك من قيمة فى يوم الحساب إلا قيمة الإخلاص ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾.

٩٠/ ٩٥ ﴿وأزلفت الجنة للمتقين..﴾ أى: قربت وأدنيت لهم ليدخلوها ﴿وبرزت الجحيم للغاوين﴾ أى: جعلت بارزة لهم. أظهر الله الجنة للمؤمنين قبل أن يدخلوها، وأظهر النار للكفار قبل أن يدخلوها، ليشتد حزن الكافرين، ويكثر سرور المؤمنين ﴿فكبكبوا فيها هم والغاوون﴾ أى ألقوا في جهنم هم: يعنى المعبودين، والغاوون: يعنى العابدين لهم، قلبوا جميعا على رؤوسهم ﴿وجنود إبليس أجمعون﴾ شياطينه الذين يغوون العباد.

٩٦/ ٩٩ ﴿قالوا وهم فيها يختصمون...﴾ فيقول العابدون للمعبودين ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين﴾ أقسموا أنهم كانوا على الضلالة الواضحة ﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾ فنعبدكم كما نعبده ﴿وما أضلنا إلا المجرمون﴾ من شياطين الإنس والجن الذين بارزوا الله بالعداوة.

١٠٠ ﴿فما لنا من شافعين﴾ يشفعون لنا من العذاب.

١٠١ ﴿ولا صديق حميم﴾ أى: صديق ذى قرابة يعيننا وينقذنا من بأس الله وعذابه.

١٠٢ ﴿فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين﴾ أى رجعة إلى الدنيا.

١٠٣ ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ قيل المراد: قوم إبراهيم.

١٠٤ ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ القاهر لأعدائه، الرحيم بأوليائه.

الدرس الرابع

(قصة نوح -عليه السلام-)

١٢٢/١٠٥

مدة الحفظ: يوم واحد

١٠٥ ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ تلك هى النهاية ثم يأخذ فى التفصيل بعدما أبرزها منذ البداية.

١٠٦ ﴿إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون﴾ هذه هى دعوة نوح التى كذبه فيها قومه.

١٠٧ ﴿إني لكم رسول...﴾ من الله ﴿أمين﴾ فيما أبلغكم عنه.

١٠٨ ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ اجعلوا طاعة الله وقاية لكم من عذابه.

١٠٩ ﴿وما أسألكم عليه من أجر...﴾ أى: ما أطلب منكم أجرا على تبليغ هذه الرسالة ﴿إن أجري إلا على رب العالمين﴾ فمنه أرجو الثواب جزاء على دعوتي لكم.

١١٠ ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فقد وضح لكم وبان صدقى ونصحى.

١١١ ﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ وهم يعنون بالأرذلين الفقراء.

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢) كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦)

ويجيبهم نوح الجواب الذي يقرر القيم الثابتة، ويحدد اختصاص الرسول:

١١٣/١٢٢ ﴿قال وما علمي بما كانوا يعملون﴾ والمعنى: وما علمي بعملهم؟ أي: لم أكلف العلم بأعمالهم، إنما كلفت أن أدعوهم إلى الإيمان ﴿إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون﴾ أي: ما حسابهم والتفتيش عن ضمائرهم وأعمالهم إلا على الله، ولو كنتم من أهل الشعور والفهم لفهمتم ذلك وآمنتم به.

١١٥/١١٤ ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ هذا جواب من نوح على طلب الطرد لهم.

١١٦ ﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين﴾ أي هددوه بمعاملته بالسيئ من القول، ومن الشتم والإهانة.

١١٨/١١٧ ﴿قال رب إن قومي كذبون﴾ أي: أصروا على تكذيبي، ولم يسمعوا قولي، ولا أجابوا دعائي ﴿فافتح بيني وبينهم فتحا﴾ أي: احكم بيني وبينهم حكمًا يبين المحق من المبطل ﴿ونجني ومن معي من المؤمنين﴾ فلما دعا ربه بهذا الدعاء استجاب له فقال:

١٢٢/١١٩ ﴿فأنجيناه ومن معه...﴾ فنجيناه ومن آمن معه فى السفينة المشحونة من كل صنف اثنين ثم اغرقنا بعد ذلك ﴿الباقين﴾ من قومه ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي: فى نجاة نوح والمؤمنين معه ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ ويجئ هذا التعقيب المكرر فى السورة عقب كل آية.

الدرس الخامس:

(قصة عاد)

١٤٠/١٢٣

مدة الحفظ: يوم واحد.

١٢٣/ ١٣٠ ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٢٢) كذبت عاد المرسلين (١٢٣) إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون﴾ أي ألا تخافون الله وتحسبون لبطشه حسابا، ﴿إني لكم رسول أمين﴾ أمين فلا يزيد ولا ينقص فيما أمره ربه بإبلاغه إليهم وعليه ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فطاعتي واجبه عليكم ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ ولو قل ﴿إن أجري﴾ أي ما أجرى إلا على رب العالمين سبحانه وتعالى.

﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون﴾ الريع: المكان المرتفع من الأرض ﴿وتتخذون مصانع﴾ هى الأبنية التى يتخذها الناس منازل وقيل هى الحصون المشيدة ﴿لعلكم تخلدون﴾ كأنكم باقون مخلدون ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ فهم عتاة غلاظ يتجبرون حين يبطشون.

١٣٥/١٣١ ﴿فاتقوا الله وأطيعون...﴾ ويذكرهم نعمة الله عليهم بما يستمتعون به ويتطاولون ويتجبرون ﴿واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون﴾ فهو سبحانه أمدكم من النعم بما تعلمونه. أمدكم بمواش وأولاد وجنات تحيط بها العيون الغزيرة بالماء. وهو حريص ألا يحل بهم عذاب ذلك اليوم الذى لا شك فيه ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾.

ولكن هذه التذكرة وهذا التخويف، لا يصلان إلى تلك القلوب اليابسة الفظة الغليظة فإذا الإصرار والعناد:

١٣٦ ﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ فما يعنينا أن تعظ أولا تكون أصلاً من الواعظين وهو تعبير فيه استهانة واستهتار وجفوه.

إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

١٣٨/١٣٧ ﴿إن هذا إلا خلق الأولين * وما نحن بمعذبين﴾ فحجتهم فيماهم عليه، وفيما يستنكره عليهم هود، أنه خلق الأولين ونهجهم. وهم يسيرون على نهج الأولين. ويمضى السياق قدمًا إلى النهاية:

١٤٠/١٣٩ ﴿فكذبوه فأهلكناهم..﴾ أى أهلكهم الله جزاء على تكذيبهم ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ آية يتناقلها الناس إلى اليوم ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ عزيز لا يستعصى عليه متمرد، رحيم لا يؤاخذ إلا بعد الإعذار والإمهال.

الدرس السادس: (قصة ثمود)

١٥٩/١٤١

مدة الحفظ: يوم واحد.

١٤٥/١٤١ ﴿كذبت ثمود المرسلين﴾ إنها ذات الدعوة بألفاظها يدعوها كل رسول، إذ قال صالح لقومه بنى ثمود يا قومى ألا تخشون ربكم فتطيعوا أمره وتعبدوه؟ ﴿إني لكم رسول أمين﴾ أمين عليكم، حفيظ على مصالحكم فاحذروا الله وأطيعون. ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ فما أجرى ﴿إلا على رب العالمين﴾

١٤٩/١٤٦ ﴿أتتركون في ما هاهنا آمنين (١٤٦) في جنات وعيون﴾ وإنهم ليعيشون بين هذا المتاع الذى يصوره لهم أخوهم صالح، ولكنه يعيشون فى غفلة وتتركون فى البيوت تنحتونها في الصخور بمهارة وبراعة ﴿بيوتا فارهين﴾ في أناقة وفراهة.

١٥٢/١٥٠ ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ أى اتقوا الله بأداء حقه عليكم من توحيده وإفراده بالعبادة والإيمان برسالتى إليكم وأطيعونى فيما آمركم به وأنهاكم عنه ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ أى: المشركين. وقيل: هم الذين عقروا الناقة. ثم وصف هؤلاء المسرفين بقوله: ﴿الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾ يفعلون الفساد فى الأرض بالكيد لصالح والمؤمنين معه، ولا يصدر منهم الصلاح البتة.

١٥٤/١٥٣ ﴿قالوا إنما أنت من المسحرين...﴾ أى: الذين أصيبوا بالسحر. وقيل المسحر: هو المعلل بالطعام والشراب. فكأنهم قالوا: إنما أنت بشر مثلنا تأكل وتشرب. ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾ فرأوا أن كونه بشرًا مثلهم يكذبه فى دعوى النبوة ﴿فأت بآية﴾ أى بعلامة تستيقن عند رؤيتها أنك رسول من رب العالمين ﴿إن كنت من الصادقين﴾ وهكذا طلبت ثمود تلك الخارقة، فاستجاب الله لعبده صالح.

١٥٧/١٥٥ ﴿قال هذه ناقة...﴾ أخرج الله لهم بعد طلبهم الآية: ناقة من الجبل حيه يرونها ويلمسونها بأيديهم لتكون حجة على نبوة نبيه صالح، كما طلبوا ﴿لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾ أى لها نصيب من الماء، ولكم نصيب منه معلوم. إن اصبتموها بسوء أخذكم عذاب يوم عظيم الهول ﴿فعقروها﴾ فذبحوها وندموا خوفًا من حلول العذاب بهم.

١٥٩/١٥٨ ﴿فأخذهم العذاب...﴾ الذى وعدهم به. والعذاب الذى أخذ قوم صالح أن الأرض رجفت بهم أى زلزلت زلزالاً شديدًا، ثم جاءت الصيحة فخلعت قلوبهم ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ مع وضوح الأدلة لأنهم لم يسبق لهم إيمان فى قضاء الله ﴿وإن ربك﴾ أيها الرسول لهو وحده العزيز الغالب ﴿الرحيم﴾ بأوليائه وصالحى عباده.

كذبت قوم لوط المرسلين ﴿١٦٠﴾ إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون
﴿١٦١﴾ إني لكم رسول أمين ﴿١٦٢﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٦٣﴾ وما
أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين ﴿١٦٤﴾
أتأتون الذكران من العالمين ﴿١٦٥﴾ وتذرون ما خلق لكم ربكم
من أزواجكم بل أنتم قوم عادون ﴿١٦٦﴾ قالوا لئن لم تنته يا لوط
لتكونن من المخرجين ﴿١٦٧﴾ قال إني لعملكم من القالين ﴿١٦٨﴾
رب نجني وأهلي مما يعملون ﴿١٦٩﴾ فنجيناه وأهله أجمعين ﴿١٧٠﴾
إلا عجوزا في الغابرين ﴿١٧١﴾ ثم دمرنا الآخرين ﴿١٧٢﴾ وأمطرنا عليهم
مطرا فساء مطر المنذرين ﴿١٧٣﴾ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم
مؤمنين ﴿١٧٤﴾ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴿١٧٥﴾ كذب أصحاب
لئيكة المرسلين ﴿١٧٦﴾ إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ﴿١٧٧﴾ إني لكم
رسول أمين ﴿١٧٨﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٧٩﴾ وما أسألكم عليه
من أجر إن أجري إلا على رب العالمين ﴿١٨٠﴾ ۞ أوفوا الكيل ولا
تكونوا من المخسرين ﴿١٨١﴾ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴿١٨٢﴾
ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴿١٨٣﴾

الدرس السابع
(قصة لوط)
١٧٥/١٦٠

مدة الحفظ: يوم واحد.

يبدأ لوط مع قومه بما بدأ به نوح وهود وصالح. يستنكر استهتارهم، ويدعوهم إلى الإيمان:

١٦٦/١٦٠ ﴿كذبت قوم لوط المرسلين...﴾ وقد تقدم تفسير قوله ﴿إذ قال لهم﴾ إلى أن يواجههم باستنكار خطيئتهم الشاذة التي عرفوا بها في التاريخ ﴿أتأتون الذكران من العالمين﴾ أي: أتنكحون الذكور من الناس؟ وهي الفاحشة التي لم يفعلها أحد من الناس قبلهم ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ لأجل استمتاعكم به من النساء، ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ أي مجازون للحد في جميع المعاصي، ومن جملتها هذه المعصية.

فلما دعاهم لوط إلى ترك الشذوذ، تبين أنهم غير مستعدين للعودة إلى ركب الحياة:

١٦٧ ﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾ وقد كان فيهم غريبا. وقد وفد عليهم مع عمه إبراهيم حين اعتزل أباه وقومه وترك وطنه وأرضه.

١٦٨ ﴿قال إني لعملكم من القالين﴾ أي من المبغضين له.

١٦٩ ﴿رب نجني وأهلي مما يعملون﴾ لينجو من عملهم الخبيث، أو من عقوبته التي تصيبهم.

١٧٥/١٧٠ ﴿فنجيناه وأهله أجمعين﴾ إلا عجوزا هي إمرأته قدرنا أن تكون من الباقين رهن العذاب لكفرها. ثم دمرنا الباقين بأن أمطرنا عليهم مطراً من الحجارة ﴿فساء مطر المنذرين﴾ الذين أنذروا ولم ينتفعوا بالإنذار ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ وإن ربك هو العزيز الغالب القاهر.

الدرس الثامن
(قصة شعيب)
١٩١/١٧٦

مدة الحفظ: يوم واحد.

وبدأهم شعيب بما بدأ به كل رسول إلى قومه من أصل العقيدة والتعفف عن الأجر:

١٨٠/١٧٦ ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾ والأيكة اسم البلد كله. وقيل: الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر.. إذ قال لهم شعيب ألا تخافون الله؟ إني لكم منه رسول أمين. ما أسألكم من أجر على إصلاحكم إن أجرى إلا على رب العالمين.

ثم أخذ يواجههم بما هو خاصة شأنهم:

١٨١ ﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾ وقد كان شأنهم أن يطففوا في الميزان والكيل، وأن يأخذوا بالقسر والغضب زائداً عن حقهم، ويعطوا أقل من حق الناس، ويشتروا بثمن بخس ويبيعوا بثمن مرتفع.

١٨٢ ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ أي أعطوا الحق بالميزان السرى دون أن تعبثوا به سراً لتنقصوا حق المشترى.

١٨٣ ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم.﴾ أي: لا تنقصوا الناس حقوقهم التي لهم ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ يعنى قطع الطريق أو القتل والسلب ومنع الحقوق وارتكاب المعاصى والذنوب.

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ
مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ
الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩)
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١) وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ
الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
مُبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ
عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨)
فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ
فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ (٢٠١) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا
هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (٢٠٣) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤) أَفَرَأَيْتَ
إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦)

١٨٤ ﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين﴾ يعنى: الأمم المتقدمة.

١٨٦/١٨٥ ﴿قالوا إنما أنت من المسحرين (١٨٥) وما أنت إلا بشر مثلنا...﴾ فاستنكروا رسالته واطلقوا عليه هذا الاتهام.

١٨٨/١٨٧ ﴿فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين﴾ وهو تحدى المستهتر الهازئ المستهين ﴿قال ربي أعلم بما تعملون﴾.

ويعجل السياق بالنهاية دون تفصيل ولا تطويل:

١٨٩ ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة...﴾ اخذهم حر خانق شديد يكتم الأنفاس يثقل الصدور ثم تراءت لهم سحابة فاستظلوا بها، فوجدوا لها بردًا. ثم إذا هى الصاعقة المجلجلة المدوية... وكان ذلك يوم الظلة.

١٩١/١٩٠ ﴿إن في ذلك لآية...﴾

ويختم القصص فى السورة ليجئ على أثره التعقيب الأخير...

الدرس التاسع

(حديث عن القرآن)

٢٢٧/١٩٢

مدة الحفظ: يوم واحد

هذا الدرس جاء للتعقيب الأخير يتحدث عن القرآن...

١٩٢ ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ أى: وإن القرآن، ومنه هذه الأخبار التى تتلى عليكم، منزل من الله رب العالمين.

١٩٣ ﴿نزل به الروح الأمين﴾ وهو جبريل كما فى قوله ﴿قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك﴾ «البقرة ٩٧»

١٩٤ ﴿على قلبك...﴾ تلاه على قلبه لأنه أول مدرك من الحواس الباطنة، حتى حفظه وفهمه ﴿لتكون من المنذرين﴾ أى: أنزله عليك لتنذرهم بما تضمنه من التحذيرات والإنذارات والعقوبات.

١٩٥ ﴿بلسان عربي مبين﴾ جعل الله سبحانه وتعالى القرآن عربيًا بلسان الرسول العربى لئلا يقول مشركو العرب: لسنا نفهم ما تقوله بغير لساننا، فقطع بذلك حجتهم.

وينتقل من هذا الدليل الذاتى إلى دليل آخر خارجى:

١٩٦ ﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾ أى: أن هذا القرآن مذكور مبشر به فى التوراة والإنجيل.

١٩٧ ﴿أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ أى أو ليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك أن العلماء من بنى إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن فى كتبهم التى يدرسونها.

١٩٩/١٩٨ ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين (١٩٨) فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾ كما أخبر عنهم فى الآية الأخرى ﴿ ﴾.

وفى هذا تسرية عن رسول الله ﷺ ثم يعقب على هذا بأن هذا التكذيب مكتوب على القوم ملازم لهم بحكم عنادهم:

٢٠٣/٢٠٠ ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين﴾ أى: أدخلنا الشرك والتكذيب فى قلوب المجرمين ﴿فيأتيهم﴾ العذاب ﴿بغتة﴾ أى فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بإتيانه ﴿فيقولوا هل نحن منظرون﴾ أى: مؤخرون وممهلون لنؤمن ونعمل الصالحات.

قالوا هذا تحسرًا على ما فات من الإيمان، وتمنيًا للرجعة إلى الدنيا لاستدراك ما فرط منهم.

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٧) وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٠٩) وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (٢١٢) فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٣) وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠) هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣) وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧)

سُورَةُ النَّمْلِ

٢٠٧/٢٠٤ ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ بقولهم: أمطر علينا حجارة من السماء أو أئتنا بعذاب أليم. ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين﴾ أى: سنين في الدنيا متطاولة، وطولنا لهم الأعمار ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ من العذاب والهلاك. ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ أى شئ يغنى عنهم كونهم ممتعين ذلك التمتع الطويل؟

٢٠٨ ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ فهو سبحانه يخوفهم بأن الإنذار مقدمة الهلاك:

﴿ذكرى﴾ أى: هذا الخبر عن الآخرة تذكير للناس ما داموا فى دار العمل ﴿وما كنا ظالمين﴾ فى تعذيبهم، فقد قدّمنا الحجة إليهم وأعذرنا إليهم.

٢١٢/٢٠٩ ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ أى: بالقرآن، وهذا ردّ لما زعمه الكفرة فى القرآن أنه من قبيل ما يلقيه الشياطين على الكهنة ﴿وما ينبغي لهم﴾ ذلك ولا يصح منهم ﴿وما يستطيعون﴾ ما نسبه الكفار إليهم أصلاً ﴿إنهم عن السمع﴾ للقرآن، أو لكلام الملائكة ﴿لمعزولون﴾ محجوبون مرجومرن بالشهب. إنما يتنزل به الروح الأمين، بإذن من رب العالمين.

وليس هذا ميسور للشياطين.

وهنا يلتفت بالخطاب إلى رسول الله ﷺ يحذره من الشرك وهو أبعد ما يكون عنه ليكون غيره أولى بالحذر.

٢١٣ ﴿فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين﴾ كأنه قال: يامحمد: أنت أكرم الخلق علىّ، وأعزهم عندى، ولو اتخذت معى إلها لعذبتك، فكيف بغيرك من العباد؟

٢٢٠/٢١٥ ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ أى: أظهر لهم المحبة، والكرامة، وتجاوز عنهم. فإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ من أعمالهم ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾ وتوكل على الله الذى يراك فى تصفح وجوه الساجدين ويراك فى وحدتك، ويراك في جماعة المصلين ﴿إنه هو السميع العليم﴾.

٢٢٣/٢٢١ ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين﴾ تتنزل على كل كذاب مجرم، يلقون إليهم السمع وأكثرهم مفترون.

وهنا يوضح أن منهج الرسول ﷺ ومنهج الشعراء مختلفان، ولا شبهة هناك فالأمر واضح صريح:

٢٢٦/٢٢٤ ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ فهم يتبعون المزاج والهوى، وهم يهيمون في كل واد من وديان الشعر ﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون﴾ من القول بين مدح وهجاء وغيرهما طلبا للمنافع الشخصية ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ لأنهم يعيشون فى عوالم من صنع خيالهم ومشاعرهم.

ومن ثم يستثنى القرآن الكريم من ذلك الوصف العام للشعراء:

٢٢٧ ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات...﴾ فهؤلاء ليسوا داخلين فى ذلك الوصف العام ﴿وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾ فكان لهم كفاح ينفثون فيه طاقتهم ليصلوا إلى نصرة الحق الذى اعتنقوه.

وتختم السورة بهذا التهديد الخفي المجمل: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ وتنتهى السورة بهذا التهديد المخيف الذى يلخص موضوع السورة.

المراجع

في ظلال القرآن	سيد قطب
تفسير القرآن العظيم	ابن كثير
تفسير المنار	محمد رشيد رضا
نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم	محمد الغزالى
أيسر التفاسير	أبو بكر الجزائرى
صفوة التفاسير	للصابونى
تفسير الجلالين	جلال الدين المحلى
	جلال الدين السيوطى
المصحف المفسر	محمد فريد وجدى
أسباب النزول	للنيسابورى

* * *

الفهرس